



جامعة نزوى
كلية العلوم والآداب
قسم اللغة العربية

سورة (ص) دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة

رسالة تقدم بها الطالب:

بدر بن نصير بن عبدالله الصلتي

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف الأستاذ الدكتور:

أحمد هاشم أحمد السامرائي

التخصص الدقيق: الدراسات اللغوية.

الرقم الجامعي: ٠٩٨٣٥٧٥٣

العام الجامعي: ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

(لجنة المشروع البحثي/الرسالة)

اسم الطالب: بدر بن نصير بن عبدالله الصلتي الرقم الجامعي: 09835753

عنوان الرسالة: سورة (ص) دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة.

لجنة المشروع البحثي/الرسالة:

1- المشرف الرئيس: أ.د. أحمد هاشم السامرائي.

الدرجة العلمية: أستاذ.

القسم: قسم اللغة العربية.

الكلية/ المؤسسة: كلية العلوم والآداب.

التوقيع: التاريخ: ١٧/٥/٢٠١٧م

2- عضو لجنة الإشراف: د. إيهاب أبوستة .

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد.

القسم: قسم اللغة العربية.

الكلية/ المؤسسة: كلية العلوم والآداب.

التوقيع: التاريخ: ١٧/٥/٢٠١٧م

3- عضو لجنة الإشراف: د. عبدالرحمن السفاسفة.

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد.

القسم: قسم التربية والدراسات الإنسانية- كلية العلوم والآداب.

الكلية/ المؤسسة: كلية العلوم والآداب.

التوقيع: التاريخ: ١٧/٥/٢٠١٧م

(لجنة مناقشة المشروع البحثي/الرسالة)

اسم الطالب: بدر بن نصير بن عبدالله الصلتي الرقم الجامعي: 09835753

عنوان الرسالة: سورة (ص) دراسة لغوية في ضوء علم المناسبات.

رئيس اللجنة: أ.د. محمد كراكبي.

الدرجة العلمية: أستاذ.

القسم: قسم اللغة العربية.

الكلية/ المؤسسة: كلية العلوم والآداب.

التوقيع: التاريخ: ٢٠١٧/٥/١٧

1- المشرف الرئيس: أ.د. أحمد هاشم السامرائي.

الدرجة العلمية: أستاذ.

القسم: اللغة العربية.

الكلية/ المؤسسة: العلوم والآداب.

التوقيع: التاريخ: ٢٠١٧/٥/١٧

2- العضو (ممثل رئيس القسم): د. زينب الجميلي.

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد.

القسم: قسم اللغة العربية.

الكلية/ المؤسسة: كلية العلوم والآداب.

التوقيع: التاريخ: ٢٠١٧/٥/١٧

3- الاسم: د. محمد جمال صقر.

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد.

الكلية/ المؤسسة: جامعة السلطان قابوس - كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

التوقيع: التاريخ: ٢٠١٧/٥/١٧

إهداء

إلى أُمِّي الغالية التي ما فتئت تدعو لي على الدوام بالتوفيق.

إلى أبي العزيز الذي لم يبخل عليَّ يوماً بشيء.

إلى خالي العزيز داود العدوي، وجميع إخواني، وأخواتي.

إلى زوجي (أم محمد)، التي كابدت معي مشقة هذا البحث، ووفرت لي جوًّا أُسريًّا أعانني على كتابته، وتحملت اشتغالي عن أسرتي، وتقصيري تجاه متطلباتهم.

إلى أبنائي فلذات كبدي (محمد، وإبراهيم، وموسى، وبيان).

إليكم جميعاً أهدي هذا البحث، وأسأل الله ﷻ أن يعمَّ بنفعه الجميع.

الباحث

شكر وامتنان

بعد رحلة بحثٍ، وجدٍّ، واجتهادٍ، أحمد الله ﷻ أن منَّ عليَّ بإنجاز هذا البحث، ونشكر جامعتنا الغراء، ممثلةً بأساتذتنا في قسم اللغة العربية، على ما قدّموه لنا من معارف، وعلوم قيّمة، وما غرسوه فينا من حبِّ العمل، والتّضحية، والانتماء لهذا الوطن الغالي في ظل الرعاية السّامية لمولانا جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم، حفظه الله، وأمدَّ في عمره.

وأ تقدّم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لمن غمرني بالفضل، واختصني بالنصح، وتفضّل عليّ بقبول الإشراف على رسالتي، الأستاذ الدكتور أحمد هاشم السّامرائي، فله كل الامتنان، والاحترام على ما بذله من جهدٍ طيلة العمل في إنجاز هذا البحث، فكان نعم الناصح الأمين، والمربيّ الوقور، والأخ الحليم، أفاض عليّ بعلمه، وشملني بفضله، وسماحته. والشكر موصول لزملائي الذين ساندوني في إتمام البحث بالشكل الذي يليق، وأخصُّ بالذكر الإخوة الأعزاء (فهد بن خميس العبري، وفهد بن ناصر العلوي، وماجد بن عبدالله الجهضي، وسيف بن نبهان الحرملّي)، وبقية الزملاء الذين ساعدوني في إتمامه (عادل الحمادي، وحمد الذهلي، وسيف المحفوظي، وسلطان الحسني، وراشد الحسني، وعلي الحراسي، ويعقوب النصيبي، وصالح القرني، وسيف العبري).

كما أتقدّم بالشكر الجزيل إلى مدير مدرسة الإمام سعيد بن عبدالله للتعليم الأساسي، الأستاذ العزيز / أحمد بن ناصر الغافري؛ الذي سهّل مهمتي في العمل، وذلّل جميع الصعاب، والعقبات، وبمساندته استطعت التوفيق بين العمل، والدراسة، وأسأل الله أن يجعل صنيعه في ميزان حسناته إلى يوم الدّين.

وأخيراً، تقف كلمات الشكر عاجزة أن تقي بما في النفس من الامتنان، والتقدير لكل من ساندني لإكمال رسالتي، وأبتهلُ إلى الله ﷻ أن يجزي كل من نصحني، وأرشدني، ولو بجزءٍ يسير لإنجاز هذا العمل، خير الجزاء، وأدعو الله ﷻ لهم بالتوفيق جميعاً لما يحبه، ويرضاه، وأن يجعلنا ممن قال فيهم ﷻ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

الباحث

ملخص البحث

عنوان البحث: سورة (ص) دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة.

اسم الباحث: بدر بن نصير بن عبدالله الصلّتي.

ثمة إعجاز بلاغي في دقة التناسب بين آيات القرآن الكريم، وسوره، فجاءت هذه الدراسة لإثبات صورة من صور هذا الإعجاز، فكان البحث في التناسب، ومعايشته عظيم الفوائد؛ وهو ما دفعني لاختيار موضوع يخص (علم المناسبة)، إذ يعدّ هذا العلم من أرفع العلوم، وأجلّها؛ لأنّه يدرس كلام الله ﷻ (القرآن الكريم)، وهو أبلغ الكلام بلا منازع.

واقترضت طبيعة البحث تقسيمه على ثلاثة فصول، غني الفصل الأول بدراسة المناسبات اللغوية الخارجية ضمن ترتيب النّزول، والترتيب المصحفي، فتناول تناسب سورة (ص) مع ما قبلها، وما بعدها من حيث التناسب بين فواتح السّور، وخواتيمها، والموضوعات المشتركة.

أما الفصل الثاني فتناول مناسبات النّص، وقسمته على قسمين، هما:

أ- المناسبات الداخلية: التي تضمنت تناسب اسم السّورة مع مقصودها، وتناسب مفتتحها مع مختتمها، والتناسب بين آياتها، ومقاطعها.

ب- مناسبات القصص: الذي أبرّر أهمية القصص القرآني، وخصائصه، وأنواعه، ومدى تناسب وتسلسل القصص الواردة في سورة (ص) بالقصص الواردة في السّور الأخرى من القرآن الكريم، علاوة على تناسب القصص مع مقصود السّورة.

وعني الفصل الثالث بمناسبات اللغة، على النحو الآتي:

أ- تناسب التشكيل الصّوتي: وتمثّل في دراسة الظواهر الصّوتية كالفاصلة، ودلالة الأصوات المفردة، والمركبة.

ب- تناسب البنية الصّرفية: كبنية التّضعيف، وبنية المشتقات.

ت- تناسب التّركيب، والنّظم: وتناول أربعة جوانب، هي: تناسب التركيب النحوي، والتّميم والبيان، والإجمال والتّفصيل، والاستئناف البياني.

ث- تناسب المفردة اللغوية، وتمثّل في ستّ مفردات، هي: (عَزَقَ، فَفَزَعَ، الْوَهَابِ، فَلَيْذُوقُهُ

أَلْقَهَارُ، رَجِيمٌ).

ج- تناسب المتشابه اللفظي: وتضمّن تعريفه لغةً، واصطلاحاً، وبيان أهميته، والفرق بينه وبين المشترك اللفظي، ومواضعه في سورة (ص).

وانتهى البحث بالخاتمة التي بها مجموعة من النتائج، منها:

١- تناسب سور (القمر، و(ص)، والأعراف) ضمن ترتيب النزول، و تناسب سور (الصافات، و(ص)، والزمر) ضمن الترتيب المصحفي، وذلك من خلال تناسب الوحدة الموضوعية في الفواتح، والموضوعات.

٢- مناسبة سورة (ص) لمقاصدها في التأكيد على: (وحدانية الله ﷻ، ونبوّة سيدنا محمد ﷺ، ووقوع البعث، والجزاء).

٣- استعمال التشكيل الصوتي الدقيق الذي أظهر مناسبة استعمال الحرف في موضعه.

٤- التنوّع في استعمال أسلوب التّوكيد، مثل (التّوكيد بـ(إنّ))، والتّوكيد بـ(إنّ) واللام، والتّوكيد باللام الواقعة في جواب القسم، والتّوكيد بالحال، والتّوكيد اللفظي، والتّوكيد المعنوي) ناسب مقام سورة (ص) التي كان مقصودها يتّسم بالتّأكيد، كما أسلفت، أي إنّ جو السّورة يتصف بذلك.

٥- يُعدُّ المتشابه اللفظي فنّاً دقيقاً، وهو من ركائز علم المناسبة، فلا يكون اختلاف الصّيغ فيه جُزافاً، بل له مناسبات معينة.

Abstract

Research Title: A linguistic study on the Surat of Sad "ص" with regards to the science of harmony "Elm AlMonasabah".

Researcher's name: Bader Naseer Abdullah Al Salti

Linguistic miracles can be derived by the harmony between the verses and surrats in the Holly Quran. Therefore, this study aims to provide examples of these linguistic miracles which focus on the harmonious nature and its benefits and this has led me to give it a title as " Elm Al Monasabah". This type of science is considered as one of the important sciences as it illustrates the Holly Quran which is the speech of Allah and is with no doubts the most eloquent speech.

This study is divided into three chapters. The first chapter examines the external harmony of surrat of Sad (ص) based on what order it takes in the Book of Holly Quran and when it is sent down. Specifically a deep study is conducted on the harmony of surrat of Sad (ص) with the proceeding and following surrats in terms of their beginning and ending and their similar themes.

The second chapter examines the harmony of text. It is divided into two parts:

- A. The internal harmony: This part explores the harmony between the name of the surrat and its purpose, the harmony between its beginning and ending and the harmony between its verses and parts.
- B. The harmony between its stories: This part explains the importance of the stories in the Holly Quran, their features and types. Also, it clarifies how the stories in surrat of Sad (ص) are in harmony with the stories in other surrats in addition to their harmony with the purpose of surrat of Sad (ص) .

The third chapter investigates the harmony of language which takes the following forms:

- A. The harmony of phonetic form: This kind of harmony is represented by sound indicators like commas, the significance of single and compound sounds.
- B. The harmony of meaning patterns: like stress patterns and derivatives.
- C. The harmony of structure patterns: this kind of harmony occurs in four areas: the harmony of linguistic structures, decelerated structures, comprehensive and detailed structures and decelerated appeal.

D. The harmony of words: this can be seen in six words: ﴿عَزَّ﴾

"Izzah", ﴿فَزَعَ﴾ "fa'fazah", ﴿الْوَهَّابِ﴾ "alwahhab", ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾

"fa'yathoqooh", ﴿الْقَهَّارُ﴾ "AlQahhar", ﴿رَجِيمٌ﴾ "Rajeem".

E. The harmony of similes: This kind of harmony is clearly defined with consideration to its importance. It is indicated in certain areas in surrat of Sad "ص".

This study ends a conclusion that includes the following findings:

1. The harmony between the surrat of (*Al Qamar, Sad* and *AL Araf*) in terms of sending down and the harmony between the surrat of (*Al Saffat, Sad* and *Al Zamr*) in terms of their order in the Holy Quran as well as the harmony between their themes at their beginings.
2. The harmony of the surrat (*Sad*) with its purposes that emphasize in (The Oneness of God, the prophecy of Mohammed – peace be Upon him – and the belief in resurrection, Judgment and punishment).
3. Using the phonetic forms in a precise way shows the compatibility of the letter and its position.
4. The variation of using the emphasis style, for example (the emphasis with "إِنَّ", the emphasis with "إِنَّ" and "لِ", the emphasis

with "ل" in a conditional sentence, the emphasis of " *AlHa'* and the emphasis of word and meaning, could match with the purpose of the surrat of (*Sad*) which is featured with emphasis as mentioned.

5. The verbal similes are considered a precise technical style and it is one of the basics of harmony science "*Elm Al Monasabah*". In addition, the different structures have their equivalents.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
ت	إهداء.
ث	شكرٌ وامتنان.
ج	ملخص البحث باللغة العربية.
خ	ملخص البحث باللغة الإنجليزية.
١	المقدمة
٥	الفصل الأول: المناسبات اللغوية الخارجية.
٦	المبحث الأول: المناسبات اللغوية في سورة (ص) ضمن ترتيب النزول.
٧	أولاً: التناسب اللغوي بين سورة (ص) مع ما قبلها سورة القمر، وما بعدها سورة الأعراف.
٧	١- الطول، والقصر.
٨	٢- التفصيل، والإجمال.
٨	أ- التناسب اللغوي بين السور الثلاث.
٨	١- التناسب اللغوي بين سورتي (ص)، والقمر.
١٣	٢- التناسب اللغوي بين سورتي (ص)، والأعراف.
١٨	ب- التناسب اللغوي بين فواتح السور الثلاث.
٢١	ت- التناسب اللغوي بين خواتيم السور الثلاث.
٢٣	ث- التناسب اللغوي بين فاتحة السورة، وخاتمتها لما قبلها، وما بعدها.
٢٤	١- التناسب اللغوي بين خاتمة سورة القمر، وفاتحة سورة (ص).
٢٦	٢- التناسب اللغوي بين خاتمة سورة (ص)، وفاتحة سورة الأعراف.
٢٧	ثانياً: التناسب اللغوي بين السور الثلاث من حيث الموضوعات المشتركة.
٢٧	١- أحوال الأمم مع أنبيائهم.

الصفحة	الموضوع
٢٩	٢- قصص الأنبياء.
٢٩	٣- وصف الجنة.
٢٩	٤- جزاء المشركين، والمُكذِّبين.
٣١	المبحث الثاني: المناسبات اللغوية في سورة (ص) ضمن الترتيب المصحفي.
٣١	أولاً: التَّنَاسُب اللغوي بين سورة (ص)، وسورتي (الصَّافَّات، والزُّمَر).
٣٣	أ- التَّنَاسُب اللغوي بين السُّور الثلاث.
٣٦	ب- التَّنَاسُب اللغوي بين سورتي (ص)، والصَّافَّات.
٤٠	ت- التَّنَاسُب اللغوي بين سورتي (ص)، والزُّمَر.
٤٠	ث- التَّنَاسُب اللغوي بين فواتح السُّور الثلاث.
٤٤	ج- التَّنَاسُب اللغوي بين خواتيم السُّور الثلاث.
٤٧	ح- التَّنَاسُب اللغوي بين فاتحة السُّور، وخاتمة ما قبلها.
٤٧	١- التَّنَاسُب اللغوي بين فاتحة سورة (ص)، وخاتمة سورة الصَّافَّات.
٤٩	٢- التَّنَاسُب اللغوي بين خاتمة سورة (ص)، وفاتحة سورة الزُّمَر.
٥١	ثانياً: التَّنَاسُب اللغوي بين السُّور الثلاث من حيث الموضوعات المشتركة.
٥١	١- وحدانية الله ﷻ.
٥١	٢- أحوال الأمم مع أنبيائهم.
٥٢	٣- إثبات البعث يوم القيامة.
٥٣	٤- وصف الجنة.
٥٣	٥- جزاء المشركين، وتهديدهم.
٥٥	الفصل الثاني: مناسبات النَّص.
٥٦	المبحث الأول: المناسبات اللغوية الدَّاخلية.

الصفحة	الموضوع
٥٦	أولاً: تناسب اسم السُّورة مع مقصودها اللغوي.
٥٨	أ- الاسم المشهور.
٥٨	ب- الاسم الاجتهادي.
٦٤	مقصود السُّورة الأساسي.
٦٤	١- وحدانية الله ﷻ.
٦٥	٢- نبوة سيدنا محمد ﷺ.
٦٥	٣- البعث، ووقوع الجزاء.
٦٥	أ- تأكيد البعث.
٦٥	ب- ثواب المُتقين.
٦٦	ت- جزاء المشركين.
٦٧	ثانياً: التَّناسب اللغوي بين فاتحة السُّورة، وخاتمتها.
٦٧	أ- التَّناسب بتكرار اللفظ.
٦٨	ب- تناسب الإجمال، والتفصيل.
٦٩	ت- تناسب المرجعية السابقة الداخلية.
٧٠	ثالثاً: التَّناسب اللغوي بين الآيات.
٧٠	أ- التَّناسب اللغوي بين مقاطع الآيات.
٧٠	المقطع الأول: مقطع التمهيد.
٧٢	المقطع الثاني: أحوال الأمم السابقة.
٧٣	المقطع الثالث: قصّة نبي الله داود ﷺ.
٧٤	المقطع الرابع: إثبات البعث، والعدل يوم القيامة.
٧٦	المقطع الخامس: قصّة نبي الله سليمان ﷺ.
٧٧	المقطع السادس: قصّة نبي الله أيوب ﷺ.

الصفحة	الموضوع
٧٨	المقطع السابع: قصّة إبراهيم، وذريته (إسحاق، ويعقوب، وإسماعيل، واليسع، وذو الكفل) عليهم السلام.
٧٩	المقطع الثامن: ثواب المتّقين يوم القيامة.
٨٠	المقطع التاسع: جزاء الطّاعين يوم القيامة.
٨١	المقطع العاشر: تأكيد رسالة النبي ﷺ.
٨٢	المقطع الحادي عشر: قصّة آدم عليه السلام، وتكبّر إبليس.
٨٤	المقطع الثاني عشر: مهمة الرسول ﷺ، والقرآن الكريم.
٨٥	ب- التّناسب اللغوي بين الآية، وما قبلها.
٩٥	المبحث الثاني: التّناسب القصصي.
٩٥	أهمية القصص القرآني.
٩٧	خصائص أسلوب التعبير في القصص القرآني.
٩٧	أ- الإجمال، والتفصيل.
٩٨	ب- إصابة المعنى.
٩٨	ت- حسن التّخلص.
٩٩	أنواع القصص القرآني.
١٠١	أولاً: التّكرار في القصص القرآني.
١٠١	١- قصّة نبي الله داود عليه السلام.
١٠٣	٢- قصّة نبي الله سليمان عليه السلام.
١٠٣	٣- قصّة نبي الله أيوب عليه السلام.
١٠٤	٤- قصّة نبي الله آدم عليه السلام.
١٠٦	ثانياً: تناسب التّسلسل القصصي.
١٠٨	ثالثاً: تناسب القصّة اللغوي مع مقصود السّورة.

الصفحة	الموضوع
١٠٨	١ - قصّة داود عليه السلام .
١٠٩	٢ - قصّة سليمان عليه السلام .
١١٠	٣ - قصّة أيوب عليه السلام .
١١١	٤ - قصّة إبراهيم، وذريته عليهم السلام.
١١٢	٥ - قصّة آدم عليه السلام ، وتكبّر إبليس.
١١٤	الفصل الثالث: مناسبات اللغة.
١١٥	المبحث الأول: تناسب التشكيل الصوتي.
١١٧	أولاً: الفاصلة.
١١٨	١ - التّمكن.
١٢٠	٢ - التّصدير.
١٢١	٣ - التّوشيح.
١٢٣	٤ - الإيغال.
١٢٥	ثانياً: دلالة الصوتية.
١٢٦	١ - دلالة الصّوت المفرد.
١٢٦	أ - دلالة صوت (الشّين).
١٢٧	ب - دلالة صوت (الصّاد).
١٢٨	ت - دلالة صوت (الكاف).
١٣٠	ث - دلالة صوت (النّون).
١٣٢	٢ - دلالة الصّوت المركّب.
١٣٢	أ - دلالة ﴿مَسَّ﴾.
١٣٣	ب - دلالة ﴿خَرَّ﴾.
١٣٦	المبحث الثاني: تناسب البنية الصّرفيّة.

الصفحة	الموضوع
١٣٧	أولاً: بنية التّضعيف.
١٣٧	التّكثير، والمبالغة.
١٣٨	١- التّكثير في الفعل.
١٣٨	٢- التّكثير في الفاعل.
١٣٨	٣- التّكثير في المفعول.
١٣٩	ثانياً: بنية المشتقات.
١٣٩	١- اسم الفاعل.
١٤٠	أ- ﴿الْفَجَارِ﴾.
١٤٠	ب- ﴿الصَّيْفَتُ﴾.
١٤١	ت- ﴿مُقْنَحِمٌ﴾.
١٤١	٢- اسم المفعول، وله وزنان، هما:
١٤٢	الأول: وزنه من الثلاثي.
١٤٢	أ- ﴿مَهْزُومٌ﴾.
١٤٢	ب- ﴿مَحْشُورَةٌ﴾.
١٤٣	الثاني: بناؤه من غير الثلاثي.
١٤٣	أ- ﴿مُعَسِّلٌ﴾.
١٤٤	ب- ﴿المُصْطَفَيْنَ﴾.
١٤٤	٣- الصّفة المُشَبَّهة.
١٤٥	أ- ﴿الْعَزِيزِ﴾.
١٤٥	ب- ﴿شَدِيدٌ﴾.
١٤٦	٤- صيغة المبالغة.

الصفحة	الموضوع
١٤٧	أ- (فَعَال)، كـ (عَجَابٌ) .
١٤٨	ب- (فَعَّالٌ)، ومنه:
١٤٨	أ- (كَذَّابٌ) .
١٥٠	ب- (الْفَعَّرُ) .
١٥٢	المبحث الثالث: تناسب التَّركيب، والنَّظْم.
١٥٤	أولاً: تناسب التَّركيب النَّحْوي.
١٥٤	- تناسب الحذف.
١٥٥	- أنواع الحذف.
١٥٥	١- حذف الحرف.
١٥٥	حذف حرف الجر (من).
١٥٥	٢- حذف المفردة.
١٥٦	أ- حذف اسمين متتاليين.
١٥٦	ب- حذف المسند إليه.
١٥٧	ت- حذف أحد معمولي (لات).
١٥٨	ث- حذف الحال.
١٥٨	ج- حذف المفعول به.
١٥٩	ح- حذف ياء المتكلم.
١٦٠	٣- حذف الجملة.
١٦٠	أ- حذف جملة جواب القسم.
١٦١	ب- حذف متعلِّق الوصف.
١٦١	- تناسب التَّوكيد.
١٦٢	١- التَّوكيد بـ (إِنَّ) .

الصفحة	الموضوع
١٦٣	٢- التَّوكِيدُ بِـ﴿إِنَّ﴾، و(اللام).
١٦٤	٣- التَّوكِيدُ بِـ(اللام) الواقعة في جواب القسم.
١٦٧	٤- التَّوكِيدُ بِـ(الحال - الحال المؤكدة).
١٦٧	٥- التَّوكِيدُ اللَّفْظِي.
١٦٨	٦- التَّوكِيدُ المعنوي.
١٦٩	ثانيًا: تناسب التَّنْمِيمِ، والبيان.
١٧٣	ثالثًا: تناسب الإجمال، والتفصيل.
١٧٦	رابعًا: تناسب الاستئناف البياني.
١٧٧	أقسام الاستئناف البياني.
١٨٠	المبحث الرابع: تناسب المفردة اللغوية.
١٨١	١- ﴿عِزَّةٌ﴾.
١٨١	٢- ﴿فَفَزِعَ﴾.
١٨٢	٣- ﴿أَلْوَهَابِ﴾.
١٨٤	٤- ﴿فَلَيْدُوهُ﴾.
١٨٥	٥- ﴿أَلْقَهَارُ﴾.
١٨٦	٦- ﴿رَجِيمٌ﴾.
١٨٧	المبحث الخامس: تناسب المتشابه اللفظي.
١٨٧	المتشابه في اللغة.
١٨٧	المتشابه في الاصطلاح.
١٨٨	أهمية المتشابه اللفظي.
١٨٩	بين المتشابه اللفظي، والمشارك اللفظي.
١٩٠	المتشابه المختلف في التركيب.

الصفحة	الموضوع
١٩٢	المتشابه المختلف في الإبدال.
١٩٢	١- الإبدال بين اسمين مختلفين.
١٩٥	٢- الإبدال بين فعلين مختلفين.
١٩٨	٣- إبدال حرف من حرف.
٢٠٠	٤- إبدال شبه الجملة.
٢٠١	المتشابه المختلف في أحوال الاسم.
٢٠١	أ- المفرد، والجمع.
٢٠٢	ب- التّعريف بالإضافة، وب(أل).
٢٠٣	المتشابه المختلف في الذكر، والحذف.
٢٠٣	أ- الذكر، والحذف في الاسم.
٢٠٣	ب- الذكر، والحذف في الفعل.
٢٠٤	ت- الذكر، والحذف في الحرف.
٢٠٧	الخاتمة
٢١٢	قائمة المصادر والمراجع

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب؛ ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

كانت اللغة العربية قبل نزول القرآن الكريم ذات مكانة، وسيادة؛ إذ يُنظم بها الشعر، ويؤلفُ بها الخطب، وتتفاخر القبائل بشعرائها، وخطبائها، وبعدها أنزل ﷺ القرآن الكريم بأفصح لسانٍ أدخر في آيه غُرر البلاغة والبيان، وتحدى به قومًا ملكوا ناصية الفصاحة، وفنّ الكلام، فبهرهم بإحكام أساليبه، وسلاسة ألفاظه، واتساق إيجازه، وإطنابه، وعجزوا أن يأتوا بآية مثله، فقال ﷺ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، فنظمه ليس كنظم الشعر، والخطب، نظمٌ كملت فيه خصائص اللغة في أعلى مراتبها في دقة اختيار المفردات، وبراعة تركيبها، وروعة ترتيبها. جاء علم المناسبة ليكشف علل التركيب القرآني، وترتيبه، وينتهي به إلى أن النص القرآني متماسك الأجزاء، ويعُدُّ السورة القرآنية نصًّا فريدًا توافرت فيه جميع خصائص الدقة^(١).

يحتوي تركيب الكلام في النص القرآني على خصائص لغوية وفنيّة عالية في الدقة كما أسلفت، فتراها في استعمال الأساليب، وكيفية تركيبها، ثم استعمال المفردة اللغوية داخل التركيب، والصوت داخل البنية، والمفردة، والدقة في ترتيب أجزاء الكلام، وجعله متناسقًا بعضه مع بعض، فتأتي السورة مناسبة للسورة التي قبلها أو التي بعدها، وتأتي الآيات متناسبة مع بعضها، سواءً أكانت مقاطع من الآيات، أم آية واحدة، أم أجزاء الآية الواحدة، فضلًا عن تناسب القصص في السورة؛ ولأهمية ما ذكرت ثبت الاختيار على سورة (ص)، فكان موضوع رسالتي:

(سورة (ص)، دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة)

ووقع الاختيار على سورة (ص)؛ للأسباب الآتية:

(١) سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١.

- خلوها من آيات الأحكام؛ إذ إنّ آيات الأحكام تخلو من الأسلوب البلاغي.
- تعدد موضوعاتها.
- تعدد مقاطعها.
- احتواؤها على عدّة قصص للأنبياء.

الدراسات السابقة:

- اعتمدت في بحثي على عدة رسائل ماجستير في علم المناسبة، منها:
- أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت، للباحثة مقبولة علي مسلم الحصري.
 - سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة، للباحث هشام ستار مهدي السامرائي.
 - سورة القصص دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة للباحث ماجد بن عبدالله الجهضي.
- فأفدت منها، إلى جانب اعتمادي على الكتب الأخرى التي عُيّنت بهذا الجانب، ككتاب (التعبير القرآني) للأستاذ الدكتور فاضل السامرائي، وكتاب (دلالات الترتيب والترتيب في سورة البقرة) للدكتورة زهراء خالد سعد الله العبيدي.

الصعوبات التي واجهتها:

لا شك أنّ أي عملٍ لا يخلو من مصاعب، وعقبات، كصعوبة توفر بعض الكتب ذات التحقيق الجيد، والتوفيق بين العمل والدراسة، وبعد المسافة بين مقر السكن والجامعة، وغيرها من الصعوبات، وهنا أكرر شكري، وامتناني لأستاذي الدكتور أحمد هاشم السامرائي المشرف على الرسالة، لتذليله كافة تلك العقبات؛ كما أنه لم يبخل عليّ بإسداء النصح في القضايا التي تحتاج إلى نظر، والملاحظات الخاصة؛ التي من شأنها تقديم هذا الجهد على أفضل ما يكون.

مشكلة البحث وأسئلته:

- انطلق هذا البحث في مشكلة بارزة تتمثل في عدة أسئلة هي:
- هل تتميز السورة القرآنية بخصائص لغوية من السور الأخرى؟

- ما علاقة مباحث علم المناسبة بالإعجاز اللغوي القرآني؟

- هل تترابط السورة القرآنية والآيات مع بعضها؟

منهج الدراسة:

اتبعت في رسالتي المنهج الوصفي القائم على عدة أدوات هي: التحليل، والتعليل، والموازنة بين الآراء والنصوص.

خطة الرسالة:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على ثلاثة فصول، وخاتمة على النحو الآتي:

الفصل الأول: خصّصته لـ(المناسبات اللغوية الخارجية)، فكان على مبحثين، هما: (المناسبات اللغوية في سورة (ص) ضمن ترتيب النُّزول)، و(المناسبات اللغوية في سورة (ص) ضمن التّرتيب المصحفي).

والفصل الثاني: خصّصته لـ(تناسب النّص)، وقسمته على مبحثين، هما: (المناسبات الداخلية، والتّناسب القصصي).

والفصل الثالث: خصّصته لـ(مناسبات اللغة)، فكان على خمسة مباحث هي: (تناسب التّشكيل الصّوتي، وتناسب البنية الصّرفية، وتناسب التركيب والنظم، وتناسب المفردة اللغوية، وتناسب المتشابه اللفظي).

والخاتمة: ذكرت فيها النتائج التي خرجت بها من هذه الرسالة.

ختامًا:

هذا جهدُ المقل، وأسأل الله ﷻ أن يُنتفع به، وأن يكون عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وصلِّ اللهم، وسلم على سيدنا محمدٍ، وعلى آله، وصحبه، والتّابعين، والحمد لله في أوله، وآخره.

الفصل الأول
المناسبات اللغوية
الخارجية

المبحث الأول

المناسبات اللغوية في سورة (ص) ضمن ترتيب النزول

من تتبّع ترتيب السور في القرآن الكريم، وجدتُ أن ترتيب مجموعة من السور من حيث النزول يختلف عن ترتيبها المصحفي، وهذا الاختلاف ناجمٌ عن عدة أسباب منها:

١- كان الرسول ﷺ، وبتوجيه من جبريل عليه السلام، ((يرتب الآيات، فيضع الآيات المدنية في السور المكية، كما يضع الآيات المكية في السور المدنية، فكانت عملية النقل هذه تغيّر من صورة السور، طولاً وقصرًا، فينقل من هذه السورة آياتٍ إلى تلك، ومن تلك إلى أخرى، وهكذا في اتصالٍ دائمٍ بدوام نزول القرآن))^(١).

٢- بعد نزول القرآن الكريم كاملاً، كان الوحي يرشد الرسول ﷺ إلى ترتيب القرآن الذي نجده الآن بين دفتي المصحف الشريف.

٣- بعد وفاة الرسول ﷺ حفظ الصحابة، رضي الله عنهم، القرآن على وفق ما أرشدهم إليه الرسول ﷺ، فوضعوا كل آيةٍ وسورةٍ في موضعها الصحيح^(٢).

لذا نجد ترتيب سورة (ص) مثلاً من حيث النزول يختلف عن ترتيبها في المصحف، فهي ((السورة الثامنة والثلاثون في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة اقتربت الساعة، وقبل سورة الأعراف))^(٣)، فترتيبها من حيث النزول تناسب مع وقوعها بين سورتي القمر، والأعراف.

أما ترتيبها في المصحف العثماني، فتأتي بعد سورة الصافات، وقبل سورة الزمر^(٤).
تتم دراسة مناسبة ترتيب أي سورة من سور القرآن الكريم لغويًا من حيث النزول على وفق معايير وأطر، فيثبت تناسب ترتيب السورة محل الدراسة مع ما قبلها، وما بعدها من

(١) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب ١١ / ٦٤١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ١١ / ٦٤٢.

(٣) التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٠١، وينظر: تفسير الماوردي (النكت والعيون) ٦ / ٣١٠، والتحرير

والتنوير ٢٣ / ٢٠١، وإعراب القرآن وبيانه ٧ / ٤٥٠، والتفسير القرآني للقرآن، للخطيب ١ / ١٣.

(٤) ينظر: ترتيب السور في المصحف العثماني الشريف.

الجوانب الآتية:

١- تناسب ترتيب السُّور الثلاث: (السُّورة محل الدراسة، مع السُّورة التي قبلها، والسورة التي بعدها).

٢- التَّنَاسُب اللُّغَوِي بين فَوَاتِح السُّور الثلاث.

٣- التَّنَاسُب اللُّغَوِي بين خَوَاتِيم السُّور الثلاث.

٤- التَّنَاسُب بين فَاتِحَة السُّورة محل الدراسة، وخَاتِمَة السُّورة التي قبلها.

٥- التَّنَاسُب بين خَاتِمَة السُّورة محل الدراسة، وفَاتِحَة السُّورة التي بعدها.

٦- التَّنَاسُب اللُّغَوِي بين السُّور الثلاث من حيث الموضوعات المشتركة.

ومن هذه المعايير، سأدرس سورة (ص) دراسة تطبيقيّة على النحو الآتي:

أولاً: التناسب اللغوي بين سورة (ص) مع ما قبلها سورة القمر، وما بعدها سورة الأعراف:
وسأتناول هذا التَّنَاسُب من عدة جوانب، هي:

١- الطول، والقصر:

قسّم العلماء السُّور باعتبار الطول، والقصر على أربعة أقسام، هي:

أ- الطوال: وهي السُّور التي يكون عدد آياتها كبيراً جداً، وعددها سبع سور هي: (البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف)، والسابعة قيل: (الأنفال وبراءة)؛ لعدم الفصل بينهما بالبسملة، وقيل: (يونس).

ب- المئون: وهي التي تزيد آياتها على مئة.

ت- المئاني: وهي السُّور التي آياتها أقل من مئة.

ث- المفصّل: وتأتي بعد المئاني، وهي قصار السُّور، وسميت بذلك؛ لكثرة الفواصل التي بين السُّور بالبسملة، وقيل: لقلة المنسوخ فيه^(١)، وتبدأ بسورة (ق) وتنتهي بسورة الناس^(٢)، وذلك بتقبيد ترتيب السُّور على المصحف العثماني.

من ذلك يتضح أنّ سورة (ص) من المئاني؛ إذ إنّ عدد آياتها [٨٨] آية، وهي تقع بين سورتي القمر المصنّفة ضمن سور المفصّل، ويبلغ عدد آياتها [٥٥] آية، والأعراف التي تعد

(١) ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم ٣٢٤.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ١ / ٤١.

من السُّور الطوال، وعدد آياتها [٢٠٦] آيات، وهذا يفسر تناسب توسط سورة (ص) بين سورتي القمر، والأعراف، فكأنَّ هناك تدرُّجًا في عدد الآيات، وهو تدرُّجٌ تصاعدي، بدأ بالسورة الأقل عددًا في الآيات، فالأكثر فالأكثر، وتناسب ذلك مع ترتيب السُّور الثلاث من حيث النزول، فأنت سورة القمر أولًا ب[٥٥ آية]، تلتها سورة (ص) ب[٨٨ آية]، وبعدها سورة الأعراف ب[٢٠٦ آيات].

٢ - التفصيل، والإجمال:

وجد السيوطي من خلال استقراء مناسبات سور القرآن الكريم ارتباط كل سورة بالسورة التي تجاورها من حيث التفصيل والإجمال، والإطناب والإيجاز، وغيره، فقال: ((إنَّ كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناب لإيجازه، وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن، طویلها، وقصیرها))^(١).

من ذلك سآبين العلاقات اللغوية بين السُّور الثلاث على النحو الآتي:

أ - التَّنَاسُب اللُّغَوِي بَيْن السُّور الثَّلَاث:

وسأدرسه من خلال بيان العلاقة بين سورة (ص)، وسورتي القمر، والأعراف وعلى النحو الآتي:

١ - التَّنَاسُب اللُّغَوِي بَيْن سورتي (ص)، والقمر:

من خلال تتبع الآيات في هاتين السُّورتين وجدت تناسبًا لغويًا بينهما في عدة مواضع، هي:

- التَّنَاسُب بَيْن الآيات الأولى في سورة القمر، وبداية سورة (ص)، فكلتا السورتين تحدثت في البداية عن طبيعة المشركين، وموقفهم من دعوة التوحيد التي نادى بها الرسول محمد ﷺ، فوصفوا معجزاته بالسحر، قال ﷺ في سورة القمر: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾^(٢)، فهم حينما يرون علامات جازمة بنبوة سيدنا محمد ﷺ يعرضون عنها، ويولون مكذِّبين منكِّرين لها، فوصفوا معجزة انشقاق القمر وانفلاقه بالسحر، وهذا ديدنهم، وطبيعتهم في التكذيب^(٢).

(١) أسرار ترتيب القرآن ٥٦.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢ / ٥٧٠.

وجاءت الآيتان [٤، ٧] من سورة (ص) مكملتين، ومؤكّدتين افتراء المشركين واتهامهم الرسول ﷺ، في إشارة إلى طبيعتهم التي لا يحدون عنها، فوصفوه بأنه ساحر كذاب، وأن ما جاء به ما هو إلا اختلاق، فقال ﷺ: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكُفَرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ (٤)، وقال أيضاً: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ (٧)، وهما مؤكّدتان أيضاً للآية [٣] من سورة القمر في قوله ﷺ: ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ...﴾، ومبينتان طبيعة المشركين، وإمعانهم في التكذيب.

- ذكرت الآية [٤] من سورة القمر أن مشركي قريش لا يتعظون بالأخبار التي جاءتهم عن الأمم السابقة المكذبة، وما حلّ بهم من عذاب (١)، وتّضح هذا المعنى من خلال قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾، وجاءت الآية [٣] من سورة (ص) مكملّة، ومفصّلة ما أجملته هذه الآية التي ذكرت كلمة ﴿الْأَنْبَاءِ﴾ دون تفصيل؛ إذ بيّنت آية (ص) ماهية هذه الأنباء صراحة، وهي هلاك الأمم السابقة التي كذّبت رسلها، في تناسب واضح بين الآيتين، فقال ﷺ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾ (٢).

- من تتبّع آيات سورتي القمر، و(ص)، وجدت تناسباً لغوياً بيّناً فيما يتعلق بقصص الأنبياء مع أقوامهم؛ إذ جاءت سورة (ص) متممة لذكر بعض قصص الأنبياء، والرسل الذين لم تذكرهم سورة القمر.

فوردت في سورة القمر قصص الأنبياء، والرسل، وأقوامهم بحسب التسلسل الزمني لبعثتهم على النحو الآتي:

قصّة نوح عليه السلام:

تحدثت الآيات [٩ - ١٦] عن قصّة نوح عليه السلام، فقال ﷺ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فدعا ربه أني مغلوب فانتصر (١٠) ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر (١١) وفجرنا الأرض عيوناً فالنقى الماء على أمرٍ قد قدير (١٢) وحملنه على ذات الريح ودسّر (١٣) تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر (١٤) ولقد تركناها آية فهل من مدكر (١٥) فكيف كان عذابي ونذر﴾.

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢ / ٥٧٢.

فبينت هذه الآيات موقف قوم نوح عليه السلام مع نبيهم، وتكذيبهم، واتهامهم له بالجنون، ثم دعا نوح ربه أن يهلكهم بعد أن بلغ به الأذى مبلغًا عظيمًا، واستجاب ربه لدعائه فأرسل عليهم ماءً منهمراً أغرق جميع المكذبين حتى تكون هذه القصة عبرة، وعظة لكل معتبر ^(١).

قصة عاد قوم هود عليه السلام:

تحدثت الآيات [١٨ - ٢٢] عن قصة عاد قوم هود عليه السلام، فقال عليه السلام واصفًا تكذيبهم وما حلَّ بهم من هلاك: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ۖ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ۖ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ۖ﴾. فعذب الله عليه السلام عادًا بالريح الصرصر وهي الريح الشديدة التي تعصف في وقت البرد الشديد، ولها صوت عال وهو الصرير، واسمها مأخوذ من شدة صوت هبوبها، وهذا العذاب كان في يوم نحسٍ، ومشوومٍ، إذ أخذت الريح المكذبين من الأرض، ورمت بهم عاليًا حتى يتساقطوا، ودُقَّت أعناقهم، وذُكرت هذه القصة لأهل مكة لعلهم يتعظون بما حلَّ بقوم هود من هلاك ^(٢).

قصة ثمود قوم صالح عليه السلام:

وفي تسلسلٍ واضحٍ لقصص الأنبياء مع أقوامهم جاءت الآيات [٢٣ - ٣٢] تسرد علينا قصة قوم ثمود مع نبي الله صالح عليه السلام، فبينت تكذيبهم له، وذُكرت العذاب الذي حلَّ بهم جزاء معاملتهم نبيهم، فقال عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذْرِ ۖ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِّمَّا وَحَدَّا نَتَّبِعُهُ ۚ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَلِلْقَى الذِّكْرِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَابِ الْأَشَرِّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فَنِنَّةٌ لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَبَيْنَهُمْ أَنْ أَلْمَاءَ فَسَمَ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْضَرٌّ ﴿٢٨﴾ فَادَّوَّ صَاحِبُهُمْ فَنَعَاطَى فَعَمَّرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ۖ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ۖ﴾. فمن أخبارهم أنهم استكروا بعثة النبي صالح عليه السلام، وهو من عامة الناس بحسب زعمهم، فهم يرون أن النبي يجب أن يكون من عليّة القوم، ووجهائها، أي: إنَّ هناك من هو أحق منه بالنبوة؛ لذا ليس بالمستغرب تكذيبهم له طالما هذا اعتقادهم.

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢ / ٥٧٦ - ٥٨٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢٢ / ٥٨٥ - ٥٨٩.

وتوعدهم الله ﷻ في الآيات السابقة بالعذاب الأليم؛ عقاباً لهم، فأرسل ﷻ الناقة حتى يستدرجهم بالعذاب، فقسّم الماء بينهم، وبينها، فما كان لهم إلا أن عقروا الناقة؛ فحلّ عليهم عذاب الله ﷻ، فجعلهم كالهشيم، أي: الشجر اليابس (١).

قصة لوط عليه السلام:

أما الآيات [٣٣ - ٤٠] فتحدّثت عن قصة لوط عليه السلام مع قومه، ونجاة آل لوط المؤمنين، وحلول العذاب على المكدّبين، فقال ﷻ: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۚ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ۚ نِعْمَةٌ مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۚ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۚ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ ۚ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ۚ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ۚ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ۚ﴾.

فقوم لوط من الأمم التي أبادها الله ﷻ، وجعلها عبرة للأمم اللاحقة؛ لأنهم ((كذبوا رسولهم في دعوته، وكذبوا بالآيات التي أنذرهم بها، واقترفوا الفاحشة، وتكذيب رسول واحد كتكذيب جميع الرسل؛ لأن مهمتهم واحدة)) (٢).

وقد أنذر لوط عليه السلام قومه بعذاب الله ﷻ فلم يرتدعوا، فعاقبهم بأن أرسل عليهم ريحاً ترميهم بالحجارة، فدمرتهم جميعاً إلا لوطاً عليه السلام وآله الذين آمنوا به واتَّبَعُوهُ، ونجاة هؤلاء نعمة من الله ﷻ عليهم، وتكريماً لهم (٣).

قصة آل فرعون:

أوردت الآيتان [٤١ - ٤٢] قصة آل فرعون، وتكذيبهم نبي الله موسى عليه السلام؛ إذ أنذرهم الله ﷻ بالعقوبة؛ لكفرهم، وتكذيبهم نبيهم، وتسفيههم الأدلة التي جاء بها، فعاقبهم ﷻ عقاب المقتدر الذي لا يغلبه أحد (٤)، فقال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ۚ﴾.

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية، للإبياري ١١ / ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٢) التفسير الوسيط، للزحيلي ٣ / ٢٥٤٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٣ / ٢٥٤٦.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢ / ٦٠٠.

إذا ذكرت سورة القمر قصص خمسة أقوام مع أنبيائهم في تسلسل وترتيب زمني واضحين، وهذا يتناسب مع التسلسل الزمني لبعثة الأنبياء، فجاءت قصة نوح عليه السلام في البداية؛ لأنه بُعث قبل الأنبياء الآخرين الوارد ذكرهم في السورة، ثم قصة هود عليه السلام مع قومه، تلتها قصة صالح عليه السلام، وبعدها قصة لوط عليه السلام، وأخيرا قصة موسى عليه السلام.

وأتمت سورة (ص) ذكر قصص الأنبياء الآخرين الذين لم يرد ذكرهم في سورة القمر، فأوردت الآيات [١٧ - ٢٦] قصة داود عليه السلام، وبعدها قصة سليمان عليه السلام في الآيات [٣٠ - ٤٠]، تلتها قصة أيوب عليه السلام في الآيات [٤١ - ٤٤]، وبعدها قصة إبراهيم عليه السلام وذريته في الآيات [٤٥ - ٤٨]، واختتمت بقصة آدم عليه السلام، وتكبر إبليس في الآيات [٧١ - ٨٥].

- ذكرت الآيتان [٤٧ - ٤٨] من سورة القمر مصير المكذّبين يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾، ف((المشركون في الدنيا في ضلالة، وخطأ، وخلاف، وفي سعي في الآخرة، والسعر: جماعة السعير، ويقال: السعر يعني: في عناء))^(١)، وأخبرهم ﷻ بمستقرهم حين قال: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾، أي: ((يُجْرُونَ في النار على وجوههم، ويقول لهم الخزنة: ذوقوا مس سقر يعني: عذاب النار))^(٢).

وأكملت الآيات [٥٥ - ٥٧] من سورة (ص) الآيتين السابقتين من سورة القمر، فذكرت مصير المكذّبين، والطاغين يوم القيامة، وبيّنت صنوف العذاب الذي سيلاقونه في النار، فقال ﷻ: ﴿... وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ إِلَيْهَا اللَّهُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾.

- بينت الآيتان [٥٤ - ٥٥] من سورة القمر ثواب المتّقين يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ﴾، فالله ﷻ سيجازيهم بالبساتين، وأنهار من الماء، والخمر، والعسل، ويجلسون في مجالس حق، لا لغو فيها، ولا تأثيم، عند الملك القادر

(١) بحر العلوم ٣ / ٣٥٦.

(٢) المصدر نفسه ٣ / ٣٥٦.

الذي لا يعجزه شيء^(١).

وفي تناسب ظاهر بين سورتي القمر و(ص)، جاءت سورة (ص) مفصلة بشكل أوضح ثواب المتقين يوم القيامة، فقال ﷺ: ﴿.. وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَكَابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مِّنْ فَتْحَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَنَكِحَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرِاتٌ أَلْفُ أَرْبَابٍ ۖ﴾.

٢- التناسب اللغوي بين سورتي (ص)، والأعراف:

من خلال تتبُّع آيات السورتين وجدت التناسب اللغوي بينهما يتمثل في الآتي:

- جاءت الآية [٣] من سورة (ص) مذكِّرةً بالأُمم السابقة التي كذَّبت الرسل، والهلاك الذي حلَّ بهم، فقال ﷺ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ۖ﴾، وأكدت سورة الأعراف خبر هلاكهم في قوله ﷺ: ﴿وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَّتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾﴾، وزادت عليها تفصيلاً في الآية [٥]، فذكرت حالهم حينما حلَّ عليهم العذاب في قوله ﷺ: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۖ﴾.

- من التناسب الملحوظ بين السورتين ما ورد من قصص الأنبياء، إذ ذكرت سورة (ص) قصص خمسة أنبياء مع أقوامهم، وهم على الترتيب: (داود، وسليمان، وأيوب، وإبراهيم، وآدم) عليهم السلام، وذكرت سورة الأعراف مجموعةً من قصص الأنبياء، كقصة آدم عليه السلام مع إبليس في الآيات [١٠ - ٢٥] التي تناسبت مع سورة (ص) حين تحدثت عن القصة نفسها في الآيات [٧١ - ٨٥]، وسأتناول هذا الجانب من التناسب مفصلاً على النحو الآتي:

أ- قال ﷺ في سورة (ص): ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۖ﴾، ففي هاتين الآيتين توضيح أصل خلق الإنسان وهو الطين، وفيهما يأمر الله ﷻ الملائكة أن يسجدوا لآدم؛ تكريماً له، واستجابوا له جميعاً عدا إبليس، فقال ﷺ: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٢﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۖ﴾.

وأوردت سورة الأعراف المعنى نفسه في الآية [١١]، فقال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۖ﴾.

(١) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي ٧ / ٤٣٧.

ولحظت هنا أنَّ ما فصلته سورة (ص) في أربع آيات، أوجزته سورة الأعراف في آية واحدة؛ لأنها جاءت لتؤكد المعنى الوارد في سورة (ص)، وحتى لا يكون هناك إسهاب في حديث سبق التفصيل فيه.

ب- ونجد التناسب، والتناغم في هذا الموضوع يستمر في الآيات الآتية في السورتين، فقال ﷺ في سورة (ص): ﴿ قَالَ يَبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِدَيِّ أَتَكْبَرُ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ۝٧٥ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۝٧٦ ﴾ وقال ﷺ في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۝١٢ ﴾.

فكان الحوار في سورة ص هادئاً بين الله ﷻ، وإبليس، حتى إنه ﷻ ناداه باسمه: ﴿ قَالَ يَبْلِيسُ ۝٧٥ ﴾ وفي مناداة المنادى باسمه نوع من التكريم، ثم أنه في سؤاله ﷻ لم يتطرق إلى مناقشة إبليس في عصيان أمره، بل كان في الحديث معه نوع من الرأفة، فقال ﷻ: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِدَيِّ ۝٧٦ ﴾ فجاء جواب إبليس حاملاً التكبر، والاستعلاء حين قال: ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۝٧٧ ﴾.

ونلاحظ أنَّ السؤال والجواب في سورة (ص) وقع في آيتين فقط، وهذا تأكيد على أن نقاش الله ﷻ لإبليس لم يتَّصف بالحدة، والعزة منه ﷻ.

بينما في سورة الأعراف نجد النقيض؛ إذ أظهر ﷻ شدته، وجبروته، وعظمته في خطابه، فلم يسمه باسمه، فقال له مباشرة: ﴿ مَا مَنَعَكَ ۝٧٧ ﴾، وبين غضبه من عصيان أمره في قوله: ﴿ إِذْ أَمَرْتُكَ ۝٧٨ ﴾، فكان الجواب من إبليس مشابهاً لجوابه في سورة (ص): ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۝٧٩ ﴾ [ص: ٧٦، والأعراف: ١٢]، وذلك في إشارة لعدم توبته من الخطأ الذي اقترفه، وإصراره عليه.

ت- في ظل عناد إبليس أمره الله ﷻ في سورة (ص) بالخروج من الجنة، وبين له أنه مطرود من رحمته ﷻ، فقال: ﴿ قَالَ فَأَخْرِجْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٧٩ ﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ۝٨٠ وفي سورة الأعراف لم يكتفِ ﷻ بأمر الخروج، بل زاد عليه بالهبوط، فقال ﷻ: ﴿ قَالَ فَأَهْطِ مَنِهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ۝٨١ ﴾.

إنَّ تصاعد حدة الحوار الوارد في السورتين يفسّر لنا جانباً من مناسبة تقدم سورة (ص) على سورة الأعراف من حيث النزول.

ث- في سياق القصة نفسها طلب إبليس من ربه ﷻ في سورة (ص) أن يمهلّه، ويؤخره إلى يوم البعث، فقال ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾، فأراد من هذا الطلب الخلود في الدنيا، فلم يجبه ﷻ إلى ذلك، وأمهلّه إلى النفخة الأولى كما وضّحته سورة الحجر في قوله ﷻ: ﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ (٣٨)، أي: إلى حين يموت الخلق جميعهم^(١). وأكدت الآيتان [١٤ - ١٥] من سورة الأعراف الآيتين [٧٩ - ٨٠] من سورة (ص)،

فذكرتا المعنى نفسه، فقال ﷻ: ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٥﴾.

ج- وهناك تناسب بين الآية ﴿ قَالَ فَعِزَّنَاكَ لَأُعْزِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢]، والآيتين ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْنِي أَقْعَدَنَّهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (١٦) ثُمَّ لَا تَبْتَلُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧]، فأكدت آيتا سورة الأعراف نية إبليس الخبيثة في إغواء بني آدم، وتوعده لهم، ومفصلتين الطريقة التي سيتبعها في ذلك، فقال: ((لأصُدَّنَّهُمْ عَنْ دِينِكَ الْمُسْتَقِيمِ يعني: الإسلام، ثم ﴿ ثُمَّ لَا تَبْتَلُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ من قبل الآخرة، فأرّين لهم التّكذيب بالبعث، وبالجنة، وبالنار، ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ يعني: من قبل الدنيا، فأرّينها في أعينهم، وأرغّبهم فيها ولا يعطون فيها حقاً، ﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ يعني: من قبل دينهم، فإن كانوا على هدى شبهته عليهم حتى يشكّوا فيها))^(٢)، وتجلّى تفصيل غواية إبليس بني آدم في الآيتين [٢٠ - ٢١] من سورة الأعراف، حينما أخذ يوسوس لآدم، وحواء بالأكل من الشجرة التي نهاهم الله ﷻ عنها في قوله: ﴿ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِبَدَىٰ لُهُمَا مَا وَرَىٰ عَنْهُمَا مِنَ سَوَاءٍ تُهْمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ ﴿٢١﴾.

ح- ورد في الآيتين [٨٤ - ٨٥] من سورة (ص) وعيد وتهديد من الله ﷻ لإبليس بدخوله وأتباعه النار، وأقسم ﷻ قسماً مغلظاً بملء جهنم منهم، فقال: ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾ (٨٤) لَا مُلَآءَنَّ

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير ٢ / ١٠٦.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٢ / ٣١.

جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾

وجاءت الآية [١٨] من سورة الأعراف بالمعنى نفسه، في تأكيد واضح لآيتي سورة

(ص)، فقال ﷺ: ﴿ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْخُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

بعدها يتوالى ذكر القصص في سورة الأعراف على النحو الآتي:

- الآيات [٥٩ - ٦٤]: قصّة نوح عليه السلام.

- الآيات [٦٥ - ٧٢]: قصّة هود عليه السلام.

- الآيات [٧٣ - ٧٩]: قصّة صالح عليه السلام.

- الآيات [٨٠ - ٨٤]: قصّة لوط عليه السلام.

- الآيات [٨٥ - ١٠٢]: قصّة شعيب عليه السلام.

- الآيات [١٠٣ - ١٣٦]: قصّة موسى عليه السلام.

وَمِنْ تَتَبَعَ الْقِصَصَ الْوَارِدَةَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ لَحِظْتُ أَنَّ قِصَصَ الْأَنْبِيَاءِ جَاءَتْ مَرْتَبَةً بِحَسَبِ تَرْتِيبِ الْبَعْثِ، فَضْلاً عَنْ ذَلِكَ فَقَدْ وَجَدْتُ تَنَاسُباً بَيِّناً بَيْنَ السُّورَتَيْنِ مِنْ نَاحِيَةِ الْقِصَصِ، فَجَاءَتْ سُورَةُ (ص) مُتَمِّمَةً لِقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْوَارِدَةِ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَقَدُّمِ سُورَةِ (ص) عَنْهَا فِي التُّرُولِ، وَلَمْ تَتَكَرَّرْ قِصَّةُ أَيِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي السُّورَةِ الْآخَرَى سِوَى قِصَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِالْمُقَابِلِ ذَكَرَتِ السُّورَتَانِ مَجْتَمِعَتَيْنِ قِصَصَ أَحَدِ عَشَرَ نَبِيًّا وَهُمْ: (آدم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، وداود، وسليمان، وأيوب، وإبراهيم) عليهم السلام جميعاً.

خ- تحدثت الآيات [١ - ١١] من سورة (ص) عن طبيعة المشركين، والرد عليهم، وجاءت سورة الأعراف لتؤكد ما بدأته سورة (ص) وتتمّه، فذكرت عناد المشركين، ورفضهم دعوة

الإسلام في قوله ﷺ: ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَاحِتُونَ ﴾

بعدها أتت الآية [١٩٤] لترد على هذا العناد، وتبين لهم بالحجة، والدليل خطأ ما

يفعلون، فقال ﷺ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾، أي: إِنَّ ((هؤلاء الذين تعبدونهم من دون الله هم مخلوقون مثلكم؛

فلا يصح أن يكون المخلوق محل عبادة، وتقديس من مخلوق مثله))^(١).

وبعدها ردت على المشركين بحجة أخرى أقوى، وأشد في قوله ﷺ: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ۝١٩٥﴾، فبينت جهل عبادتهم الأصنام من خلال واقعها؛ إذ ليس لها أرجل حتى تسعى بها في حوائجهم، وليس لها أيد تتصرهم عمّن يريد الشر بهم، وليس لها أعين فيعرفونهم بما عاينوا، وأبصروا ما يغيبون عنه فلا يرونه، ولا آذان فيخبرونهم بما سمعوا دونهم، فطالما أن الهنكم ليس فيها من هذه الأشياء؛ فلا مسوغ لعبادتها^(٢)، وأكدت السورة هذا المعنى في قوله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ۝١٩٧﴾.

وأكدت الآيتان [٦٥ - ٦٦] من سورة (ص) وحدانية الله ﷻ، فقال ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝٦٥ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾، وفي ذلك رد على تمادي المكذبين في شركهم الوارد في سورة الأعراف.

د- ورد في سورة (ص) بيان جزاء المكذبين يوم القيامة في الآيات [٥٥ - ٥٧]، وجاءت سورة الأعراف متممة في ذكر هذا الجزاء، فقال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْعَلُ لَهُمْ أُنُوبُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ۝٤١ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

ذ- جاءت سورة الأعراف متممة لسورة (ص) في ذكر ثواب المتقين الوارد في الآيات [٤٩ - ٥٢]، فقال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٤٩ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ أُرِثْتُمْوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

(١) التفسير الواضح ١ / ٧٩٧.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٣ / ٣٢٢.

ب- التَّنَاسُبُ اللُّغَوِيُّ بَيْنَ فَوَاتِحِ السُّورِ الثَّلَاثِ:

إِنَّ لكل كتابٍ سرًّا معيَّنًا، ومن أسرار القرآن الكريم فواتح سورهِ^(١)، إذ ((استفتح الله ﷻ بعض سور كتابه الحكيم ببعض الحروف الهجائية التي لا تكون كلمات، فبعضها ابتداءً بحرف واحد مثل: ﴿ص، ق، ت﴾، وبعضها ابتداءً بحرفين مثل: ﴿حَم، طه، يس﴾، وبعضها بثلاثة أحرف مثل: ﴿آلَم، آلر، طسَم﴾، ومن بينها سور بُدئت بأربعة أحرف، مثل: ﴿آلَمَص، آلَمَر﴾، ومنها ما بُدئ بخمسة أحرف مثل: ﴿كَهيعَص﴾^(٢))).

اختلف العلماء في تفسير هذه الفواتح فقليل: ((إنما هي حروف يُستفتح بها، فإن قيل: هل يكون شيء من القرآن ليس له معنى؟ فإن معنى هذه أنه ابتداءً بها؛ ليعلم أن السورة التي قبلها قد انقضت، وأنه قد أخذ في أخرى، فجعل هذا علامة لانقطاع ما بينهما، وذلك موجود في كلام العرب))^(٣)، وقيل: هي أسماء الله ﷻ، وقد أقسم بها^(٤).

قال القاضي ابن العربي: ((فواتح السور اختلف الناس فيها اختلافًا كثيرًا، قيّدنا فيها عشرين قولًا لا سبيل إلى تعيين واحد منها بدليل؛ لأنه معدوم، ولا بأثر؛ لأنه غير منقول، وليست من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، فإن محمدًا لو خاطب الكفار منها بما لا يفهم لكان ذلك أقوى أسبابها في الطعن عليه))^(٥).

وافتح الله ﷻ سورة القمر بذكر معجزة انشقاقه؛ إذ وقف المشركون منها موقف التكذيب، ومماثلة الحق، وكيل التُّهم للنبي ﷺ، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ (٦) خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ

(١) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي ١ / ٥٩.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٥ / ٢٠١.

(٣) معاني القرآن، للأخفش ١ / ٢١.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١ / ٢٠٦.

(٥) القيس في شرح موطأ مالك بن أنس ١٠٨٠.

إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿١﴾

أي: إنَّ مفتتح سورة القمر ذكر معجزة الانشقاق، والتكذيب الذي لاقته الرسالة النبوية من قبل المشركين، وتناسب ذلك مع مفتتح سورة (ص) الذي ورد فيه الحديث عن طبيعة المشركين، وتكذيبهم الرسالة المحمدية، والرد على معتقداتهم الفاسدة فقال ﷺ: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعِجْبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلِ لِلَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصِرُوا عَلَى آلِهَتِهِمْ إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْلَقُ ﴿٧﴾ أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ ﴿٨﴾ أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾

من ذلك يتبين لنا الوحدة اللغوية والموضوعية التي تناولتها كل من آيات مفتتح السورتين.

والنَّاطِر لمفتتح سورة الأعراف يجد أن الحق ﷺ افتتحها بخطابٍ موجَّهٍ إلى رسوله محمد ﷺ، وبتحذير الأمة من مغبة تكذيب ما جاء من عند الله ﷻ، أو عدم اتباعه، فقال ﷻ: ﴿الْمَصَّ ﴿١﴾ كَتَبْنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِيُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِعَايَتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾

وهذا المفتتح يذكر بين جوانبه ما ذكره مفتتح سورتي (ص)، والقمر من مناقشة أمر التكذيب للرسالة الإلهية، وإثبات صدقها بالدلائل، والبراهين، وإثبات بطلان عقائد المشركين. وإذا ألقينا نظرة متفحصة في فواتح السور الثلاث نجد الآتي:

١- افتتح الله ﷻ سورتي (ص)، والأعراف بالحروف المقطعة، وهذه الحروف ((مظهر من مظاهر إعجاز القرآن، وهو أنه مؤلف من الحروف المقطعة، ولم تستطع العرب الإتيان بسورة مثله))^(١).

فسورة (ص) افتتحت بالحرف: ﴿ص﴾، فقال ﷻ: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١﴾، واختلف في تفسير معنى هذا الحرف، فقيل: ((إنه قسم، واسم من أسماء الله ﷻ، عن ابن عباس، وقيل: من حروف المعجم عن السدي، وقيل: معناه صدق الله، وقيل: اسم من أسماء القرآن، وقيل: اسم من أسماء السورة، وقيل: (صاد) بكسر الدال، أي: عارضٌ بعملك))^(٢).

وافتتحت سورة الأعراف بقوله ﷻ: ﴿الْمَصَّ ١﴾، وورد في معنى هذه الأحرف عدة أوجه، فبعضهم قال: إنها تعني: أنا الله أفعل، وقال آخرون تعني: اسم من أسماء الله ﷻ وقسم أقسمه الله ﷻ، ورأي ثالث يقول: إن معناها المصور، ووجه رابع يرجح بأن معناها اسم من أسماء القرآن، وخامس يقول: هذا فواتح يفتح الله ﷻ بها القرآن، ورأي سادس قال: إنها تعني ألف من الله ﷻ، والميم من الرحمن، والصاد من الصمد^(٣).

وجاء افتتاح سورة الأعراف بالأحرف المقطعة؛ لتتناسب مع افتتاح سورة (ص) بمثل تلك الحروف.

بينما لم تفتح سورة القمر بمثل هذه الحروف، ولكنها تناسبت في الافتتاح مع سورتي (ص)، والأعراف في جانب المعجزات، فسورتا (ص)، والأعراف افتتحتا بأحرف تدل على معجزة القرآن الكريم، وسورة القمر افتتحت بمعجزة من معجزات الله ﷻ على نبيه، وهي معجزة انشقاق القمر، فقال ﷻ: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ١﴾، أي: إنَّ التَّنَاسُبَ فِي الْمَعْجَزَاتِ الْوَارِدَةِ فِي مَفْتَحِ السُّورِ الثَّلَاثِ.

وفي وصف معجزة الانشقاق قال ابن مسعود ﷺ: ((انشق القمر على عهد النبي ﷺ فرقتين، فكانت إحداهما فوق الجبل، والأخرى أسفل من الجبل، فقال ﷺ: " اشهدوا ")^(٤)، قال

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٢ / ٥٢١.

(٢) تفسير ابن فورك من أول سورة الأحزاب - آخر سورة غافر ٢ / ٢٦٤.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٥ / ١٤٣٧.

(٤) ورد الحديث في: صحيح البخاري ٦ / ١٤٢، رقم الحديث (٤٨٦٤).

ابن عباس: إِنَّ المشركين قالوا للنبي ﷺ: إن كنت صادقاً فشُق لنا القمر فلقتين، فقال: " إن فعلت؛ أتؤمنون؟ " فقالوا: نعم، وكانت ليلة بدر، فسأل ﷺ ربه؛ فانشق فرقتين، نصف على أبي قُبَيْس، ونصف على فُعَيْقَعَان، وقيل: سألوا آية مجملة، فأراهم انشقاق القمر))^(١).

٢- ومن تتبّع النَّاسِب في افتتاح السُّور الثلاث، وجدت أنه ورد في بعض الآيات الأولى من هذه السُّور الإخبار عن الأمم السَّابِقة، فقال ﷺ في الآية [٤] من سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾، وفي الآية [٩] قال ﷺ: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾.

وجاء في الآية [٣] من سورة (ص) الإخبار عن هلاك الأمم السَّابِقة المكذبة، فقال ﷺ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَجِئْ مِنْ مَاصٍ﴾، وقال ﷺ في الآية [٤] من سورة الأعراف: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.

وهكذا يؤكّد لنا هذا النَّاسِب بين مفتاح السُّور الثلاث على إعجاز القرآن الكريم، ويقدم لنا تفسيراً آخر عن سبب ترتيبها في النُّزول على هذا النحو: (القمر، و(ص)، والأعراف).

ت- النَّاسِب اللُّغَوِي بَيْن خَوَاتِيم السُّور الثلاث:

من روائع أسلوب القرآن، ونظمه النَّاسِب بين خواتيم السُّور، فتذكر خاتمة السُّور بديع الكلام من حكم، وجوامع الكلم، وغيره، ((وكما أن السلاطين يختمون رسائلهم، وفرامينهم بجوامع الكلم، ونوادر الوصايا على التمسك بالأوامر المذكورة، والتهديد لكل من يخالفها ويخرج عنها، كذلك الله تبارك وتعالى ختم أواخر السُّور بجوامع الكلم، ومنابع الحكم، والتأكيد البليغ، والتهديد العظيم))^(٢).

وقد ((تميزت خواتم السُّور كما تميزت فواتح السُّور بدلالاتٍ، ومعانٍ، وإشاراتٍ، محققةً أهدافها في مخاطبة البشر، مبينةً لهم حكماً، ومواعظ، داعيةً لهم بالهداية، والاستقامة، مبشرةً، ومنذرةً))^(٣).

(١) البحر المديد ٧ / ٣٧٠.

(٢) الفوز الكبير في أصول التفسير ١٤٣.

(٣) المدخل إلى علوم القرآن الكريم ١٢٥.

ومثاله: ما جاء في الخطاب الرباني في آخر سورة البقرة، حين قال ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢٨٦).

وفي التناسب اللغوي بين خواتيم السور الثلاث نجد أن سورة القمر اختتمت بذكر مصير المشركين الآخروي، وثواب المتقين المصدقين بآيات الله ﷻ ورسله، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۖ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (٤٨) ﴿تَاكُلُ شَيْءٌ خَلْقَهُ يَقْدِرُ﴾ (٤٩) ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (٥٠) ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (٥١) ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ (٥٢) ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ (٥٣) ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ (٥٤) ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ﴾.

واختتم سورة (ص) بمقطع ذكر فيه قصة آدم عليه السلام، وتكبر إبليس، وقد بين هذا المقطع مصير المكذابين الضالين، وثواب المتقين، فقال ﷻ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُحْلَصِينَ﴾ (٨٣) ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ (٨٤) ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

وذكر مختتم سورة الأعراف مجموعة من التوجيهات للأخلاق الفاضلة، وبيان حقيقة المؤمنين، فقال ﷻ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٣١) ﴿وَمَا يَزَعْنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٠٠) ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٢٠١) ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ (٢٠٢) ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا أُجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٠٣) ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢٠٤) ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٢٠٥) ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾.

من ذلك نلاحظ أن التناسب اللغوي واضح بين مختتم سورتي القمر، و(ص)؛ إذ بيّنا ثواب المتقين يوم القيامة، ومصير المشركين المكذابين، واختتمت سورة الأعراف بمجموعة من التوجيهات الأخلاقية التي ينبغي أن يتحلّى بها المؤمن، وهي مواثيق للبشرية بالعبودية لله ﷻ،

ولا شك في أنها المحددة، والمقرّرة، والقارئة لمصير الفئتين الأخروي، وبين النهج الصحيح الذي يجب أن يقتفى أثره لتوخي الوقوع فيما وقع فيه المشركون والشيطان، فحوى مختتمها عددًا من الأمور التي وجه بها الله ﷻ نبيه، وعلى المسلم الحق أن يسير على نهجها، ويتتبع أثرها لينال أجر الله ﷻ، وثوابه، ويتجنب سخطه، وعقابه، ومن هذه التوجيهات:

- أخذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم، مثل قبول الاعتذار، والعفو المتساهل، ووصل من قطعك.

- إتيان المعروف بإعطاء من حرمك.

- الإعراض عن الجاهلين بالعفو عن ظلمهم.

- الاستعاذة بالله ﷻ عند نزغ الشيطان، ووسوسته للقيام بالشر، وتذكره في هذه اللحظة حتى يدع ما يهم به مما يغضب خالقه.

- الإنصات والاستماع عند قراءة القرآن، وفهمه لاتباع هديه، واجتناب جميع نواهيه.

- ذكر الله ﷻ بالدعاء، وتسبيحه، والاستكانة له في الليل والنهار، ولا يغفل الإنسان عن ذلك لحظة واحدة.

- عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، وعدم الاستكبار على ذلك^(١).

وبهذا يتبين لنا التّناسب اللغوي بين خواتيم السُّور الثلاث، إذ تبيّن لنا خاتمة سورة الأعراف المنهج الذي يجب أن نتّبعه لنيل الثواب، وتجنّب العقاب، المذكورين في خاتمة سورتي القمر، و(ص).

ث- التّناسب اللغوي بين فاتحة السُّورة، وخاتمتها لما قبلها، وما بعدها:

من مظاهر إعجاز القرآن الكريم أنه يحمل روح التّركيب، أي أنّ كل سورة مرتبطة بما بعدها ارتباطًا وثيقًا وكأنه وحدة لغوية واحدة وتركيب واحد، فخاتمة كل سورة ممهدة لفاتحة السُّورة التالية لها، وهو نظام يتصف به، فيظهر لنا تماسك سوره؛ لأن هذا التركيب ينظر إلى نظم الكلمة وتأليفها، وبعدها تأليف النظم، ثم يظهر الإعجاز بتعلق هذا النظم في السُّورة بنظم السُّورة اللاحقة باستعمال رابط نهاية كل سورة، وبداية الأخرى، في تماسكٍ عجيبٍ، وبديعٍ يدل

(١) ينظر: الباب في علوم الكتاب ٩ / ٤٣١ - ٤٤٢.

على عظمة هذا القرآن، وأنه ليس من كلام البشر^(١).

قال مصطفى صادق الرافعي: ((وفي القرآن مظهرٌ غريبٌ لإعجازه المستمر، لا يحتاج في تعرفه إلى رويةٍ ولا إعنات ... وتُناسبُ كلُّ آيةٍ منه كلَّ آيةٍ أخرى في النظم والطريقة، وتتربط كل سورة منه مع سابقتها، ولاحتقتها في الروح العامة على اختلاف المعاني، وتباين الأغراض.. فكأنه قطعة واحدة))^(٢).

وسأدرس هذا النوع من التَّناسب على النحو الآتي:

١ - التَّناسب اللغوي بين خاتمة سورة القمر، وفاتحة سورة (ص):

جاء مختتم سورة القمر ليتناسب مع مفتتح سورة (ص)، فذكر مصير المشركين الأخروي، وبيان صفاتهم السيئة، وضرب الأمثال بمن سبقهم وسار على شاكلتهم؛ إذ قال ﷺ: ﴿أَمْرٌ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْصَرُونَ ٤٤ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبَرَ ٤٥ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ٤٦ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ٤٩ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ٥٠ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ٥١ وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ٥٢ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٍ ٥٣﴾.

وذكر مفتتح سورة (ص) طبيعة المشركين والرد عليهم، فقال ﷺ: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَجِئْ مِنْ مَنَاصِرٍ ٣ وَعِجْبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ٤ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ٥ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٦ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ٧ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأَلَمَةِ الْأَخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَخْلَاقٌ ٨ أَمْ نُنْزِلُ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ٩﴾.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة تثبت التَّناسب اللغوي بين مفتتح سورة (ص)، ومختتم سورة القمر فإننا سنجد الآتي:

(١) ينظر: مصابيح الدُّرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسُّور ٩٧.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ١٣٩ - ١٤٠، وينظر: مصابيح الدُّرر في تناسب آيات القرآن

الكريم والسُّور ٩٦ - ٩٧.

أ- ورد في الآية [٤٤] من سورة القمر صورة سيئة عن طباع المشركين، وهي التَّكْبُرُ، والغرور بعددهم، وعتادهم، والتَّبَجُّحُ باستحالة هزيمتهم أمام المسلمين مقابل جمعهم، وذلك في قوله ﷺ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾، أي: ((منتصرٌ ممن قصدنا بسوءٍ ومكروهٍ، وأراد حربنا وتفريق جمعنا))^(١).

وجاءت الآيات الأولى من سورة (ص) متممة ذكر طباع المشركين، وصفاتهم، فقال ﷺ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾، وهو ردٌّ على تبجُّحهم، وغرورهم بعددهم، وعدتهم؛ إذ يجيبهم الله ﷻ بأن الذين كفروا في عِزَّةٍ، وشِقَاقٍ دائمٍ، ولا يمكن أن ينتصروا على المسلمين حتى لو كثر عددهم، وعتادهم.

ثم واصلت الآيات في مفتتح سورة (ص) حديثها عن طبيعة المشركين، في تنعيم واضح لطبيعتهم المذكورة في مختتم سورة القمر، فقال ﷺ: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجْعَلُ لِلْأَلْهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِهِمْ ۝٦ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ۝٧﴾.

ب- جاء في خاتمة سورة القمر وعيد الله ﷻ للمشركين بالعذاب في النار يوم القيامة، فقال: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾.

وتناسب ذلك مع ما ذكرته فاتحة سورة (ص) من تهديد المشركين في قوله ﷺ: ﴿أَنْزِلْ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۝٨﴾، فجملة: ﴿لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ في الآية تعني: ((لم يذوقوا عذابي، وسيذوقونه))^(٢)، وهذا وعيدٌ، وتهديدٌ واضحٌ للمشركين، وتأكيدهم للوعيد الذي جاء في خاتمة سورة القمر.

ت- ورد في مختتم سورة القمر التذكير بهلاك الأمم السابقة المكذبة، فقال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝٥١﴾، وتناسب ذلك مع مفتتح سورة (ص) الذي أكد هذه الآية وذكر بهلاك تلك الأمم، فقال ﷻ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢ / ٦٠٢.

(٢) تفسير القرآن، للسمعاني ٤ / ٤٢٦.

ونلاحظ أيضاً أن مفتتح سورة (ص) غلب عليه الحديث عن طبيعة المشركين، وورد في مختتم سورة القمر في الأغلب الحديث عن مصيرهم يوم القيامة، فجاء مختتم سورة القمر ليبيّن جزاء ما يقوم به المشركون من أفعال وردت في مفتتح سورة (ص) في تناسبٍ ظاهرٍ بينهما، ففي المُفتتح الأفعال، وفي المُختتم الجزاء.

٢ - التَّنَاسُبُ اللُّغَوِيُّ بَيْنَ خَاتِمَةِ سُورَةِ (ص)، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ الْأَعْرَافِ:

اختتم الحق ﷻ سورة (ص) ببيان مصير إبليس، وأتباعه من المشركين يوم القيامة، وبيان مهمة الرسول ﷺ، ومهمة الكتاب الذي أنزل إليه؛ إذ قال ﷻ: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَنَعْلَمَنَّ بَأْسَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٧﴾.

وفي سورة الأعراف يفتتح الحق ﷻ السُّورَةَ ببيان ما أبانته خاتمة سورة (ص) من آيات دالة على أنَّ الكتاب الذي أنزل على الرسول ﷺ ما هو إلا من باب الذكرى، وبيّن مفتتحها مصير كل من أشرك بالله، فقال ﷻ: ﴿كَتَبْنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٣) وَكَمْ مِّن قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (٤) فَمَا كَانَ دَعْوَانَهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤﴾.

وبهذا يتبين لنا وحدة الموضوع بين خاتمة سورة (ص)، ومفتتح سورة الأعراف.

ومن تتبّع التَّنَاسُبَ اللُّغَوِيَّ بينهما في هذا الجانب وجدت تماسكاً بين آياته يتمثل في الآتي:

أ- جاء في الآيتين [٨٥ - ٨٤] من سورة (ص) التهديد والقسم من الله ﷻ بإدخال إبليس، وكل من تبعه نار جهنم، فقال ﷻ: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾، ((وهذا قسم منه ﷻ، أن النار دار العصاة، لا بد أن يملأها من إبليس، وأتباعه من الجن، والإنس)) (١).

وجاء في مفتتح سورة الأعراف الدعوة لاتباع ما أنزل الله ﷻ في كتابه، والتأكيد على

حرمة اتباع أي أحد من دونه، في تناسب بين مع أواخر سورة (ص)، فهناك نهي عن اتباع إبليس، وهنا أمر باتباع الله ﷻ؛ إذ يقول ﷻ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكُرُونَ﴾ (٢)، وهذا يؤكد الترابط بين السورتين.

ب- ورد ذكر القرآن الكريم في أواخر سورة (ص)، فقال ﷻ في الآية [٨٧]: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، ففي هذه الآية يخاطب الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ فيقول له: ((قل لهؤلاء المشركين من قومك: ﴿إِنْ هُوَ﴾ يعني: ما هذا القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾، يقول: إلا تذكير من الله ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ من الجن، والإنس، ذكرهم ربهم إرادة استنقاذ من آمن به منهم من الهلكة))^(١)، فبيّنت الآية الغاية من نزول القرآن الكريم.

وذكرت فاتحة سورة الأعراف القرآن الكريم، وبيّنت الغاية من نزوله بصورة أكثر تفصيلاً، فقال ﷻ: ﴿كِتَبٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنْذَرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)، أي: ((﴿كِتَبٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾، أي: ضيق من حمله، فلا تسعه لعظمه، فتتلاشى بالفناء والوحدة، والاستغراق في عين الجمع، ﴿لِيُنْذَرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: ليمكنك الإنذار والتذكير؛ إذ بالاستغراق لا ترى إلا الحق))^(٢).

ثانياً: التناسب اللغوي بين السور الثلاث من حيث الموضوعات المشتركة:

من خلال الدراسة السابقة للتناسب اللغوي بين السور الثلاث وجدتها تذكر مجموعة من الموضوعات المشتركة في تناسب يسوّغ ترتيبها في النزول على النحو السابق، ومن هذه الموضوعات:

١ - أحوال الأمم مع أنبيائهم:

ذكرت السور الثلاث أحوال الأمم السابقة مع أنبيائهم، أي: موقف المشركين من دعوة التوحيد التي جاء بها أنبياء الله، فتحدث المقطع الأول من سورة القمر عن معجزة انشقاقه، وموقف المشركين المكذب لها، وتكذيبهم دعوة التوحيد، في انسجام طبيعي مع سليقتهم

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٢٤٣.

(٢) روح المعاني ٤ / ٣٣٧.

وطبعتهم، وردت عليهم الآيات في المقطع نفسه بما يثبت ضلال موقفهم، فقال ﷻ: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۚ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ۚ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ۚ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۚ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ۚ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ ۚ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ۚ مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۚ ۞

وتناسب ذلك مع ما ذكرته سورة (ص) في المقطع الأول، الذي تحدث عن طبيعة المشركين، والرد عليهم، وذلك في الآيات [١ - ١١]، فقال ﷻ: ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۚ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقٍ ۚ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَجِئْ بِحُجَّتِنَا هَذِهِ إِلَّا أَنْ تُخْرُجَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ۚ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۚ أَجْعَلْ لِلَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۚ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصِبُوا عَلَىٰ أَلْهَتِهِمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۚ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأَلْجَةِ الْأَخْرِى ۚ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقٌ نَبِيٍّ ۚ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُورُوا عَذَابٍ ۚ أَمِ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۚ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۚ جُنْدٌ مَا هَٰؤُلَاءِ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ۚ ۞

وتحدثت آيات المقطع قبل الأخير من سورة الأعراف عن طبيعة المشركين، وردت على موقفهم في قوله ﷻ: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۚ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ أَيْشِرُكُمْ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۚ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ۚ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَاغِتُونَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۚ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۚ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۚ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا ۚ فَلَا تُنْظَرُونَ ۚ إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ۚ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۚ ۞

٢- قصص الأنبياء:

ذكرت السُّور الثلاث، كما رأينا سابقاً، مجموعةً من قصص الأنبياء مع أقوامهم، فوردت في سورة القمر قصص أنبياء الله: (نوح، وهود، وصالح، ولوط، وموسى) عليهم السلام، وفي سورة (ص) قصص الأنبياء: (داود، وسليمان، وأيوب، وإبراهيم، وآدم) عليهم السلام، وفي سورة الأعراف قصص الأنبياء: (آدم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى) عليهم السلام.

٣- وصف الجنة:

من التَّنَاسُب العجيب بين السُّور الثلاث أن جميعها، كما رأينا، تحدثت عن ثواب المتقين، ففي سورة القمر قال ﷻ مبيناً هذا الثواب: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ۖ﴾.

وقال في سورة (ص): ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْنَحَةٍ لَّهُمُ الْآبُوتُ ﴿٥٠﴾ مُتَكِينٍ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْفَرْفِ أَزْرَابٍ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ۖ﴾.

وقال ﷻ في سورة الأعراف: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۖ﴾.

٤- جزاء المشركين، والمكذابين:

وذكرت السُّور الثلاث ثواب المتقين فجاءت في المقابل؛ لتبين جزاء المشركين والمكذابين، فقال الله ﷻ في سورة القمر: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَىٰ وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۖ﴾.

وبينت سورة (ص) هذا الجزاء في قوله ﷻ: ﴿هَذَا وَإِلَىٰ لِلطَّاغِينَ لَشَرٌّ مَثَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ

يَصْلُونَهَا فَيُؤْسِلُ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾

وفي سورة الأعراف قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ هُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَلَقَاءِ الْآخِرَةِ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤٧﴾

من ذلك يتبين أن لترتيب السُّور الثلاث (القمر، و(ص)، والأعراف) على هذا النحو ما يسوغه.

المبحث الثاني

المناسبات اللغوية في سورة (ص) ضمن الترتيب المصحفي

إن المُتَتَبِّع لسور القرآن الكريم يجدها متتابعةً ومتسلسلةً تسلسلاً توقيفياً، ومتَّصلةً وملتحمةً بعضها ببعض؛ إذ تكوّن لنا وحدةً موضوعيةً في غاية الروعة والجمال، ويصير حالها كحال البناء المحكم المتناسق الأجزاء^(١).

وجاء علم المناسبة ليثبت مسألة التوقيف بالنسبة إلى ترتيب السُور والآيات، وهذا يدلُّ على الإعجاز اللغوي القرآني الذي يؤكد الترابط المحكم بين آياته في تسلسل معانيه، وأن كل فكرة فيه تؤدي للأخرى، وكل حكم يؤدي للآخر^(٢)، كل ذلك بهدف الوصول إلى المعنى المقصود والحكمة المبتغاة، والغاية المطلوبة.

أي إنَّ علم المناسبة جاء لتأكيد غايتين، هما:

١- تماسك السُور على نظام، ونسق لغويين معينين.

٢- تأكيد مسألة (توقيفية ترتيب السُور في المصحف)^(٣).

وأهم ما جاء من مناسبة سورة (ص) مع ما قبلها، وما بعدها ضمن الترتيب المصحفي:

أولاً: التَّنَاسُبُ اللُّغَوِيُّ بَيْنَ سُورَةِ (ص)، وَسُورَتَيْ (الصَّافَّاتِ، وَالزُّمَرِ):

هناك تناسبٌ رائعٌ بين هذه السُور الثلاث، ما يدل دلالةً واضحةً على إعجاز القرآن الكريم، وأنَّ ترتيب هذه السُور بهذا النظم الإبداعي لم يكن مصادفةً، فسورة (ص) هي السُورة الثامنة والثلاثون بحسب ترتيب المصحف، وتأتي بعد سورة الصَّافَّاتِ، وقبل سورة الزُّمَرِ.

قال السيوطي عنها: ((هذه السُورة بعد الصَّافَّاتِ، ك(طس) بعد الشعراء، وك(طه) والأنبياء بعد مريم، وك(يوسف) بعد هود، في كونها متممة لها بذكر من بقي من الأنبياء ممن لم يذكروا فيها))^(٤).

(١) ينظر: مصابيح الدُّرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور ١٨.

(٢) ينظر: علم المناسبات في القرآن ١٨.

(٣) ينظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم ١٤١.

(٤) أسرار ترتيب القرآن ١٢٧.

كذلك ذكر السيوطي عن سورة الزمر أنّ هناك ما يدل على أن ترتيب سورة (ص) يأتي قبلها، وهو الاتصال الوثيق بين ما جاء في أول سورة الزمر من ذكر تنزيل الكتاب، في قوله ﷺ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١)، وتصدير سورة (ص) بقوله ﷺ: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (١)، فهناك تلاحم بين ذكر الكتاب وتنزيله (١).

لم يقتصر الترابط بين سورتي (ص)، والصفّات من ناحية الترتيب على ما ذكره السيوطي؛ إذ جاء في مطلع سورة (ص) قوله ﷺ: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (١)، وهو إشارة استقبلها النبي ﷺ، والمؤمنون في آخر سورة الصفّات في قوله ﷺ: ﴿وَلَحْمُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨٢)، بمعنى: ((سبحنا بحمدك ربنا، وحق ص والقرآن ذي الذكر الذي آمنا به)) (٢).

فضلاً عن ذلك، فإنّ ترتيبها على هذا النحو في المصحف يأتي من عدة أوجه، وهي:

١ - الطول والقصر:

يرى السيوطي أنّ السبب في تقديم سورة في المصحف على أخرى مراعاة طولها وقصرها (٣)، وكذلك يرى المراغي أنّ ((الناظر إلى ترتيب السور كلها في المصحف يرى أنه قد روعي في ترتيبها الطول، والتوسط، والقصر في الجملة؛ ليكون ذلك أعون على التلاوة وأسهل في الحفظ)) (٤)؛ لذا نجد أنّ ترتيب السور في المصحف قام على أساس مراعاة طول الجمل التي في السور، وتوسطها، وقصرها (٥).

فسورة الصفّات تتألف من [١٨٢] آية، وعدد آيات سورة (ص) [٨٨] آية، بينما تتألف سورة الزمر من [٧٥] آية، وهذا يعني أن سورة (ص) أقصر من سورة الصفّات، وأطول من سورة الزمر في عدد الآيات؛ لذا نجدها تتوسط السورتين في الترتيب المصحفي.

٢ - التفصيل والإجمال:

(١) ينظر: أسرار ترتيب القرآن ١٢٨.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب ١٢ / ١٠٤٧.

(٣) ينظر: أسرار ترتيب القرآن ٦١.

(٤) تفسير المراغي ٧ / ٦٩.

(٥) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ٧ / ٢٤٠.

وهو جانب من جوانب ترتيب السُّور في المصحف؛ إذ ذكر السيوطي أن قضايا كل سورة تأتي في الغالب تفصيلاً أو شرحاً للقضايا التي وردت في السُّورة السابقة لها^(١). وسأتناول هذا الجانب من خلال بيان علاقات التفصيل، والإجمال على النحو الآتي:

أ- التَّنَاسُب اللُّغَوِي بَيْن السُّور الثَّلَاث:

يُعَدُّ هذا الوجه من أسرار ترتيب سور القرآن الكريم في المصحف؛ إذ نجد أنَّ ما أجمل في السُّورة الأولى يفصَّل في السُّورة الثانية، أو الثالثة، وقد نجد أنَّ ما أجمل في السُّورة الثانية يفصَّل في السُّورة الثالثة أو العكس، وهكذا، وهذا ما وجدته من دراسة التَّنَاسُب اللُّغَوِي بَيْن السُّور الثَّلَاث، فمن صورته:

ورد التَّنَاسُب بَيْن سورتي ((ص)، والصَّافَّات) في الإجمال، والتفصيل، إذ نجد أن ما ذكر في (ص) مجملاً وورد مفصلاً في سورة الصَّافَّات، فحين ذكر الله ﷻ ثواب المتَّقِينَ يوم القيامة في قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۖ فَوَكَهَهُمْ كُرْهُمُ الَّذِي كَانُوا يُكَرِّمُونَ ۖ﴾ (٤٢) فِي جَنَّةٍ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَكُونَ (٤٧) وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْإِلَافِ عِزٌّ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿ [الصَّافَّات: ٤١ - ٤٩]، أجمل هذا التفصيل في سورة (ص)، فقال: ﴿جَنَّةٍ عَدْنٍ مُّفَنَّجَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْإِلَافِ أَرْبَابٌ﴾، فنلاحظ في هذين الموضعين أنَّ آيات سورة الصَّافَّات فصلت ثواب المتَّقِينَ، وذكرت ما احتوت عليه جنات الخلد، فهو وصف تفصيلي، في حين أجملت آيات سورة (ص) هذا الوصف، واكتفت بذكر الجنَّة، وأبوابها، وفاكهتها، وشرابها، وصورها. لم يقتصر إجمال سورة (ص) في التفصيل الوارد في سورة الصَّافَّات على وصف الجنَّة، وإنما نجده في وصف العذاب، فحين أجمل الوصف في سورة (ص) في قوله ﷻ: ﴿هَذَا وَإِلِىَّ لِلطَّالِغِينَ لَشَرٍّ مَتَابٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنَسُوا لِمَ هَادُوا ۖ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ﴾ نجده يفصِّل هذا الإجمال في سورة الصَّافَّات، فقال ﷻ: ﴿مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣)﴾، وقال: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤)﴾، وقال ﷻ: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨)﴾، وقال: ﴿فَاطْلَعَ قَرَأَاهُ فِي﴾

(١) ينظر: أسرار ترتيب القرآن ١١٨.

سَوَاءَ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾، وقال ﷺ مفصلاً صنوف العذاب الأخرى للمشركين: ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ أَنَّ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾، وقال: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾.

وذكرت سورة (ص) في بعض آياتها ثواب المتقين يوم القيامة، وجاءت سورة الزمر متممة ذكر ذلك الثواب، فقال ﷺ: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾، وبيّنت الآية [٣٤] بأن لهم ما تشتهي أنفسهم من طعام، وشراب، وغيره، فقال ﷺ: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾، ومن تكريم الله ﷻ لهم يوم القيامة عدم مساس السوء بهم، وأنهم في فرح دائم وسرور، فقال ﷺ: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١﴾﴾، ولا شك أن مصيرهم الجنة جزاء بما عملوا فقال ﷺ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾، ولم ينس المؤمن فضل الله ﷻ عليه، فحمده، وأثنى عليه فقال ﷺ على لسانهم: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُكَ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

كذلك ذكرت بعض الآيات في سورة (ص) جزاء المشركين يوم القيامة في عدة مواضع، وأتمت سورة الزمر ذكر هذا الجزاء، وأن مصيرهم نار جهنم فقال ﷺ: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُونَ ﴿١٦﴾﴾، وأنهم سيجزون جزاء شبيها بجزاء الأمم المكذبة السابقة، وهو الخزي في الدنيا، والعذاب في الآخرة، قال ﷺ: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانْتَبِهُوا الْعَذَابُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ فَآذَقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، ويصف الله ﷻ وجوههم بأنها مسودة، فيقول: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾؛ إذ إن ((وُجُوهُهُمْ مُّسْوَدَّةٌ)) بما ينالهم من الشدة التي تغير ألوانهم حقيقة، ويجوز أن يكون ذلك من باب

المجاز؛ لما يعلو وجوههم من الكآبة، ويلحقها من الهم والحزن))^(١)، ولا شك بأنهم سيساقون لنار جهنم خالدين مخلدين فيها، فقال ﷻ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۖ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَوَٰىمَٰتُ الْكَافِرِينَ ۚ﴾.

علاوة على ذلك فإن آيتي التوحيد في سورتي الصافات، و(ص) جاءتا مجملتين، ففصل الله ﷻ مقتضى هذا التوحيد في سورة الزمر، فقال ﷻ في الآية [٤] من سورة الصافات: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۚ﴾، ففي هذه الآية أقر ﷻ الوجدانية له جملة على لسان رسوله محمد ﷺ، وحينما أخبر الرسول قومه بوحدانيته ﷻ أجابوه في سورة (ص) منكرين قوله: ﴿أَجْعَلِ الْإِلَٰهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ ۝٥﴾، فجاءت آية الزمر مفصلة مقتضى هذا التوحيد، وهو أن يكون الدين كله خالصاً لله؛ إذ يقول ﷻ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ... ۝٣﴾، أي: ((ألا لله العبادة والطاعة وحده لا شريك له، خالصة لا شرك لأحد معه فيها فلا ينبغي ذلك لأحد؛ لأن كل ما دونه ملكه، وعلى المملوك طاعة مالكة، لا من لا يملك منه شيئاً))^(٢).

كذلك فإن الله ﷻ أورد في سورة الصافات ذكر ربوبيته للسموات، وتكفله بحمايتها، وفصل في أوصافها، ودعا للتفكير فيها فقال ﷻ: ﴿رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَن خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۚ﴾.

أما في سورة (ص) فقد جاء الحديث عن السموات مجملًا، فقال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا... ۝٢٧﴾، وفي سورة الزمر فصل الله ﷻ فيما ينزل من السماء وما يعقب ذلك من آثار فقال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٥٩٠.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٢٥٠.

بِهِ زَرْعًا مُخْلِفًا آلَؤُنْهُ، ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

وذكر الله ﷻ عباده المخلصين في سورة الصافات دون ذكر صفة من صفاتهم حين قال: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤٠)، بينما في سورة الزمر نجد ﷻ يفصل في بعض صفاتهم فقال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١٨).

وإذا جئنا إلى تقول المشركين على الله ﷻ نجدهم في سورة الصافات يجعلون بينه وبين الجنة نسباً، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا...﴾ (١٥٨)، ودحض هذا الافتراء التفصيل الموجود في سورة (ص)، فقد ورد فيه اعتراف إبليس نفسه بأن الله ﷻ خالقه، ولم تكتفِ السورة بذلك بل بيّنت أصل خلقه، وبيّنت أصل خلق الإنسان، فقال ﷻ: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ فهذا التفصيل، كما أسلفت، دحض افتراء المشركين بوجود نسب بين الله ﷻ وبين الجنة، تعالى الله علواً كبيراً.

ب- التناسب اللغوي بين سورتي (ص)، والصافات:

ترتبط سورة (ص) بالصافات ارتباطاً لغوياً وثيقاً في مسألتي التفصيل، والإجمال، ومن صوره أن نجد سورة (ص) تذكر حالة وفي الصافات نتيجتها وجزاؤها، أو أن يكون ما ورد في سورة (ص) سبباً لما ورد في سورة الصافات.

فمن ذلك قوله ﷻ في سورة (ص): ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ (٤) أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾، أي: قال الكافرون: ((أجعل محمد المعبودات كلها واحداً، يسمع دعاءنا جميعنا، ويعلم عبادة كل عابد عبده منا؟)) إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٦﴾ أي: إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ((١)).

فيلحظ في هذه الآية اتهام الكافرين النبي محمداً ﷺ بالسحر والكذب، وإنكار وحدانية الله

ﷺ، فلا يمكن، بحسب زعمهم، أن يكون المعبود واحداً، فقد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربت قلوبهم ذلك، فأصبحت عقيدة راسخة في عقولهم، لذلك أعظموا أفراد الإله بالعبودية، وتعجبوا من دعوتهم لترك الشرك بالله ﷺ، وقالوا: ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ ﴾ (١).

وللسائل أن يسأل هنا: ما نتيجة هؤلاء القوم وما ادَّعوه؟ أجاب الله ﷻ عن هذا السؤال في سورة الصافات؛ إذ ذكر عذاب هؤلاء المشركين والمكذبين، فقال ﷻ: ﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾، فيقال للملائكة يوم القيامة: اجمعوا الكافرين، وأزواجهم، وأشياعهم الذين يعبدون من دون الله الآلهة، فوجهوهم إلى طريق الجحيم، واحبسوهم أيها الملائكة حتى يحاسبوا (٢)، فبينت الآيات جزاء هؤلاء المكذبين، ووصفتهم السورة نفسها بالمجرمين؛ من هول عنادهم، وإمعانهم في التكذيب، واستكبارهم على آيات الله ﷻ، فقال ﷻ: ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣٤)، ووصفت عذابهم يوم القيامة بالأليم في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴾ (٣٨)، أي: العذاب المجمع (٣)، وواصلت سورة الصافات حديثها عن جزاء المشركين، ومصيرهم يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَابًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ۖ

من تتبّع الآيتين [٤-٥] من سورة (ص)، والآيات [٢٢-٢٤، ٣٤، ٣٨، ٦٧-٦٨] من سورة الصافات، يتبين لنا أن آيتي سورة (ص) أوضحتا السبب الحقيقي وراء عذاب المشركين الوارد في آيات سورة الصافات، فلو أردنا الجمع بين الآيات لاستقام اللفظ والمعنى، وكأنه كلام واحد متصل، ﴿ وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴾ (٤) أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ ﴾ [ص: ٤ - ٥] ﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٢ - ٢٤]، ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٧ / ٥٣.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٢٧ - ٢٩.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢ / ١٢٠.

بِالْمُجْرِمِينَ ﴿ [الصَّافَّات: ٣٤]، ﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [الصَّافَّات: ٣٨]، ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَابًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ [الصَّافَّات: ٦٧-٦٨].

وحدث مثل هذا التَّنَاسُب في موضعٍ آخر؛ إذ قال ﷺ في سورة (ص): ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَبُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾، ففي هاتين الآيتين تكذيب الأمم السابقة للرسل فقط، ولم يُذكر حُجَّتُهُمْ في التكذيب، ولكنها ذُكرت في الصَّافَّات، فقال ﷺ: ﴿ أَعَادَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَآهَا وَعَظَمْنَا أَعَادَا لَمَدِينُونَ ﴾ ﴿١٦﴾، وقال: ﴿ أَعَادَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَآهَا وَعَظَمْنَا أَعَادَا لَمَدِينُونَ ﴾ ﴿٥٣﴾، فهاتان الآيتان توضَّحان السبب الذي حمل المُكذِّبين على الاستهزاء بجميع المعجزات، وتكذيب الرُّسل، وهو اعتقادهم بأن من مات، وتفرقت أجزاؤه، واختلطت بقاياها بتراب الأرض؛ فلا يعقل أن يعود للحياة (١).

لذا يبدو أن هناك تناسباً واضحاً بين النصوص، فالآيتان في سورة (ص) ذكرتا تكذيب أقوام سابقين رسلهم، وذكرت سورة الصَّافَّات حُجَّتَهُمْ في التكذيب، وما يدلُّ على قوة التَّنَاسُب أن لو دمجنا آيات السورتين لاتفقت لفظاً ومعنى.

ومن صور التَّنَاسُب بين السورتين أنَّ سورة (ص) ذكرت من الأنبياء ما يصلح أن يكون متمماً لقصص أنبياء آخرين ورد ذكرهم في سورة الصَّافَّات، فورد في سورة (ص) ذكر النبي داود عليه السلام في قوله ﷺ: ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَحْفَظْ حَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكَمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ ﴿٢٢﴾، والنبي سليمان عليه السلام في قوله ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ ﴿٢٤﴾، والنبي أيوب عليه السلام في قوله ﷺ: ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ ﴿٤١﴾، وأشارت الآيات الأخرى في سورة (ص) إلى بقية من ذكر في سورة الصَّافَّات، فقال ﷺ: ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ ﴿٤٥﴾.

وذكرت سورة الصَّافَّات عدداً من الأنبياء وهم: نوح عليه السلام في قوله ﷺ: ﴿ سَلَّمْ عَلَى نُوحٍ فِي

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٢٨٧.

الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾، وإبراهيم عليه السلام في قوله ﷺ: ﴿وَإِن مِّن شَيْعَةٍ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٨٣﴾، وموسى عليه السلام فقال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ﴿١١٤﴾، وذكرت أنبياء الله: (إسحاق، وإلياس، ولوط، ويونس) عليهم السلام في قوله ﷺ: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١١٤﴾، ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٢٣﴾، ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٢٣﴾، ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٢٩﴾.

ومن خلال تتبُّع آيات سورة الصَّافَّات وجدت بعض الآيات التي تتكلم على جزاء المشركين، والمكذِّبين يوم القيامة، فقال ﷺ: ﴿مِن دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿١٢٣﴾، فيأمر الله ﷻ في هذه الآية بأن يدخل المشركين نار جهنم جزاءً بما فعلوا في دنياهم من تكذيب رسالته، وكفر بها، وذكر ﷺ بأن هذا مصير جميع المجرمين ممن هم على شاكلتهم فقال: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٣٤﴾، وأن عذابهم سيكون أليماً موجعاً فقال ﷺ: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ ﴿٣٨﴾، وأنهم سيقذفون في سواء الجحيم، أي: وسط النار^(١)، فقال ﷺ: ﴿فَاطْلَعْ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٥٥﴾، وسيعاقبون في النار بالأكل من شجرة الزقوم، وهو شجر مرّ كريه الرائحة^(٢)، قال ﷺ: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ﴾ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَا ثَوْنٌ مِنْهَا الْبَطُونِ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾، ويأمر الله ﷻ بالقائهم في النار فقال: ﴿قَالُوا أَبْنَاؤُهُ بُنَيْنَا فَاقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ ﴿١٧﴾.

وجاءت بعض آيات سورة (ص) لتتّم ما ذكرته آيات سورة الصَّافَّات من بيان جزاء المشركين يوم الحساب فقال ﷺ: ﴿هَذَا وَاتِّكِ لِلطَّغْيَيْنِ لَشَرَّ مَاءٍ﴾ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنَسُوا لَهَا هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ﴿٥٦﴾؛ إذ بينت أن مصيرهم النار، وسيشربون فيها الحميم، والغسَّاق، أي: يشربون ((الماء الحار الذي انتهى في الحرارة، والقيح الذي يسيل من جلودهم))^(٣).

بينت الآية [١١] من سورة الصَّافَّات طبيعة خلق الإنسان، فقد خلقه الله ﷻ من طين

(١) ينظر: للباب في علوم الكتاب ١ / ٣١٣.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٤٢٠.

(٣) تفسير القرآن، للسمعاني ٤ / ٤٥٠.

لازب، أي: الطين الجيد المتلاصق^(١)، قال ﷺ: ﴿...إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾، وجاءت الآية [٧٢] من سورة (ص) متممة لها، فقد أوضحت المرحلة الأخرى من مراحل خلق الإنسان وهي بث الروح فيه، فقال ﷺ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي...﴾.

ت - التَّنَاسُبُ اللُّغَوِيُّ بَيْنَ سُورَتَيْ (ص)، وَالزُّمَرِ:

لم تقتصر مناسبات الإجمال، والتفصيل اللغوية على سورتي الصافات، و(ص)، وإنما نجدها في سورتي (ص)، والزمر، فمن ذلك ما نجده في مفتتح السورتين؛ إذ قال ﷺ في سورة (ص): ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ①﴾، فوصف القرآن بـ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾ ولم يذكر تنزيله، ومصدره، في حين أتمت سورة الزمر الآية بذكر مصدر تنزيله في قوله ﷺ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ①﴾.

ونجد في سورة الزمر موضعاً آخر يجمع ما فصلته سورة (ص)؛ إذ قال ﷺ فيها: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ②﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، فجاءت الآيتان مجملتين فلم تفصلاً في ذكر الأقسام المكذبين، في حين فصلت سورة (ص) ذلك بقوله ﷺ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ③﴾ وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ④﴾.

ومن التَّنَاسُبِ الجميل في الإجمال، والتفصيل أننا نجد في سورة (ص) ذكر الصيحة يوم القيامة، فقال جلَّ شأنه: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ⑤﴾، فنلاحظ من هذه الآية أنها غير مفصلة في ذكر أهوالها وما يحصل للناس لحظتها، وهو ما ذكرته سورة الزمر في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يَنْظُرُونَ ⑥﴾، ويمكن حصر التفصيل في الآتي:

١- ذكر حالة من في السماوات، ومن في الأرض، وهم يصابون بالصعق.

٢- ذكر النفخة الثانية.

ث - التَّنَاسُبُ اللُّغَوِيُّ بَيْنَ فَوَاتِحِ السُّورِ الثَّلَاثِ:

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٧ / ٧.

تعد فواتح السُّور سرًّا من أسرار إعجاز القرآن الكريم^(١)؛ إذ تعطي صورة عن غرض السُّورة ومقاصدها، ((وقد أتت فواتح السُّور على أحسن الوجوه، وأبلغها، وأكملها، كالتَّحميدات، وحروف الهجاء، والنداء، وغير ذلك))^(٢).

وافْتُتِحَتْ سور القرآن الكريم بعشرة أنواع من الكلام لا تحيد عنها، وهي الاستفتاح بـ(الثناء لله ﷻ، وحرف من حروف التَّهجي، والنداء، والجمل الخبرية، والقسم، والشرط، والأمر، والاستفهام، والدعاء، والتعليل)^(٣).

يجد الناظر إلى مفتتح سورة الصَّافَّات ما تحار له الأبواب، وتخضع عند ذكره القلوب؛ إذ قال ﷻ: ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ۚ فَالزَّجَرِ زَجْرًا ۚ فَالتَّايِبِ ذِكْرًا ۚ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ۚ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۚ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ۖ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ۚ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۚ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۚ إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخُطْفَةَ فَتَنْبَعُهُ ۚ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ۚ﴾.

ف نجد في هذا المفتتح تأكيد الله ﷻ وحدانيته بعد عدَّة أيمان أقسمها، والله ﷻ لا يقسم بشيء إلا واقتضى قسمه عظمة المقسم به، بعدها أكد ﷻ ربوبيته لكل شيء، ودلَّ على استحقاقه لتلك الوحدانية، والربوبية بعظيم صنعه في تزيين السماء الدنيا، وقدرته على حفظها من مردة الشياطين، ومسترقي السمع، وساق الأدلة التي تخاطب العقل، والمنطق بأن لفت الأنظار إلى الظواهر الكونية الدالة على وحدانيته ﷻ.

وفي مفتتح سورة (ص) يقول الحق ﷻ: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۚ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۚ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحِثْ مَنَاصٍ ۚ وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۚ أَجْعَلُ آلَ اللَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا ۚ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۚ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهِتِكُمْ ۚ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۚ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ۚ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقٌ ۚ أَمْ نُزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٣ / ١٣٧٣.

(٢) الموسوعة القرآنية، للإبياري ٢ / ٢٧٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٢ / ٢٧٨ - ٢٧٩.

شَكَ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُفُّوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْرُهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَزْتَمُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾.

افتتحت السُّورة بحرف ﴿ص﴾ الذي اختلف في تفسيره، كما أسلفت، ثم انتقلت إلى
القسم بأعظم كتاب سماوي أنزله الله ﷻ على البشرية، بعدها تحدّثت عن طبيعة المشركين
المشككين في وحدانية الله ﷻ.

وهنا نلاحظ التلاحم بين مفتتح سورة الصّافات، ومفتتح سورة (ص)، فكلاهما أشار إلى
عقيدة التوحيد.

وافتح الحق ﷻ سورة الزُّمر بتعميق عقيدة التوحيد، وتأصيلها، وغرسها فقال ﷻ:
﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ
﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ
يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ
وَلَدًا لَا صُفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
يُكَوِّرُ أَيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى
أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِينَ زَوْجٌ
يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَإَن تَصَرَّفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ
وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾.

من ذلك نجد أنّ السُّور الثلاث تمثّل بدايات مترابطة، ومتناسبة فيما بينها، وتكاد تكون
متفقة في تعبيراتها، ففي مطلع سورة الصّافات يقول الله ﷻ: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّجْرَتِ زَجْرًا
﴿٢﴾ فَالَّتِيلَتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾﴾، وفي بداية سورة (ص) يقول ﷻ: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي
الذِّكْرِ ﴿١﴾﴾، وابتدأت سورة الزُّمر بقوله ﷻ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ
إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾﴾.

ونلاحظ أنّ سورة الصّافات ابتدأت بالقسم بوحديته ﷻ في الآيات [١ - ٥]، وأكدت

الآيات [٦ - ١٠] تلك الوجدانية التي تجلّت في مظاهر قدرة الله ﷻ الكونية، وجاء في مفتتحها ذكر القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿قَالَتِلَيْتِ ذِكْرًا ۝٣﴾، وهي ((إشارة إلى قراءة القرآن في الصلاة))^(١)، أي جاء في مفتتحها الحديث عن وجدانية الله ﷻ، وورد فيه ذكر القرآن الكريم.

ورأينا أنّ سورة (ص) ابتدأت بحرف من حروف التّهجي، تبعه القسم بالقرآن الكريم، كذلك تحدثت في مفتتحها عن التوحيد، حينما أوردت بتهم سؤال المُكذّبين وتعجبهم من وجدانية الله في قوله ﷻ على لسانهم: ﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ ۝٥﴾. فنلحظ من ذلك أن مفتتح سورة (ص) ورد فيه ذكر القرآن الكريم، والحديث عن التوحيد، وهذا ما وجدته أيضًا في مفتتح سورة الصّافات^(٢).

ومن تتبّع آيات مفتتح سورة الرّمّ يجدها بدأت بالحديث عن نزول القرآن الكريم، ومصدر تنزيله، فقال ﷻ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ...، ثم عن وجدانية الله ﷻ: ﴿... فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝٢﴾، بعدها التأكيد على وجدانية الله ﷻ، والوعيد لمن يشرك به: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾، وبيّنت الآية [٤] أن الله ﷻ لا يشاركه أحد في هذه الوجدانية فقال: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝٥﴾، ودلّت الآيتان [٥ - ٦] على هذه الوجدانية من خلال آيات الله الكونية في قوله ﷻ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۝٥﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً ۚ أَنْزَلَ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَىٰ تُصْرَفُونَ ۝٧﴾، بينما الآية [٧] أظهرت استغناء الله ﷻ عن الكافرين، وأنهم

(١) مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣١٤.

(٢) ينظر: التّناسب بين السّور في المفتتح والخواتيم ١٢٩.

سيحاسبون على شركهم به، واستكبارهم على توحيده، فقال ﷺ: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

وهكذا نجد التناسب اللغوي بين فواتح السور الثلاث من جانبيين. هما:

الجانب الأول: (الحديث عن عقيدة التوحيد):

فبعد أن أثبت الله ﷻ وحدانيته في سورة الصافات، وأنكر على من لم يتبع عقيدة التوحيد في سورة (ص)، انتقل إلى سورة الزمر للحديث عن مقتضى هذه العقيدة، وهو أن يكون الدين الخالص كله لله، ودحض كل العقائد الفاسدة التي تناقض ذلك.

الجانب الثاني: (ذكر القرآن الكريم):

ورد في مفتتح السور الثلاث، كما أسلفت، ذكر القرآن الكريم في تناسب جميل بينها، فقال ﷻ في سورة الزمر: ﴿تَزِيلُ الْكِتَابَ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ...، وقال في سورة (ص): ﴿... وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝١﴾، وفي سورة الصافات قال ﷻ: ﴿فَأَتْلَيْتَ ذِكْرًا ۝٢﴾.

ج- التناسب اللغوي بين خواتيم السور الثلاث:

من جماليات النظم القرآني وجود تناسبٍ جميلٍ، وبديعٍ بين خواتيم سورته، وفي ذلك قال الإبياري عنها: ((هي أيضا مثل الفواتح في الحسن؛ لأنها آخر ما يقرع الأسماء؛ فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام؛ حتى لا يبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يذكر بعد؛ لأنها بين أدعية، ووصايا، وفرائض، وتحميد، وتهليل، ومواعظ، ووعد، ووعيد، إلى غير ذلك))^(١).

ومن تتبع خواتيم السور الثلاث يجد ما يدل على الترابط، والتلاحم بينها، فخاتمة سورة الصافات مناقشة المشركين في عقائدهم؛ لإثبات بطلانها، واستئصالها من جذورها بالحجج الدامغة والآيات الساطعة، ثم تتحول إلى لغة الوعيد، والتهديد حتى يكون ذلك أدعى للشعور بالخوف، والوجل، والرجوع إلى عقيدة الحق التي لا يزيغ عنها إلا هالك، قال ﷻ في مقطع

(١) الموسوعة القرآنية، للإبياري ٢ / ٢٨١.

مختتمها: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمُ الرِّبَا وَلَهُمُ الْبُتُوكَ ١٤٩ ﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ١٥٠ ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ١٥١ ﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ١٥٢ ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ١٥٣ ﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ١٥٤ ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٥٥ ﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ ١٥٦ ﴿ فَأَتُوا بِكُتُبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ١٥٧ ﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ١٥٨ ﴿ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ١٥٩ ﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ١٦٠ ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ١٦١ ﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَتَنَيْنِ ١٦٢ ﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ١٦٣ ﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ١٦٤ ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ١٦٥ ﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ١٦٦ ﴿ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ١٦٧ ﴾ لَوَ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ١٦٨ ﴿ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ١٦٩ ﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ١٧٠ ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ١٧١ ﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ١٧٢ ﴿ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ ١٧٣ ﴾ فَنُؤَلِّهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ١٧٤ ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ١٧٥ ﴾ أَفَعَدَّيْنَا يَسْتَعْجِلُونَ ١٧٦ ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِطِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ١٧٧ ﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ١٧٨ ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ١٧٩ ﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ ﴿ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ١٨١ ﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿

نلاحظ من ذلك أنه بعد مناقشة الله ﷻ المشركين في عقيدتهم، وإثبات بطلانها، وتوعدهم بالعذاب الأليم، جاء مختتم سورة (ص) ببيان مهمة الرسول محمد ﷺ، وكتابه العزيز، فقال ﷻ: ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ٨٦ ﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٨٧ ﴿ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾، وبذلك يتضح لنا ترابط مختتم السورتين، ففي سورة الصافات تنفيذ لمعتقدات فاسدة وإبطالها، وفي سورة (ص) تعريف بمهمة القرآن الكريم، والرسول ﷺ التي دحضت تلك المعتقدات.

وإذا نظرنا إلى مختتم سورة الزمر نجد أن الله ﷻ يستعرض فيه صوراً حية من مشاهد يوم القيامة، وانقسام الناس على زمريتين، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ٦٨ ﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٦٩ ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ٧٠ ﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ٧١ ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَوْىِٰى الْمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ ﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ

لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيَةً مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾ .

من ذلك يتضح التناسب بين مختتم السور الثلاث؛ إذ إن الحديث عما فسد من معتقدات في مختتم سورة الصافات يتبعه بديل يحل محل المعتقد الفاسد، وذلك من مهمة القرآن الكريم والرسول محمد ﷺ، وهو ما أشار إليه مختتم سورة (ص)، وبعدها يأتي الجزاء يوم القيامة، وهو ما بيّنه مختتم سورة الزمر.

وما يزيد هذا الترابط والتلاحم ما وجدت من خلال تتبع خواتيم السور الثلاث من أن اختتام سورة الصافات بقوله ﷻ: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾، وجاء في أواخر سورة (ص) قوله ﷻ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾، وجاء في خاتمة سورة الزمر قوله ﷻ: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيَةً مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾^(١).

فلنلاحظ ورود الحمد في سورة الصافات، والذكر في سورة (ص)، والتسبيح، وهو: ذكر وحمد في سورة الزمر، فجمعت سورة الزمر ما ذكرته سورتا الصافات، و(ص).

وهناك تناسب لفظي في ختام سورتي الصافات، والزمر، فكلاهما اختتمت بقوله ﷻ: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي إنهما اختتمتا بذكر الله عن طريق حمده، والثناء عليه، وأكدتا وحدانيته ﷻ بوصفه رب العالمين، أي إله جميع المخلوقات.

وأيضاً هناك تناسب بين خاتمة سورة (ص) من جهة، وخاتمة سورتي الصافات، والزمر من جهة أخرى؛ إذ ورد في أواخر سورة (ص) قوله ﷻ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾، أي: ((ما هو إلا ذكر للعالمين ونور، وهدى للناس، وبيّنات من الهدى، والفرقان، فيه الشفاء، والذكرى، والموعظة، والعلاج، والدواء من كل داء))^(٢)، فبيّنت الآية نعم الله ﷻ على الإنسان المستوحاة من القرآن الكريم، وهذه النعم تستوجب الشكر، والثناء، والحمد لله ﷻ، وهذا ما كان

(١) ينظر: التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم ٥٠ - ٥١.

(٢) التفسير الواضح ٣ / ٢٥٢.

في خاتمة سورتي الصّافّات، والزّمر، فسورة (ص) توسّطت هاتين السورتين، وما قبلها وبعدها ختم بحمد الله، وهذا يذكرنا بتسبيح المسلم لله حينما يقول: الحمد لله من قبل، ومن بعد.

ح- التّناسب اللغوي بين فاتحة السّور، وخاتمة ما قبلها:

ويقصد به الارتباط، والتماسك بين فاتحة سورة معينة، وخاتمة السّورة التي قبلها، قال الزركشي في ذلك: ((إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السّورة قبلها، ثم هو يخفى تارةً، ويظهر أخرى، كافتتاح سورة الأنعام بالحمد فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء))^(١).

ومن أمثلة ذلك: ((ختمت سورة القصص بما يفيد هلاك جميع المخلوقات، ورجوعهم إلى الله، فكان من جميل النسق أن تبدأ سورة العنكبوت بعدها بتوجيه المؤمنين إلى الصبر على ما يتعرضون له من الأذى، وما يُفتنون به من بلاء المشركين، ليكون لهم ثواب الصابرين، وعقبي المنقّين))^(٢).

وأيضاً افتتاح سورة الحديد بتسبيح الله ﷻ في قوله ﷻ: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١﴾، وتناسب ذلك مع ختام سورة الواقعة التي دعت لتسبيح الله في قوله ﷻ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ١٦﴾.

سأتناول جانبين في هذا الموضوع، هما:

١ - التّناسب اللغوي بين فاتحة سورة (ص)، وخاتمة سورة الصّافّات:

إنّ المتأمّل في فاتحة سورة (ص)، وخاتمة سورة الصّافّات يجد تناسباً جميلاً بينهما، ففي خاتمة سورة الصّافّات، الآيات [١٤٩ - ١٨٢] مناقشة المشركين في عقائدهم، وتبيين فسادها، وفضح كذبهم، وفحش قولهم، والغلبة للمؤمنين قال ﷻ: ﴿وَلَنْ جُنْدًا لَهُمُ الْعَالِيُونَ ١٧٣﴾. ومن ينظر في مفتتح سورة (ص)، الآيات [١ - ١١] يتأكّد له التّناسب والترابط بينها وبين مختتم سورة الصّافّات؛ إذ افتتحت السّورة بالحديث عن أقوال المشركين، وطبيعتهم في التكذيب، وإيراد بعض مواقف جحودهم الرسالة الإلهية، أي إنّ ما جاء في مختتم سورة

(١) الإتيان في علوم القرآن ٣ / ٣٨٠.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٧ / ١٨٢٢.

الصَّافَّاتُ أكمله الوارد في مفتتح سورة (ص)؛ فكلاهما يبحث في عقيدة المشركين؛ لإثبات بطلانها.

ولو دخلنا في بعض تفاصيل التَّنَاسُب اللغوي بين مفتتح سورة (ص)، وخاتمة سورة الصَّافَّات نجد الآتي:

- في مختتم سورة الصَّافَّات وعد الله ﷻ المنقّين بالنصر في قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾، وهذا يؤكّده ما جاء في مفتتح سورة (ص)، حين قال ﷻ: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ۝۱۱﴾، فمختتم سورة الصَّافَّات حمل لواء التَّمْكِين، والعِزَّة، والغلبة لجند الله ﷻ، وفي المقابل جاء مفتتح سورة (ص) منذراً جند الأحزاب بالهزيمة، والوبال، والخيبة.

- نجد في خاتمة سورة الصَّافَّات تنزيه الله ﷻ نفسه عن كل شائبة ونقص، وأن له جميع صفات العِزَّة، والكمال، وأوجب للمرسلين السلامة من المُكْذِبِينَ (١)، فقال ﷻ: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝۱۸۰ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾، وجاءت فاتحة سورة (ص) تقدم الدليل على أن العِزَّة، والكمال لله وحده، وذلك بخذلان كل من يتجرأ على عزّته، ويحاول منازعته في ذلك (٢)، فقال ﷻ: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝۱﴾ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، ففي هاتين الآيتين يقسم الله ﷻ على أن الكافرين يعلمون أن الله ﷻ، وما جاء به الأنبياء، والرسول هو الحق، وأنه يتّصف بجميع صفات الكمال، ولكن حميّة الجاهلية، والعِزَّة الآثمة تمنعهما من الاعتراف بذلك، ولذا فهم في اضطراب نفسي داخلي بين قناعتهم، وبين ما يظهرونه، وفي ظل هذا الصراع النفسي فإنّ حالهم غير مهياً للانتصار، فالنصر سيكون حليف المؤمنين، والسلامة لرسوله، وهو ما أكّدته أواخر الآيات في سورة الصَّافَّات في قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾، وبالمقابل دلّ هذا النصر على أن العِزَّة، والكمال لله وحده.

- من المناسبات الجميلة ما أورده الله ﷻ في أواخر سورة الصَّافَّات من ذكر تكذيب المشركين لعذابه حينما طلبوا أن يحلّ عليهم العذاب على سبيل السُّخْرية، والاستهزاء، فقال ﷻ:

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والصور ٦ / ٣٥٦ - ٣٥٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٦ / ٣٥٧ - ٣٥٨.

﴿ أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعِجِلُونَ ﴾ (١٧٦)، وجاءت الآية [٣] من سورة (ص) تذكر لنا أن الله ﷻ سبق أن عذب، وأهلك أمماً كثيرة قبلهم جزاء تكذيبهم لما جاءت به الرسل؛ ليكون بمنزلة الرد على سخريتهم، واستهزائهم، فيكون ذكر أحوال القرون السابقة، وما حلَّ بهم من هلاك عبرة، وعظة، ورادعاً لهم عن الاستمرار في استهزائهم، وسخريتهم، فقال ﷻ: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحِثِّ مَنَاصٍ ﴾.

- ورد الذكر، والكفر في مختتم سورة الصافات في قوله ﷻ: ﴿ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴾ (١٦٧) لَوَ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿ ١٦٨ ﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿ ١٦٩ ﴾ فَكْفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ لنتناسب هذه الآيات مع ما ورد في الذكر، والكفر في فاتحة سورة (ص) (١) حين قال ﷻ: ﴿ صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ (١) بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾.

وهكذا وجدنا أن التناسب بين خاتمة سورة الصافات، وفاتحة سورة (ص) يؤكد التحام السورتين وتماسك بعضهما ببعض، وفسر ذلك سبب مجيء سورة الصافات قبل سورة (ص) في الترتيب المصحفي.

٢ - التَّنَاسُبُ اللَّغَوِيُّ بَيْنَ خَاتِمَةِ سُورَةِ (ص)، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ الزُّمَرِ:

جاءت الآيات [٨٦ - ٨٨] في مختتم سورة (ص)، كما أسلفت، تتحدث عن مهمة الرسول محمد ﷺ، والقرآن الكريم؛ ليتناسب ذلك مع مفتتح سورة الزمر، الآيات [١ - ٧] الذي تحدث عن الدعوة لتوحيد الله ﷻ، فجاءت فاتحة سورة الزمر مكملة لخاتمة سورة (ص)، ومفصلة لها، فخاتمة سورة (ص) أجملت الحديث عن مهمة الرسول ﷺ، والقرآن الكريم، بينما فصلت فاتحة سورة الزمر تلك المهمة، وهي الدعوة لتوحيد الله ﷻ في عدة مواضع، فقال ﷻ: ﴿ ... فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ (٢)، وقال: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ... ﴾ (٣)، وقال: ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٤).

وهناك أمثلة أخرى تؤكد التَّنَاسُبُ اللَّغَوِيُّ بَيْنَ خَاتِمَةِ سُورَةِ (ص)، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ الزُّمَرِ، منها:

- ورد في أواخر سورة (ص) اعتراف إبليس بعجزه عن إغواء المخلصين عبادتهم لله ﷻ، فهو

(١) ينظر: التَّنَاسُبُ بَيْنَ السُّورِ فِي الْمَفْتَحِ وَالْخَوَاتِيمِ ١٣٠.

يتوَعَّد بِإِغْوَاءِ جَمِيعِ الْبَشَرِ عِندَهُمْ، فَقَالَ ﷻ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ، وفي مفتتح سورة الزُّمَرِ أمر الله ﷻ أن تكون العبادة خالصة له، فقال: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (٢)؛ إذ إنَّ إخلاص العبادة لله وحده هو السبيل لانتقاء إغواء إبليس.

- هناك الالتحام آخر بين السورتين، إذ جاء في آخر سورة (ص) قوله ﷻ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٨٧)، وجاء في بداية سورة الزُّمَرِ قوله ﷻ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١)، أي: إنَّ هذا الذكر هو تنزيلٌ من ربِّ العالمين، وبلغ هذا الالتحام من الشدة، والقوة أن لو أسقطت بسملة سورة الزُّمَرِ لاستوى الكلام ولم يتنافر (٢).

- تضمَّن آخر سورة (ص) تهديد المكذِّبين بدخول النَّارِ، وأنهم سيرون الجزاء واقعًا لا محالة، فقال ﷻ: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وسيكون هذا الجزاء من غير عجلة، قال ﷻ: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ (٨٨)، وربما قال أحد المتعنِّتين من المكذِّبين: ماله لا يعجل لنا العذاب ما دام قادرًا على ذلك؟ فجاءت بداية سورة الزُّمَرِ؛ لتعلل هذا التأخير، فافتتحت بكلمة ﴿تَنْزِيلُ﴾ في قوله ﷻ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١)، فبيَّنت أنَّ القرآن الكريم نزل منجَّمًا بحسب التدرُّج؛ لموافقة المصالح في أوقاتها، وحتى يفهمه الناس، ويصير ذكرًا للعالمين من غير عجلة، ولا توان (٣)، وهنا تظهر الحكمة من عدم استعجال الله ﷻ في عذاب المشركين، فهو يعطيهم الفرصة للعودة، والإنابة إليه، وهذا يذكرنا بخلق الله ﷻ السماوات السبع؛ إذ لم يخلقها جميعًا في وقتٍ واحدٍ، ولكنه تدرَّج ﷻ في خلقها؛ لحكمةٍ هو يعلمها، فخلقها في ستة أيام، قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

وبناءً عليه نجد أنه ((لما بنيَّت سورة (ص) على ذكر المشركين، وعنادهم، وسوء

(١) ينظر: التَّنَاسُبُ بَيْنَ السُّورِ فِي الْمَفْتَحِ وَالْخَوَاتِيمِ ١٣١.

(٢) ينظر: أسرار ترتيب القرآن ١٢٨، وروح المعاني ١٢ / ٢٢٣.

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦ / ٤١٢ - ٤١٣.

ارتكابهم، واتخاذهم الأنداد والشركاء؛ ناسب ذلك ما افتتحت به سورة الزمر من الأمر بالإخلاص الذي هو نقيض حال من تقدم^(١).

ثانيًا: التناسب اللغوي بين السور الثلاث من حيث الموضوعات المشتركة:

شمل التناسب بين سورة (ص) وسورتي الصافات، والزمر الموضوعات، فتشابهت في مجموعة منها، وهي:

١ - وحدانية الله ﷻ:

يُعدُّ موضوع وحدانية الله ﷻ من الموضوعات الشائعة في السور القرآنية، ومنها هذه السور الثلاث؛ إذ تكلمت عليها صراحة، أو أشارت إلى ذلك، ففي سورة الصافات يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ۚ﴾، ويقول: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ ۚ﴾، ففي هاتين الآيتين تصريح بوحدانية الله ﷻ ألوهية، وربوبية، وهذا التصريح يتوافق تمامًا مع ما ورد في سورة (ص)؛ إذ قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۚ﴾ ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾.

واستمر التشابه في هذا الموضوع لنجده في سورة الزمر؛ إذ قال ﷻ: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ ۚ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۚ﴾، وقال ﷻ: ﴿... ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ۚ﴾، فنلاحظ أن الآية [٦] من سورة الزمر قد جمعت وحدانية الألوهية، والربوبية.

وكرر الله ﷻ في السور الثلاث الدعوة إلى الإخلاص في توحيده، فورد في سورة الصافات استثناء المخلصين من غضب الله ﷻ في أربعة مواضع، الآيات [٤٠، ٧٤، ١٢٨، ١٦٠]؛ إذ قال ﷻ: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾، وقال في السورة نفسها: ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿١٦٩﴾، وفي سورة (ص) يقول الله ﷻ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿٨٣﴾، وقال ﷻ في سورة الزمر: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿١١﴾، وقال: ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ ﴿١٤﴾.

٢ - أحوال الأمم مع أنبيائهم:

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦ / ٤١٣.

تعرّض كل نبي أرسل إلى أمة إلى مواقف عديدة، فمنهم من يصدقهم، ويؤمن بما جاءوا به، وأكثرهم يكذبهم، ويؤذيهم، وتحدثت السُّور الثلاث عن طبيعة المشركين وطريقتهم في التعامل مع رسلهم، فنجدهم تارة يسخرون من رسلهم، كما جاء ذلك في سورة الصّافات في قوله ﷻ: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢﴾، وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝١٤﴾، وعلى الشاكلة نفسها ورد ذكر سخريتهم من نبيهم في سورة (ص)، فقال ﷻ: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾.

وأشارت سورة الزّمر إلى سخرية المشركين واستهزائهم من خلال بيان حالهم يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٤٨﴾، وقال: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ ۝٥٦﴾. وأحياناً تجد المشركين يكيلون التّهم على رسول الله ﷺ، فقال ﷻ في سورة الصّافات: ﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝١٥﴾، وقال: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَرِيكَوْا إِلَهَيْنَا لِشَاعِرٍ مُّجْنُونٍ ۝٣٦﴾، وفي سورة (ص) يقول ﷻ: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۝٤﴾. كذلك أوردت السُّور الثلاث طبيعة العناد، والاستكبار على اتباع الحق عند الكافرين، فقال ﷻ في سورة الصّافات: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥﴾، وفي سورة (ص) يقول ﷻ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ ۝٢٠﴾، وفي سورة الزّمر: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ ءَايَاتِي فكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ... ۝٥٩﴾.

٣ - إثبات البعث يوم القيامة:

ورد موضوع إثبات البعث في السُّور الثلاث، وهذا ليس غريباً؛ لأننا وجدنا فيما سبق كيف اشتركت السُّور الثلاث في موضوع الوجدانية، وأحوال الأمم مع أنبيائهم، فيكون موضوع إثبات البعث من متممات هذه الموضوعات، فقال ﷻ في سورة الصّافات: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۝١٩﴾ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ۝٢٠ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝٢١﴾، وقال في سورة (ص): ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ۝١٥﴾، وقوله في سورة الزّمر: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصَّمُونَ ۝٣١﴾، وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي

الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِيَامٍ يُنْظَرُونَ ﴿١٨﴾

٤ - وصف الجنة:

ذكرت السُّور الثلاث وصف الجنة وحال المتقين فيها، وترغيبهم في طاعة الله ﷻ، وبينت الثواب الذي سينالونه يوم القيامة، فهم من المفلحين في الدنيا والآخرة، وسيجدون في الجنة نعيمًا مقيمًا، فورد في سورة الصافات قوله ﷻ: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَهَهُمْ مَّكَرْمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾، وفي سورة (ص) يقول ﷻ: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّأْنٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةً لَهُمْ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَثَرَابٌ ﴿٥٢﴾، وورد في سورة الزمر قوله ﷻ: ﴿وَسَيَجِيءُ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾، وقوله: ﴿وَسَيَقَى الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٣﴾﴾

٥ - جزاء المشركين، وتهديدهم:

بعد أن بينت السُّور الثلاث وصف الجنة وثواب أهلها، ذكرت عاقبة المكذبين، والمشركين، وأن مصيرهم نار جهنم، وسينالون صنوف العذاب في الآخرة؛ جزاءً بما كسبت أيديهم في الدنيا، ففي سورة الصافات يقول ﷻ مبيِّنًا عذابهم: ﴿دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿١﴾﴾، وقال: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾، وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٢٨﴾﴾، وقوله: ﴿فَاطْلِعْ قِرَاءَةً فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾، وقال: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾، وعاقبهم بأكل شجرة الزقوم طعامًا لهم في النار، فقال ﷻ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ أَنَّ الْبُاطِلَ لَمِنْهَا لَآتَىٰ لَهَا لَهَبًا وَهَبًا ﴿١٠٠﴾﴾، ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَابًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿١٠٢﴾﴾

وفي سورة (ص) يقول ﷻ: ﴿هَذَا وَاتِّكَ لِلطَّالِعِينَ لَشَرٍّ مَّأْنٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُهَا نَارًا ﴿٥٦﴾﴾

هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾

وفي سورة الزمر يقول ﷻ: ﴿... قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۖ﴾ (٨)، وقال: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ...﴾ (١٦)، وقال: ﴿... أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٣٢)، وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (٤٧)، ويقول ﷻ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٦٠)، وقال ﷻ واصفًا كيفية دخول الكافرين النار: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

مما تقدم يتبيّن لنا أن السور الثلاث تحدّثت عن موضوعات مشتركة معززة بذلك التّناسب بينها.

الفصل الثاني

مناسبات النص

المبحث الأول المناسبات اللغوية الداخلية

إنَّ فكرة النَّصِّيَّة لم تكن غائبة عن الثُّراث العربي النحوي، فها هو ابن هشام يذكر أنَّ القرآن كله كالسورة الواحدة، إذ يشير إلى الشيء في سورة، وجوابه في سورة أخرى، وهذا تعبير عملي عن فكرة الوحدة النَّصِّيَّة (١).

وعني دارسو الآداب المعاصرون بالوحدة الموضوعية التي تربط الكلام ببعضه ببعض سواء في القصيدة، وما في القطعة النثرية، واهتموا كذلك بما يسمى بالوحدة العضوية، وذلك من خلال البحث في مدى ارتباط جمل البيت الواحد في القصيدة، وإلى أي مدى وفق الأديب، أو المتكلم في الربط بين أفكاره، ومعانيه وإحكام نسجها (٢).

توجهت بعدها الأنظار نحو القرآن الكريم؛ لأنه تحدى العالمين بإعجازه إلى يوم الدين، واختلفت النظرة حول الوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم (٣)، ففئة شككت في تلك الوحدة، بينما أخرى أخذت تتعمق في البحث، والتأمل، وخُلصت إلى نتيجة مفادها أنَّ السُّورة الواحدة في القرآن الكريم متماسكة في أجزائها تماسكاً قوياً، بحيث تبدو كأنها جسدٌ واحدٌ (٤).

من ذلك سآبين تماسك النص في سورة (ص) من خلال دراسة المناسبات الداخلية، ومناسبات القصص الواردة فيها على النحو الآتي:

أولاً: تناسب اسم السُّورة مع مقصودها اللغوي:

ليست تسمية السُّور القرآنية بأسماء معينة عبثاً؛ فهي أسماء تحمل الدعوة إلى النَّظر، والاعتبار (٥)، والضابط العام في ذلك هو: أن تسمى السُّورة بكلمة واردة فيها، أو

(١) ينظر: شعر محمد مهدي الجواهري، دراسة نحوية نصِّيَّة ٣٦.

(٢) ينظر: علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم، وكشف إعجازه ٤١.

(٣) ينظر: المناسبات القرآنية ٢٦ - ٣٥.

(٤) ينظر: علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم، وكشف إعجازه ٤١ .

(٥) ينظر: تفسير المراغي ٢٩ / ١٩٥.

بمشتقاتها^(١)، وقد يشتق الاسم من اللفظ الوارد في أول السورة، كـ(الزَّلْزَلَة)^(٢)، فتتميز السورة باسم معين لغرض إبانتهَا، وإظهارها، وتمييزها من بقية السور؛ فلا تختلط معها^(٣)، وأصل تسمية سور القرآن أنها من النبي ﷺ، أمَّا الأسماء الموجودة الآن فإنها على ثلاث مراتب، هي:

١- منها ما ثبت تسميته عن النبي ﷺ.

٢- منها ما ثبت تسميته عن الصحابة.

٣- منها ما ثبت تسميته عن التابعين، وتابعي التابعين^(٤).

وتسمى سور القرآن كذلك بحسب الموضوعات التي داخلها ومقاصدها، فمثلاً: سورة التوبة ((سُمِّيَتْ بهذا الاسم؛ لورود موضوع التوبة على النبي ﷺ، والذين معه والذين خلفوا))^(٥).

وجاء علم المناسبة؛ لبيان التَّنَاسُب اللُّغَوِي بين السورة، ومقصودها، ويوضِّحُه، قال البقاعي مبيناً تناسب اسم سورة الفاتحة، مع مقصودها: ((ومقصود كل سورة هادٍ إلى تناسبها، ولا أخرج عن معاني كلماتها، فالفاتحة اسمها: (أُمُّ الْكِتَابِ، وَالْأَسَاسُ، وَالْمَثَانِي، وَالْكَنَزُ، وَالشَّافِيَةُ، وَالْكَافِيَةُ، وَالْوَافِيَةُ، وَالْوَاقِيَةُ، وَالرَّقِيَّةُ، وَالْحَمْدُ، وَالشُّكْرُ، وَالِدُعَاءُ، وَالصَّلَاةُ)، فمدار هذه الأسماء كما ترى على أمر خفي كاف لكل مراد))^(٦).

ولفهم العلاقة بين اسم السورة، ومقصودها؛ فإنه ((ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به ... كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم؛ لقريئة ذكر قصَّة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها، وسميت سورة النساء بهذا الاسم؛ لما تردد فيها من كثير من أحكام

(١) ينظر: التفسير الحديث ١ / ١١٩.

(٢) ينظر: المحرر في علوم القرآن ١٧١.

(٣) ينظر: الانتصار للقرآن، للباقلاني ١ / ٢٣٣.

(٤) ينظر: شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي ٦٣.

(٥) المحرر في علوم القرآن ١٧٠.

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١ / ١٢.

النساء، وتسمية سورة الأنعام؛ لما ورد فيها من تفصيل أحوالها))^(١).
والسورة محل الدراسة تحمل اسمين، هما:

أ- الاسم المشهور:

وهو: سورة (ص)، قال ابن عاشور: ((سميت في المصاحف، وكتب التفسير، وكتب السنة، والآثار عن السلف (سورة صاد)، كما ينطق باسم حرف الصاد تسمية لها بأول كلمة منها، هي صاد (بصاد، فألف، فдал ساكنة سكون وقف)، شأن حروف التهجّي عند التهجّي بها أن تكون موقوفة، أي: ساكنة الأعجاز))^(٢).

ب- الاسم الاجتهادي:

هو: (سورة داود)^(٣)، قال سيد طنطاوي: ((هي السورة الثامنة والثلاثون في ترتيب المصحف، وكان نزولها بعد سورة (القمر)، وهي من السور المكيّة الخالصة، ويقال لها: سورة (داود))^(٤).

وسميت بهذا الاسم؛ لورود قصّة داود عليه السلام فيها، وذلك في الآيات [١٧ - ٢٦]^(٥)، قال قال ﷺ: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٦).

وقد يسأل سائل عن سبب تسميتها سورة (داود) مع أنها تحمل أسماء مجموعة من الأنبياء، وقصّته وردت في سور أخرى غير هذه السورة وهي سور: البقرة، والنساء، والمائدة،

(١) البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٧٠، وينظر: الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٩٧، وأثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت ١٠.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٠١.

(٣) ينظر: الناسخ والمنسوخ، للمقري ١٤٨، والتسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ٢٠١، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٤ / ٣١، وزاد المسير في علم التفسير ٣ / ٥٥٧.

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ١٢ / ١٢٥، وينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى) ٢ / ٤١٤.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٠١، وتفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٤ / ٣٠٥.

والأنعام، والإسراء، والأنبياء، والنمل، وسبأ، ومع ذلك لم تسم باسمه.
 فالجواب؛ لأنه استُهل به قصص السُّورة في أنبياء بني إسرائيل، وبُسِطت قصته وأُظنَّب فيها أكثر من غيرها^(١)، وقد أشاد ﷺ فيها بـداود بما آتاه من الحكمة، وفصل الخطاب، إذ يقول: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ. وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾^(٢)، فضلاً عن أنَّ ورود اسمه في هذه السُّور: (البقرة، والنساء، والمائدة، والأنعام، والإسراء، والأنبياء، والنمل، وسبأ) في موضعٍ أو موضعين فقط، أما في سورة (ص) فورد في خمسة مواضع، وفُصِّلَت قصته فيها.
 وما يهمننا هو الاسم المشهور لها، وهو: سورة (ص)، والذي سُمِّيَتْ به في المصاحف، وكتب الحديث، والتفاسير كافة.

وقبل أن أبين تناسب اسم السُّورة مع مقصودها، سأحدث عن تناسب المعاني الدلالية لاسم السُّورة مع مضمونها؛ فقد اختلف في تلك المعاني، ولكن في جميع الأحوال هناك تناسب بين المعنى، والمضمون على النحو الآتي:

١- سبب تسمية سورة (ص) بهذا الاسم هو ابتدائها بحرف الصاد في أولها، فقد قال ﷺ: ﴿صَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾^(٣)، واختلف في دلالة هذا الحرف، قال الطبري: ((اختلف أهل التأويل في معنى قول الله ﷻ: ﴿صَّ﴾، فقال بعضهم: هو من (المصاداة)، من (صاديتُ فلاناً)، وهو أمر من ذلك، كأن معناه عندهم: صاد بعملك القرآن، أي: عارضه به، ومن قال هذا تأويله، فإنه يقرؤه بكسر الدال؛ لأنه أمر التأويل في معنى قول الله ﷻ: ﴿صَّ﴾^(٤)، وزاد أبو حيان أن منه (الصدى)، وهو ما يعارض الصوت في الأماكن الصلبة الخالية من الأجسام، أي: امتثل بما جاء به القرآن^(٥).

يتضح من ذلك أن المعنى الدلالي لاسم السُّورة هو: حث النبي ﷺ على الامتثال بأوامر الله ﷻ، وتنفيذ ما جاء به القرآن الكريم، وقد تناسب ذلك مع مضمونها، ويمكن توضيح

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣٨٨ - ٣٨٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٣٧، وينظر: المقتضب ١ / ٢٣٨ - ٢٣٩، وتهذيب

اللغة ١٢ / ١٥٣ (باب الصاد والدال)، والجامع لأحكام القرآن ١٥ / ١٤٢.

(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير ٩ / ١٣٥.

مواضع هذا الحث في الآتي:

أ- ساق الله ﷻ فيها من الموضوعات ما يعين الرسول ﷺ على الثبات بما جاء به القرآن من منهج، والصبر على ما يواجهه من تحديات؛ إذ ((قَصَّ الله فيها أخبار الأنبياء، والرسل السابقين؛ ليكون ذلك زجرًا للكافرين والمكذبين، وتثبيتًا للرسول، وللمؤمنين، وليصبر الرسول على تبليغ الدعوة مهما لاقى في سبيلها من أهوال، وأذى))^(١)، فبيّن له في بداية السورة أنه سيعاني من تكذيب المشركين، وعليه ألا يكثر من ذلك؛ لأنه من طبيعتهم على مر الدهور، وأن الله ﷻ قادرٌ على إهلاكهم، وقد أهلك أمما من قبلهم ساروا على نهجهم، فقال ﷻ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَوْلَا تَحِيُّنُ الْمَوْتِ لَآتَيْنَا بِكُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيكُمْ أَوْ لَآتَيْنَا بِكُم مِّنْ خَلْفِ الْإِخْلَافِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ب- ورد في السورة تأكيد عاقبة المكذبين؛ حتى يطمئن الله ﷻ نبيه بأنه سينتقم له يوم القيامة من إيدائهم له، وتكذيب دعوته، فقال ﷻ: ﴿هَذَا وَاتَّ لِلطَّغِينِ لَشَرٍّ مَّتَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَسَّسُ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَيَلْذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ﴾.

ت- ورد في بعض مواضعها تطمين آخر له ببيان العاقبة الطيبة لأتباعه، فقال ﷻ: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنِ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرِاتُ الطَّرْفِ أَرْبَابٌ﴾، كل ذلك من أجل إبعاد اليأس عن الرسول ﷺ، وإبقائه ممتثلًا لأوامر الله ﷻ وبما جاء به القرآن الكريم.

٢- ابتدأت السورة بـ ﴿ص﴾، وهو من الحروف المقطعة؛ للتنبية على إعجاز القرآن العظيم^(٢)، قال الزمخشري: ((ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التّحدي، والتّنبية على الإعجاز))^(٣)، ويعدّه السلف ((من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه))^(٤)، قال الزحيلي: ((فبدئ به بهذه السورة كغيرها من السور المبدوءة بحروف هجائية، بقصد تحدي

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٤٧١.

(٢) ينظر: صفوة التفاسير ٣ / ٤٥.

(٣) الكشف عن حقائق التنزيل ٤ / ٧٠.

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٤ / ٤٥.

العرب، وإثبات إعجاز القرآن))^(١).

من ذلك نلاحظ تناسب المعنى الدلالي لتسمية السورة مع ما ورد في مضمونها من معجزات، كمعجزة تسخير الجبال، والطير لداود عليه السلام في قوله ﷺ: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾، قال الزحيلي: ((أما داود فَخُصَّ بنعمة تسخير الجبال، والطير؛ للتسبيح معه))^(٢).

وأيضا معجزة تسخير الريح لسليمان عليه السلام في قوله ﷺ: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (٣٦)؛ إذ سَخَّرَ الله ﷻ له الريح ((في زمان محدود، ومكان محدود، وجعلها أداة سريعة في يده، وبد أعوانه؛ للقيام بأسرع ما يمكن من التنقلات، والمواصلات، بحيث يكون من المستطاع قطع مسافة شهر في الغدو، ومسافة شهر في الرواح، أي: قطع مسافة شهرين في يوم واحد))^(٣).

ووردت في السورة معجزة أخرى لسليمان عليه السلام، وهي تسخير الجن، والشياطين، فقال ﷺ: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾؛ إذ كانوا يقومون ببعض أعماله، من بناء محاريب، وتماثيل، وغيرها، وسُخِّرَ آخرون؛ ليغوصوا في البحر حتى يجلبوا له ما فيه من خيرات، كاللؤلؤ، والمرجان، وغيره^(٤).

وتضمَّنت السورة معجزة اختصَّ بها نبي الله أيوب عليه السلام، وهي ظهور العين حين ضرب برجله الأرض، فقال ﷺ: ﴿أَرَكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مَغْسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (٤٢)، فبعد ضربه ظهرت تلك العين ف((اغتسل منها، فذهب ما كان بظاهر جسده، وشرب منها؛ فذهب كل مرض كان داخل جسده))^(٥).

(١) التفسير المنير ٢٣ / ١٦١.

(٢) التفسير المنير ١٧ / ٩٨.

(٣) التيسير في أحاديث التفسير ٥ / ١٧٥.

(٤) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٥٠٣، وأسماء سور القرآن الكريم، دراسة لغوية تحليلية ١٠٢.

(٥) صفوة التفاسير ٣ / ٥٥.

من ذلك نجد أن اسم السورة الذي أظهر إعجاز القرآن الكريم المنزّل على سيدنا محمد ﷺ تتناسب مع مضمونها، الذي جاء بعدّة معجزات لأنبياء آخرين، فكان ابتداء السورة بمعجزة جاء؛ لشدّ الانتباه على أن هناك معجزات أخرى تضمنتها السورة.

٣- ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى اسم السورة ﴿ص﴾ هو: صدق الله، وصدق الرسول ﷺ (١)، ومعنى الاسم يتناسب مع بعض مقاصد السورة، ومضامينها؛ إذ بينت السورة في عدة مواضع موقف المشركين من الدعوة المحمدية، وتكذيبهم لها، فقال ﷺ: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ (٤)، وقال على لسانهم: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأَمَلَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾ (٥)، وقال: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ﴾ (١٢) وقوم لوط وأصحاب نيكّة أولئك الأحزاب (١٣) إن كل إلكذب الرسل فحق عقاب.

نلاحظ من ذلك أن معنى اسم السورة كأنه استبقي المشركين بالردّ على تكذيبهم الرسول ﷺ، وبين أن ما جاء به الله ﷻ على لسان نبيه هو الحق والصدق، أي: إن معناها ردّ على ما ورد في مضمونها من تكذيب المشركين للرسالة المحمدية.

٤- يعدّ صوت الصّاد من الأصوات الرّخوة (٢)، ومن تتبّع آيات سورة (ص) تظهر فيها معالم الرّخاوة؛ إذ جاءت لغة بعض الآيات هادئة، ورقيفة تتناسب مع دلالة اسم السورة، وتمثّل ذلك في خطاب الله ﷻ نبيه، فذكره بقتصص بعض أنبيائه، منهم:

- النبي داود عليه السلام في قوله: ﴿... وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ إِذْ أَلَيْدَ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١٧).
- نبي الله سليمان عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠).
- نبي الله أيوب عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنَى الشَّيْطَانِ نَصَبٍ وَعَذَابٍ﴾ (٤١).

- أنبياء الله (إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وإسماعيل، واليسع، وذو الكفل) في قوله ﷻ: ﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦)

(١) ينظر: الباب في علوم الكتاب ٤ / ٣، ومفاتيح الغيب ٢٨ / ١٢٠.

(٢) ينظر: الكتاب ٤ / ٤٣٤ - ٤٣٥.

وَأَنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَذَا الْكِفَلِ وَكُلَّ مَنِ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾

وتمثل جانب الرخاوة أيضاً في الآيات التي تبشر المؤمنين بثوابهم يوم القيامة، فقال ﷺ:

﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ مِّنْفَحَّةٍ لَهُمْ فِيهَا الْأَنْبُوبُ ﴿٥٠﴾ مُتَكِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ

كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرْزُقُنَا مَا لَهُ

مِنْ نِّقَادٍ ﴾، فتناسب ذلك مع معنى اسم السورة.

وهكذا بعد أن تبين التناسب الدلالي بين اسم السورة، ومضامينها يظهر لنا التماسك الدلالي بين اسم السورة، ومقصودها (١)، وفي بيان مقصودها قال سيد قطب: ((هذه السورة مكيّة، تعالج من موضوعات السور المكيّة قضية التوحيد، وقضية الوحي إلى محمد ﷺ، وقضية الحساب في الآخرة)) (٢).

وأوضح الزحيلي أن مقصودها هو: ((بيان أصول العقيدة الإسلامية: (التوحيد، والنبوة، والبعث) من خلال مناقشة المشركين في عقائدهم المناقضة لتلك الأصول، وإيراد قصص الأنبياء؛ للعة والعبرة، وبيان حال الكفار، والمشركين يوم القيامة، ووصف عذاب أهل النار، ونعيم أهل الجنة)) (٣).

وبين ابن عاشور أن لهذه السورة عدة مقاصد، فجاءت لتوبيخ المشركين، وتقريعهم؛ لتكذيبهم سيدنا محمداً ﷺ، وتهديدهم بالهلاك في الدنيا والآخرة كما أهلكت الأمم السابقة المنكرة لوحداية الله ﷻ، وأيضاً قصدت تسلية الرسول ﷺ بالافتداء بمن سبقه من الرسل، وأتت لإثبات البعث، وبيان ثواب المؤمنين المتقين، وعاقبة المكذبين الطاغين (٤).

ويوضح مقاصد السورة من سبب نزولها، وذلك في الحديث الذي روي عن الرسول ﷺ حينما رد على عمه أبي طالب الذي سأله عما يريد من قومه، فقال: ((يا عم، إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب، وتؤدى إليهم بها جزية العجم، قال: كلمة واحدة؟ قال: كلمة واحدة،

(١) ينظر: وحدة النسق في السور القرآنية ١٣٨.

(٢) في ظلال القرآن ٥ / ٣٠٠٤.

(٣) التفسير المنير ٢٣ / ١٦٢.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٠٢.

قال: ما هي؟ قال: لا إله إلا الله، قال: فقالوا: أجعلوا الآلهة إلهاً واحداً؟ ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ﴾
 قال: ونزل فيهم: ﴿صَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ حتى بلغ ﴿... إِنَّ هَذَا إِلَّا أُوْحْلَقُ﴾ (٧) ((١)).
 من ذلك نجد أن مقصود السورة الأساسي، وهدفها الأسمى هو تأكيد الآتي:

١ - وحدانية الله ﷻ:

اتضح هذا المقصد من خلال بعض الآيات الدالة عليه، والمؤكد له، فجاء في مطلع
 السورة استنكار الله ﷻ على لسان نبيه تعجب المشركين من وحدانيته ﷻ حين قال: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ
 جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ (٤)، وجاءت بعض آيات السورة تصف الله ﷻ
 بصفات دالة على وحدانيته، كـ ﴿الْعَزِيزُ﴾ في قوله: ﴿أَمْعِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ (٩)،
 وقوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (٦٦)، فـ ﴿الْعَزِيزُ﴾ هو: الذي ((لا يعادله
 شيء، وأنه لا مثل له)) (٢)، وهو وحده المستحق للتوحيد، ووصفته بـ ﴿الْوَهَّابِ﴾ في قوله
 ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٣٥)، وكذلك في الآية
 [٩]، فهو وحده المتفرد بعطائه للناس، والغفار في الآية [٦٦].

وبيّنت السورة أن الله ﷻ هو مستحق التوحيد؛ لأنه خالق السماوات والأرض وما بينهما،
 واتضح ذلك ضمناً في سؤاله ﷻ المشركين في قوله: ﴿أَمْلَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
 فَلْيَرْتَفَعُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ (١٠)، وفي موضع آخر قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا...
 ﴾ (٢٧)، وأكد ﷻ ربوبيته ووحْدانيته في قوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (٦٦).
 وفي الآية [١٨] نجد الجبال تسبح لله ﷻ؛ لأنه خالقها الأوحد، وهو المستحق للشكر،
 والتسبيح، وهذه جمادات لا تعقل تعترف بوحْدانية الله ﷻ، وكان الأولى بالإنسان المشرك ذي
 العقل أن يعترف قبلها بذلك، فقال ﷻ واصفاً تسخيرها لنبي الله داود ﷺ حتى تسبح معه:
 ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾، فضلاً عن أن استغفار داود ﷺ ربه، وركوعه له
 دليل على وحدانيته ﷻ، ﴿... فَاسْتَغْفِرْ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٢٤).

(١) المستدرك على الصحيحين ٢ / ٤٦٩.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٩ / ١٤٠.

ونفت الآية [٦٥] الألوهية لغير الله ﷻ، وأثبتت بالقطع وحدانيته، قال ﷻ: ﴿... وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، والآية في قوله ﷻ: ﴿... خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْنَاهُ مِنْ طِينٍ﴾ (٧٦) تحمل اعترافاً صريحاً من إبليس بوحداية الله ﷻ خالقه الوحيد. وهكذا وجدنا أن هذه الآيات تدلُّ على وحدانيته ﷻ في تناسبٍ واضحٍ مع مقاصد السورة.

٢ - نبوة سيدنا محمد ﷺ:

جاءت السورة تؤكد نبوة سيدنا محمد ﷺ، وهو أحد مقاصدها، فبينت الآية [١٤] ضمناً أن الرسول ﷺ صادق في دعوته، وأن من يكذبه هالك لا محالة؛ لأنه سبق أن أهلك أقوام كذبت رسلها، فقال ﷻ: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٍ﴾. وبينت الآية [٢٩] تأييد نبوة الرسول محمد ﷺ بمعجزة القرآن، فقال ﷻ: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ...﴾، وأكدت الآية ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ...﴾ (٦٥) بعثة الرسول ﷺ للناس حتى ينذرهم من عذاب الله ﷻ، وأثبتت الآية [٧٠] بأن سيدنا محمد ﷺ نبي يوحى إليه، وبيّنت مهمته وهي: إنذارهم من لقاء يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾. فهذه البراهين أثبتت المقصود الثاني للسورة، وهو التأكيد على نبوة سيدنا محمد ﷺ.

٣ - البعث، ووقوع الجزاء:

وهذا المقصد من مقاصد السورة يظهر بصورة واضحة في عدة مواضع من مضامينها، وسأتناوله مفصلاً على النحو الآتي:

أ - تأكيد البعث:

فوقوع البعث أحد مقاصد السورة الذي أكّدت عليه في عدة مواضع، فقال ﷻ في وصف الصيحة الأولى إيداناً بقيام الساعة: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ (١٥)، وقال ﷻ مبيناً تنفيذ وعده بالبعث: ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (٥٣)، وفي بيان مدة اللعنة لإبليس تأكيد البعث فقال ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٧٨).

وفهم ضمناً من الآيتين [٧٩، ٨١] أن يوم البعث واقع لا محالة، فقال ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، وقال: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾.

ب - ثواب المتقين:

وهذا الثواب مقصد من مقاصد السُّورة الذي قُرُن بالبعث يوم القيامة، فنجدُه ﷺ يَعدُّ نبيه داود عليه السلام بحسن العاقبة، والثواب الحسن يوم البعث في قوله: ﴿... وَإِنَّ لَهُ، عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ۖ﴾، وبهذا الوعد نفسه وُعد نبي الله سليمان عليه السلام في قوله ﷺ: ﴿... وَإِنَّ لَهُ، عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ۖ﴾.

وَوُعد المتقون جميعهم بما يسرهم يوم القيامة من دخول الجنة، وما يلاقونه من نعيم الثواب، فقال ﷺ: ﴿... وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۖ﴾ جَنَّتْ عَدْنٍ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَلَاحِهِمْ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرِاتُ الْأُطْرَافِ أَنْزَابٌ ۖ

نلاحظ من دراسة مقصود السُّورة في بيان ثواب المتقين تكرار الآية ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ في ثلاثة مواضع من السُّورة؛ في إشارة إلى تأكيد الثواب الطيب الذي سيناله المتقون يوم القيامة، وتناسب واضح مع مقصود السُّورة.

ت - جزاء المشركين:

بعد أن رأينا بيان السُّورة لعاقبة المتقين، بينت كذلك عاقبة المشركين يوم القيامة في عدة مواضع، فكانت الآية [٨] وعيداً للمشركين ببعثهم يوم القيامة، وتعذيبهم، فقال ﷺ: ﴿... بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ ۖ﴾، وقال ﷺ في موضع آخر من السُّورة: ﴿... إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ۖ﴾، وقال: ﴿... قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ ۖ

وقال ﷺ مبيناً الشر الذي ينتظرهم يوم القيامة، ومفصلاً صنوف عذابهم: ﴿... وَإِلَى اللَّطِيفِ لَشَرِّ مَآبٍ ۖ﴾ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنَسُوا لَهَا ۖ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ۖ﴾، وقال ﷺ: ﴿... إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ ۖ وَبَيَّنَّتِ السُّورة في ختامها جزاء إبليس، ومن تبعه من المشركين، فقال ﷺ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ۖ

وكانت هذه الآيات التي ظهر فيها مقصود السُّورة من بيان جزاء المشركين، جاءت لترد على تهكمهم، وسخريتهم من طلب تعجيل العذاب في الدنيا الوارد في قوله ﷺ: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعَانًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ۖ

وهكذا يظهر لنا جلياً التناسب الكبير بين اسم السُّورة، ومضامينها، وكذا التناسب بين

السُّورَة، ومقصودها الأعظم الذي تسمو إليه، وهو تأكيد (وحدانية الله ﷻ، والبعث، وثواب المتقين، وجزاء المشركين)، والذي أوضحه الحديث المبين لسبب نزول السُّورَة، وأكَّده ابن عاشور، والزحيلي، وسيّد قطب كما ذكرت سابقاً.

ثانياً: التَّنَاسُب اللُّغَوِي بَيْن فَاتِحَةِ السُّورَة، وَخَاتِمَتِهَا:

يكون التَّنَاسُب في القرآن الكريم في أكثر من جهة، وله عدة صور، منها النظر في تناسب مفتتح السُّورَة مع مختتمها، كتناسب مفتتح البقرة مع خاتمتها، وآل عمران، وخاتمتها، وهكذا بقية السُّور، والناظر في هذا النوع من التَّنَاسُب يجد أن القرآن وحدة متكاملة متناسبة في سوره وآياته وترتيبه، ومفتتح سوره ومختتمها، وكأنه آية واحدة متماسكة^(١).

وعَدَّ الرازي القرآن الكريم كالسورة الواحدة فقال: ((إن القرآن كله كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض، والدليل عليه أنه قد يذكر الشيء في سورة ثم يجيء جوابه في سورة أخرى))^(٢).

والتَّنَاسُب بين مفتتح السُّورَة وخاتمتها يشبه إلى حد بعيد التَّنَاسُب بين آيات السُّورَة الواحدة؛ لتبدو كالبناء المتكامل^(٣)، وتبلغ درجة التَّنَاسُب، أحياناً، بين فاتحة السُّورَة، وخاتمتها لدرجة تعلقهما ببعضهما لفظاً^(٤).

ويتحقق هذا النوع من التَّنَاسُب في سورة (ص) بوسائل متعددة وهي^(٥):

أ- التَّنَاسُب بتكرار اللفظ:

يرد تناسب الذكر في هذه السُّورَة؛ إذ يتكرر فيها اللفظ نفسه في المفتتح، والخاتمة، فجاء في مفتتحها قوله ﷻ: ﴿.. وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ۝١﴾، وقوله: ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ... ۝٨﴾، وختمها بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ ۝٨٧﴾، فالمناسبة بينهما واضحة؛ إذ تكررت الكلمتان: (الذكر) في

(١) ينظر: التَّنَاسُب بين السُّور في المفتتح والخواتيم ٧ - ٨.

(٢) مفاتيح الغيب ٣٠ / ٧١٩.

(٣) ينظر: مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور ٥٥.

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٣٨٠.

(٥) اعتمدت هذا التقسيم على وفق ما وجدته من أوجه التَّنَاسُب، فضلاً على الاعتماد على

رسالة الماجستير: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ٤٠.

المفتتح، والخاتمة^(١).

ب- تناسب الإجمال، والتفصيل:

ويكون فيه فاتحة السورة إجمالاً للتفصيل في الخاتمة، أو العكس، فذكر في فاتحة سورة (ص) القرآن الكريم، ووصفه بـ ﴿ذِي الذِّكْرِ﴾، أي: الشرف^(٢)، ولم تفصل في الفئة التي يستهدفها القرآن، في حين خاتمة السورة فصلت في ذلك، وبيّنت أنه جاء للعالمين، أي: ((الجميع المكلفين من الإنس، والجن))^(٣)، في قوله ﷻ: ﴿... ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٨٧).

وذكرت فاتحة السورة هلاك الأمم السابقة في الدنيا، ولكنها لم تبيّن عقابهم في الآخرة فقال ﷻ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ...﴾^(٢)، وفصلت خاتمة السورة عقابهم في قوله ﷻ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٨٥)، ففرى أن جملة: ﴿وَمِمَّنْ تَبِعَكَ﴾ جمعت عقاب إبليس، ومن تبعه من الأمم السابقة المكذبة، أي: ((كل من كان على شاكلتك))^(٤).

وورد في ختام السورة قوله ﷻ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٨٢)، فجاءت كلمة: ﴿لَأُغَوِّيَنَّهُمْ﴾ مجملة، فهنا يتوعد إبليس بني البشر بالغواية، ولم تفصل الآية كيفيتها، فجاءت الآية [٦] في مفتتح السورة تقدم إحدى صور هذه الغواية، وتفصل فيها، فمن صورها أن إبليس يحث أتباعه على التمسك بعبادة الأوثان، وترك عبادة الله ﷻ، ويدفعهم لتحريض الآخرين على الشرك، فقال ﷻ: ﴿وَأَنْطَلِقُ لَمْلَأْ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾^(٦).

ويلحظ أن هناك تناسباً وترابطاً بين فاتحة السورة، ووسطها، وخاتمتها، فبيّن مفتتحها إيذاء المشركين رسول الله ﷺ، واتّهامه بالسحر والكذب، وسخريتهم من دعوة التوحيد في قوله ﷻ: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾^(٤) أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ^(٥) وَأَنْطَلِقُ لَمْلَأْ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ^(٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ

(١) ينظر: مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ٦٢، والتناسب بين السور في المفتتح والخواتيم ٥١.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العزيز، للإبيري ٤ / ٨٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٧ / ٨٣.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦ / ٤٠٧.

هَذَا إِلَّا أَخْلَقْتُ ﴿٧﴾ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُفُّوْا عَذَابِي

وجاء في وسط السورة تفصيل عقاب هؤلاء المكذبين، الذين آذوا رسول الله ﷺ، وأنهموه بتلك الاتهامات الباطلة، فقال ﷺ: ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّغْيِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَسْرُ الْمُهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَيَدُفُّوْهُ حِمِيمٌ وَعَسَاقُ ﴾.

وتوعد الله ﷻ في خاتمة السورة إبليس، ومن تبعه من المشركين بدخول نار جهنم، في تأكيد واضح لما جاء في وسط السورة من بيان عاقبتهم يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٨٥﴾.

من ذلك يتضح لنا الترابط بين مفتتح السورة الذي بين طبيعة المشركين، ووسطها المبين عاقبة سلوكهم، وخاتمتها المؤكدة مصيرهم يوم القيامة.

ت- تناسب المرجعية السابقة الداخلية:

وهي العلاقة التي تربط بين نصين بمعنى عام، أو خاص، أو غيرها من العلاقات (١)، فنجد في سورة (ص) آيات مفتحتها بينت عصيان المشركين ربهم بتكذيبهم دعوة سيدنا محمد ﷺ في الآيات [٤ - ٨]، وتناسب ذلك مع مختتم السورة الذي أظهر عصيان إبليس ربه حينما أبى السجود لآدم عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٧٤﴾، وقوله: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ ﴿٧٦﴾، فنلاحظ أن المفتتح، والمختتم أظهر الارتباط في المعنى في جانب عصيان الله ﷻ من قبل المشركين، وإبليس.

من خلال الدراسة السابقة يتضح لنا وجود التناسب بين فاتحة السورة، وخاتمتها من خلال تكرار اللفظ، أو الإجمال والتفصيل، أو المرجعية السابقة الداخلية، وبذلك يبرز لنا هذا النوع من التناسب جانباً من إعجاز القرآن الكريم، ويثبت بأنه كلام الله ﷻ، وليس من عند البشر (٢)، إلا إن ((هذه الصورة من التناسب لا يلزم وجودها بين جميع السور، بل قد تظهر في سورة، ولا تظهر في أخرى)) (٣).

(١) ينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ٤٠.

(٢) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي ٩٠.

(٣) البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم ٣١٣.

ثالثاً: التناسب اللغوي بين الآيات:

توجد هذه الصورة بكثرة في القرآن الكريم؛ لذا اعتنى بها كثير من المفسرين؛ إذ يكون التلاؤم بين الآيات، فتبدو كلحمة واحدة يربط بعضها بعضاً، وقد يحصل الترابط بين الآيات المتتابعة، أو بين مقاطع الآيات^(١).

وبين الزمخشري أن آيات القرآن الكريم نظمت نظماً محكماً؛ إذ تبدو كالبناء المتماسك المتراس^(٢)، فهي ((وحدة واحدة متماسكة مترابطة، يأخذ بعضها بحجز بعض))^(٣). قال الرازي واصفاً نظم القرآن: ((كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه، ونظم آياته))^(٤)، وبين البقاعي أن انتظام الآيات في القرآن الكريم هي من دلائل إعجازه، ولن يستطيع أحد من الإنس، أو الجنّ الإتيان بمثله^(٥). وجاء علم المناسبة؛ ليبين عدة فوائد، منها ما يتصل بـ((جلاء معنى النص، أو بجماله، أو بتناسقه مع بعضه بعضاً، وتآلفه))^(٦).

ورد في سورة (ص) صور من تناسب الآيات، وهي:

أ- التناسب اللغوي بين مقاطع الآيات:

يعزز وجود التناسب بين المقاطع وحدة السورة، وتماسكها، ومعرفته مهم؛ لتبين الجوانب الجمالية في مواضع الوصل، والفصل^(٧)، وقسمت السورة بحسب المعاني التي تحملها على أحد عشر مقطعاً، وهي على النحو الآتي:

المقطع الأول: مقطع التمهيد:

(١) ينظر: أضواء على ظهور علم المناسبة ٤١، والبيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم

٣٠٩، والمناسبات القرآنية ٥٢.

(٢) ينظر: الكشف عن حقائق التنزيل ٢ / ٣٧٧.

(٣) درج الدرر في تفسير الآي والسور ٢ / ٥٢.

(٤) مفاتيح الغيب ٧ / ١٠٦، وينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٣٧٠، ومناهل العرفان في علوم

القرآن ١ / ٨٠.

(٥) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١ / ٨٧.

(٦) علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم، وكشف إعجازه ٢٣.

(٧) ينظر: ظاهرة المد في الأداء القرآني ٣٩٩.

وفيه وصف طبيعة المشركين، والرد عليهم، ويبدأ هذا المقطع من الآية [١] إلى الآية [١١]؛ إذ يقول ﷺ: ﴿صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۚ﴾ (١) ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ شِقَاقٌ ۚ﴾ (٢) ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مَن قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحِثْ مَنَاصٍ ۚ﴾ (٣) ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ۚ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۚ﴾ (٤) ﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۚ﴾ (٥) ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۚ﴾ (٦) ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأَلَمَةِ الْأُولَىٰ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقٌ ۚ﴾ (٧) ﴿أَنزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۚ﴾ (٨) ﴿أَمْرٌ عَنْهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ ۚ الْوَهَّابِ ۚ﴾ (٩) ﴿أَمْلَهُمْ مِّلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۚ﴾ (١٠) ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ۚ﴾.

ويُعدُّ هذا المقطع الأساسي، والمرتكز الذي انطلقت منه بقية المقاطع في سورة (ص)؛ إذ ابتدأت السورة بحرف الصاد المتناسب مع اسمها، وأقسم ﷺ بالقرآن بأنه معجز، وذكر فيه حال الأمم السابقة المكذبة لرسولها، وبعدها ذكر المقطع حال المشركين، وتكبرهم في قبول الرسالة، والامتنال للحق الذي جاء به الرسول محمد ﷺ.

وأردف بعده ﷺ ذكر ما صدر عنهم من كلماتهم الفاسدة تجاه النبي ﷺ من نسبتهم إليه، وبما جاء به من دعوة التوحيد بالسحر، والكذب، إذ كيف يكون لإله واحد يرزق الجميع وينظر في جميع أمورهم؟ وأصروا على عبادة الأوثان وحرَّضوا غيرهم على التمسك بها، واستغربوا مجيء رسول من جنسهم^(١).

وتوعد الله ﷻ في هذا المقطع المشركين بالعذاب يوم القيامة، وأخبر ﷺ في نهايته أن الله مالك السماوات والأرض سيهزم هؤلاء المشركين، فما هم إلا ((جند مجهول، منكر، هين الشأن، مَهْزُومٌ))، كأن الهزيمة صفة لازمة له، لاصقة به، مركبة في كيانه، ﴿مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ (المختلفة الاتجاهات والأهواء)^(٢).

وأشارت الآيات في نهاية المقطع إلى هزيمة المشركين يوم بدر قبل وقوعها^(٣)، ونصر ونصر المسلمين على الرغم من قلة عددهم، وعدتهم، وكان ذلك بمنزلة معجزة من معجزات

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير ٩ / ١٣٦ - ١٣٨.

(٢) في ظلال القرآن ٥ / ٣٠١٣.

(٣) ينظر: تفسير عبد الرزاق ٣ / ١١١.

الله ﷻ، وتناسب ذلك مع بداية المقطع الذي أشار إلى معجزة القرآن الكريم، أي: إن ختام المقطع جاء؛ لتنظيم تلك المعجزات.

وتناسب المقطع مع مقصد من مقاصد السورة في بيان جزاء المُكذِّبين، وهذا ما أشارت إليه بعض الآيات في قوله ﷻ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ...﴾ (٣)، وقوله: ﴿... لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ (٨)، وقوله ﷻ: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ (١١).

كذلك تناسب المقطع مع مقصد آخر من مقاصد السورة، وهو إثبات وحدانية الله ﷻ، فنجد أن تكذيب المشركين لألوهيته ﷻ في قوله: ﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (٥)، وقوله: ﴿... وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ (٦) ما هو إلا إثبات لها، فبالأضداد تعرف الأمور.

وبيّنت الآية في قوله ﷻ: ﴿أَمْلَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ (١٠) تفريده ﷻ بالربوبية، وملكوت السماوات والأرض، قال أبو حيان: ((أي: ليس لهم شيء من ذلك)) (١)، وتناسب ذلك مع مقصد السورة في إثبات وحدانيته ﷻ.

المقطع الثاني: أحوال الأمم السابقة:

يبدأ المقطع من الآية [١٢] إلى الآية [١٦].

يقول ﷻ: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْدَادِ﴾ (١٢) ﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ (١٣) ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ (١٤) ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ (١٥) ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

نلاحظ وجه التناسب، والارتباط بين المقطعين الأول، والثاني، ف((بعد بيان أن المشركين توانوا، وتكاسلوا عن النظر والاستدلال؛ لأنه لم ينزل بهم العذاب، بين الله ﷻ في هذه الآيات أن أقوام سائر الأنبياء كانوا هكذا، حتى نزل بهم العقاب)) (٢)، والمقصود من ذلك تخويف الكفار من العقاب الذي سيحل بهم جزاء تكذيبهم الرسول ﷺ.

(١) البحر المحيط في التفسير ٩ / ١٤٠.

(٢) التفسير المنير ٢٣ / ١٧٤.

وهناك ارتباط بين خاتمة المقطع السابق في قوله ﷺ: ﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ (١١)، الذي بيّن هزيمة المشركين حتى لو تحزّبوا، بفتاحة هذا المقطع في قوله ﷺ: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ﴾ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴿، الذي قدّم الدليل على هزيمتهم بذكر أمثلة لمصير بعض الأمم السابقة المكذبة، وفصل ذلك بذكر أسمائها، وأنهم سيلاقون مصير تلك الأمم من العقاب، وزاد التناسب بين الآيات في المقطعين تكرار لفظ ﴿الْأَحْزَابِ﴾.

ويوجد تناسب في المقطع نفسه بين مفتحه الذي تحدث عن تكذيب المشركين الدعوة، ومختتمه الذي بيّن استهزاء المكذّبين بالعذاب وسخريتهم، في تتميم واضح لموقفهم من دعوة التوحيد، وبالمقابل تناسب المقطع مع أحد مقاصد السورة وهو (بيان عقاب المشركين)؛ إذ فصل في أسباب عقابهم.

المقطع الثالث: قصّة نبي الله داود عليه السلام:

يبدأ المقطع من الآية [١٧] إلى الآية [٢٦].

قال ﷺ: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١٧) إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ (٢٠) وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَارُوا بِالْمِحْرَابِ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهِدْنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَى نَجْمِهِ وَإِنْ كَثِيرٌ مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِبَنِي بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّكَابٍ (٢٥) يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿.

فبعد أن ذكر الله ﷻ في المقطع السابق أحوال الأمم السابقة التي كذّبت الرسل، وحلول العقاب عليهم؛ تسليةً لرسوله محمد ﷺ؛ وتصبيراً له على أذى المشركين، ساق هذه القصّة كي تزيده صبراً وثباتاً، فذكر فيها نعمه على داود عليه السلام، فجاء متمماً المقطع السابق في حثه النبي

على الصبر، والثبات، فكأنَّ القصة تريد أن تخبر سيدنا محمداً ﷺ بأنَّ الله ﷻ سيُنعم عليه كما أنعم على نبيه داود عليه السلام إن هو صبر على أذى المشركين.

ونلاحظ أنَّ افتتاح المقطع بحث النبي ﷺ على الصبر يتناسب مع خاتمة المقطع السابق المبيِّن لبعض صنوف الأذى الذي تعرض له من المشركين، كاستهزائهم بعذاب الله ﷻ، وسخريتهم من الحساب يوم القيامة، وكأنَّ فاتحة المقطع تقول له: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ...﴾ (١٧) من استهزائهم بما جئت به، وسخريتهم من يوم القيامة حينما قالوا: ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (١٦).

وتناسب ذلك أيضاً مع خاتمة المقطع نفسه، التي بيَّنت ثمرة الصبر على أذى المكذِّبين، وهو أن الله ﷻ سينتقم لرسوله منهم بالعذاب الشديد يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿... إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (١٦).

وفي هذا المقطع نجد توسعاً في سرد قصة داود عليه السلام؛ إذ تضمَّنت عدة موضوعات منها: الصفات التي أنعم الله ﷻ بها على داود، التي أهَّلتَه لسعادة الدنيا والآخرة، وإصدار الحكم في واقعة بين خصمين، واستخلاف الله ﷻ إياه بعد تلك الواقعة (١)، وتناسب ذلك مع تسمية السورة الاجتهادية بـ(سورة داود).

ونلاحظ تناسب المقطع مع مقصود السورة من بيان ثواب المتقين حينما قال ﷻ: ﴿... وَإِنَّ لَهُ، عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (٢٥)، وبيان جزاء المشركين في قوله: ﴿... إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٢٦).

المقطع الرابع: إثبات البعث، والعدل يوم القيامة:

يبدأ المقطع من الآية [٢٧] إلى الآية [٢٩].

قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا، ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٢٨) كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، فجاء هذا المقطع معترضاً مقطعي (قصة داود

عليه السلام، وقصة سليمان عليه السلام؛ من أجل كشف حقيقة مهمة هي: ((أن خلق السماء والأرض وما بينهما لم يكن باطلاً، ولم يبق على الباطل، إنما كان حقاً، وقام على الحق، ومن هذا الحق الكبير تتفرع سائر الحقوق))^(١)، منها:

- خلافة الأرض.

- الحكم بين الناس.

- تقويم أعمال الناس، فلا يكون المحسن كالمتسيء^(٢).

وتناسب المقطع مع المقاطع السابقة التي هدد فيها الحق ﷻ الضالين عن سبيله بالعذاب الشديد يوم القيامة، وبين فيها العاقبة الطيبة للمتقين، فجاء هذا المقطع ليؤكد مجيء هذا اليوم، وأنه سيتم فيه الحساب، ولن يتساوى في ذلك المؤمن والكافر^(٣).

وتناسب مفتحه مع خاتمة المقطع السابق؛ فكلاهما توعدا الضالين، والكافرين بالعذاب الشديد يوم القيامة، فقال ﷻ في خاتمة المقطع الثالث: ﴿... إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ۝٢٦﴾، وقال في مفتح هذا المقطع: ﴿... فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۝٢٧﴾.

ونلاحظ وجود تناسب في المقطع نفسه بين مختتمه الذي ذكر نزول القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿كَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ... ۝٢٩﴾، ومفتحه الذي ذكر السماء، وهو المكان الذي نزل منه الكتاب، وذكر الأرض، وهي المكان الذي استقر فيه الكتاب، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلاً... ۝٢٧﴾؛ إذ إن النزول يكون من الأعلى إلى الأسفل، وكأن معنى الآيتين في المفتح والمختتم: (كتاب أنزله الله ﷻ من السماء ليستقر في الأرض).

وتناسب المقطع مع مقصود السورة بالبعث، فقال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلاً... ۝٢٧﴾، وقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ

(١) في ظلال القرآن ٥ / ٣٠١٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٥ / ٣٠١٩.

(٣) ينظر: التفسير المنير ٢٣ / ١٩٣.

كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾، فالذي استطاع أن يخلق السماوات والأرض قادر على بعث الناس، وحسابهم، وتمييز النقي من الفاجر، ثم إنه ((لو كان على ما ظن أولئك أن لا بعث ولا حياة، لكان ذلك جمعاً، وتسوية بين الولي، والعدو، وفي الشاهد من سوى بين من عاداه، وبين من والاه، وجمع بينهما في البر، والجزاء كان سفيهاً غير حكيم))^(١)، تعالى الله علواً كبيراً عما يقوله الظالمون.

المقطع الخامس: قصّة نبي الله سليمان عليه السلام:

يبدأ المقطع من الآية [٣٠] إلى الآية [٤٠].

قال ﷺ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَنِيِّ الصَّفِيفَتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُطَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ، عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّثَآبٍ ﴿٤٠﴾

بين ﷺ في هذا المقطع قصّة نبيه سليمان بن داود عليه السلام، وتناسب ذلك مع مقطع قصّة أبيه داود عليه السلام، فجاء متمماً تعداد النعم التي أنعم الله ﷻ بها على أبيه؛ ليتعظ زعماء قريش؛ إذ كان لهما ملك عظيم لا يقارن بملك قريش، وكان عندهم نعم، وخيرات كثيرة، ولم يمنعهم ذلك من الاستكبار عن عبادة الله ﷻ وطاعته كما فعل سادة قريش^(٢)، وهذه النعم تتناسب مع مقصود السورة من بيان ثواب المتقين في الآيات [٣٦ - ٤٠].

ومدح الله ﷻ نبيه سليمان عليه السلام في مفتتح المقطع، فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿٣٠﴾، فوصفه بأنه ((كثير الطاعة، والعبادة، والإنابة إلى ربه في أكثر الأوقات، وفي كثير من المهمّات؛ اعتقاداً منه بأن كل شيء من الخير لا يتم إلا بإعانتة

(١) تفسير الماتريدي ٨ / ٦٢٢.

(٢) ينظر: التفسير المنير ٢٣ / ١٩٩.

وتوفيقه))^(١)، وتتاسب ذلك مع مختتم المقطع الذي بين ثواب طاعة سليمان عليه السلام ربه فقال ﷺ: ﴿وَأَن لَّهُ عِندَنَا زُفَىٰ وَحُسْنُ مَآبٍ ۖ﴾، وتحصل مثل هذه الخاتمة ((في حق من صدر عنه امتثال الأوامر في الخدمة، والطاعة وتحمل أنواعاً من الشدائد في الموافقة، والانقياد))^(٢).

المقطع السادس: قصّة نبي الله أيوب عليه السلام:

يبدأ المقطع من الآية [٤١] إلى الآية [٤٤].

قال ﷺ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۖ﴾^(٤١) أَزْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ^(٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ^(٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا ضَرَبَ بِهِ، وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۖ﴾.

بعد أن ذكر الله ﷻ نعمه على داود، وابنه سليمان عليهما السلام؛ ليتعظ سادة قريش ويعتبروا، ساق قصّة أيوب عليه السلام؛ إذ ابتلاه الله ﷻ ((بولده، وأهله، وماله، ثم بجسده، فأصابه من البلاء ما لم يصب أحداً من الخلق، فصبر لأمر الله، ولم يزل منيباً لله))^(٣)، ففي ذكر هذه القصّة ((إرشاد لرسول الله ﷺ إلى الاقتداء به في الصبر على المكاره))^(٤)، وتسلية له.

من ذلك يتبين لنا التّناسب بين المقطعين: (الثالث، والخامس) اللذين حملا قصتين لتعليم الشكر على النعمة، وعدم الاستكبار على عبادة الله ﷻ، وبين هذا المقطع الذي به التّعليم على الصبر في المحن، والشدائد^(٥)، فهناك تعليم على الشكر، وهنا تعليم على الصبر.

وكرم الله ﷻ نبيه أيوب عليه السلام بالذكر في مفتتح المقطع، فقال ﷺ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ...

﴾^(٤١)، وفي ذلك مدح وثناء عليه^(٦)، وتتاسب ذلك مع خاتمة المقطع؛ إذ أثنى عليه ﷻ.

(١) تفسير المراغي ٢٣ / ١١٨.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٤٠٨.

(٣) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ١ / ٢٥٣.

(٤) فتح القدير ٤ / ٥٠٠.

(٥) ينظر: التفسير المنير ٢٣ / ٢٠٦.

(٦) ينظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان ٤ / ٣٦٨.

بقوله: ﴿...نَعَمْ الْعَبْدُ...﴾ (٤٤) ويستعمل الفعل (نعم) بالمدح^(١)، وبلغ مقدار التناصب بينهما أن لو دمجنا مفتاح المقطع، ومختتمه لم يخلل المعنى، وكأنهما آية واحدة ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ ﴿نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

وتناسب المقطع مع مقصود السورة في إثبات وحدانية الله ﷻ، فبينت آياته قدرته ﷻ المتمثلة في معجزة شفاء أيوب عليه السلام من مرضه، وما صاحبها من معجزات أخرى بعد أن دعا ربه، فأجاب الله ﷻ دعاءه وقال له: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (٤٢)، أي: ((اضرب برجلك الأرض، ففعل فنبعت عين ماء، فأمره الله أن يغتسل منها، ففعل، فذهب كل داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة، فركض الأرض برجله الأخرى؛ فنبعت عين أخرى، ماء عذب بارد، فشرب منه؛ فذهب كل داء كان بباطنه))^(٢)، فأثبتت هذه المعجزات وحدانيته ﷻ، وأنه وحده القادر على مثل هذه الأمور.

المقطع السابع: قصة إبراهيم، وذريته (إسحاق، ويعقوب، وإسماعيل، واليسع، وذو الكفل) عليهم السلام:

يبدأ المقطع من الآية [٤٥] إلى الآية [٤٨].

قال ﷻ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ﴾ (٤٥) ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ (٤٦) ﴿وَلَهُمْ عِنْدَنَا لِمَنْ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ (٤٧) ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾.

فبعد أن ذكر الله ﷻ في المقطع السابق صبر أيوب عليه السلام على ما أصابه من أذى، جاء هذا المقطع؛ ليتّم بأمثلة أخرى على الأنبياء الصّابرين؛ تسليّة للرسول ﷺ، ومواساة له على إيذاء مشركي قريش، فنذكره بصبر إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وصبر أنبياء الله: (إسحاق، واليسع، وذو الكفل) عليهم السلام على أذى بني إسرائيل، وصبر يعقوب عليه السلام على فقدان ولده وبصره، وصبر إسماعيل عليه السلام حينما أراد أبوه أن يذبحه؛ تنفيذًا لأمر الله ﷻ^(٣).

(١) ينظر: الكافية في علم النحو ٤٩.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي ٧ / ٩٦.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط، للزحيلي ٣ / ٢٢١٠.

وجاءت هذه القصة؛ تنميماً لقصص السورة الواردة في المقاطع السابقة، كقصة داود عليه السلام في المقطع الثالث، وقصة ابنه سليمان عليه السلام في المقطع الخامس، ونلاحظ أنَّ هناك تناسباً بين مفتتح المقطع ومختتمه؛ فمفتتحه ذكر نبي الله إبراهيم عليه السلام، ونبييْن من ذريته في قوله عليه السلام: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ...﴾ (٤٥)، ومختتمه أتمَّ الثلاثة الأنبياء الآخرين من ذرية إبراهيم عليه السلام في قوله عليه السلام: ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ...﴾ (٤٨)، وتكرَّر الفعل: (اذكر) في بداية المقطع، وخاتمته.

وتناسب المقطع مع مقصود السورة بالبعث في قوله عليه السلام: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ (٤٦)، فقد ألهم الله عليه السلام أنبياءه الإكثار من ذكر يوم القيامة، وتذكُّر الرجوع إليه؛ لأنه لا بد من بعثهم، ومحاسبتهم^(١).

المقطع الثامن: ثواب المتقين يوم القيامة:

يبدأ هذا المقطع من الآية [٤٩] إلى الآية [٥٤].

قال عليه السلام: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (٤٩) جَنَّتْ عَذْنٌ مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَكِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرِاتُ الْأُفُفِ أَثَرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾.

نلاحظ تناسب هذا المقطع مع المقاطع السابقة، فبعد أن تكلمت تلك المقاطع على طبيعة المشركين، وإيذائهم النبي عليه السلام، أمره الله عليه السلام أن يصبر عليهم لسببين: الأول: أنَّ المتقين من الأنبياء قبله صبروا على ما لاقوه من أذى، ومكاره؛ فعليه أن يقتدي بهم.

الثاني: ذكَّر الله عليه السلام في هذه الآيات، وما بعدها الثواب لمن أطاعه، والعقاب لمن خالفه يوجب الصبر على الأذى والمكاره^(٢).

ونلاحظ افتتاح المقطع باسم الإشارة (هذا) الذي تتناسب مع المقطع السابق له، وربطه به،

(١) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٩٢٥.

(٢) ينظر: تفسير المراغي ٢٣ / ١٢٩.

فقوله ﷺ: ﴿ هَذَا ذِكْرٌ ﴾ به ((إشارة إلى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسن هؤلاء الأنبياء، والدالة على مناقبهم العظيمة)) (١)، وفصل ﷺ ما أتى من بعد لفظ (ذكر) عن المقاطع السابقة، قال أبو حيان: ((لما أمره ﷺ بالصبر على سفاهة قومه، وذكر جملة من الأنبياء وأحوالهم، ذكر ما يؤول إليه حال المؤمنين والكافرين من الجزاء، ومقر كل واحد من الفريقين، ولما كان ما يذكره نوعاً من أنواع التنزيل، قال: ﴿ هَذَا ذِكْرٌ ﴾، كأنه فصل بين ما قبله وما بعده)) (٢).

وتناسب المقطع مع مقصود السورة بالبعث، وبيان ثواب المتقين، فتفصيل هذا الثواب واضح في المقطع من بدايته لنهايته.

ونلاحظ أن الله ﷻ وعد المتقين في مفتتح المقطع بحسن الثواب في قوله: ﴿..وَأَنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ ٤٩﴾، وتناسب ذلك مع مختتم المقطع الذي بين فيه ﷻ وفاءه بهذا الوعد فقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ٥٤﴾.

المقطع التاسع: جزاء الطاغين يوم القيامة:

يبدأ المقطع من الآية [٥٥] إلى الآية [٦٤].

قال ﷺ: ﴿ هَذَا وَابِكِ لِلطَّغِينِ لَشَرِّ مَآبٍ ٥٥ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُهَا إِلَهُ ٥٦ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ٥٧ وَءَاخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ٥٨ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ أَنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ٥٩ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَنْسِفُ الْقَرَارُ ٦٠ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ٦١ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ٦٢ أَخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ٦٣ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ٦٤ ﴾.

تناسب هذا المقطع مع المقطع السابق، فبعد أن بين الله ﷻ ثواب المتقين، ذكر جزاء الفئة الطاغية من الكافرين، وتمثل هذا التناسب في المقابلة بين المقطعين (٣) في قوله ﷺ:

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٥١١.

(٢) البحر المحيط في التفسير ٩ / ١٦٦.

(٣) ينظر: صفوة التفاسير ٣ / ٦١.

(﴿وَأَنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَكَابٍ ٥٩﴾، و﴿وَأَنَّ لِلطَّغْيِينَ لَشَرِّ مَكَابٍ ٥٥﴾، وقوله: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْنَحَةٌ لَهُمُ الْأُتُوبُ ٥٠﴾، و﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ الْمِهَادُ ٥٦﴾، قال المراغي: ((بعد أن وصف ﷺ ثواب المتقين، أردفه بوصف عقاب الطاغين؛ ليكون ذلك متمماً له، فيأتي الوعيد عقب الوعد، والترهيب إثر الترغيب))^(١).

ورد في مختتم المقطع حال المشركين في الآخرة من تنازع، واختلاف بينهم، وهم داخل النار، فقال ﷺ: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ٦٤﴾، وتناسب ذلك مع مفتتح المقطع الأول الذي وصف الاختلاف بينهم في الدنيا، فقال ﷺ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ٢﴾، وكان صفة التنازع، والاختلاف بين المشركين صفة ملازمة لهم سواء في الدنيا، أو الآخرة. وتناسب مضمون المقطع مع مقصود السورة بالبعث، ومحاسبة الطاغين، فبينت الآيات عقابهم يوم القيامة.

المقطع العاشر: تأكيد رسالة النبي ﷺ:

يبدأ المقطع من الآية [٦٥] إلى الآية [٧٠].

قال ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ٦٦ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ٦٧ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ٦٨ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ٦٩ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ٧٠﴾.

نلاحظ أن هناك تسلسلاً واضحاً بين المقاطع، ابتداءً من المقطع الأول، ووصولاً إلى هذا المقطع، وهذا دليل على إعجاز القرآن الكريم؛ ففي البداية دعا الرسول ﷺ إلى التوحيد، وقابله المشركون بالأذى، والتسفيه، وصبر عليهم، وساق له ﷺ الكثير من الأمثلة، والقصص على ما لاقاه الأنبياء قبله من الأذى، وتحملهم لذلك حتى يزيده صبراً وثباتاً، وذكر له في آيات المقطعين: الثامن، والتاسع ثواب المتقين، وعذاب المشركين يوم القيامة، ثم عاد في هذا المقطع لتقرير المطالب التي ذكرها في أول السورة^(٢).

قال الزحيلي: ((هذه الآيات عود على بدء السورة الداعية إلى التوحيد، وإثبات نبوة النبي

(١) تفسير المراغي ٢٣ / ١٣١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢٣ / ١٣٥.

ﷺ، والمعاد، فهي تقرير للتوحيد، ووعد، ووعد للموحدين، والمشركين؛ بسبب الإعراض عن دعوة النبي محمد ﷺ، وإثبات للبعث الذي يفصل فيه بين المؤمنين، والكافرين بعد إنذار النبي ﷺ في الدنيا بعقاب من أنكر التوحيد، والنبوة، والمعاد، وهذا دليل على أن السورة إلى آخرها في أحسن وجوه الترتيب والنظم))^(١).

وتناسب ذلك مع مقصود السورة الأعظم، وهو توحيد الله ﷻ؛ إذ يقرر ﷻ أولوهيته في قوله: ﴿...وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝٦٥﴾، وربوبيته في قوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا.. ۝٦٦﴾، يقول سيد قطب: ((هذا الدرس الأخير في السورة يعود إلى تقرير القضايا التي عرضت في مقدمتها قضية التوحيد))^(٢).

ونلاحظ أيضاً أن هناك تناسباً بين ختام المقطع الذي بين فيه ﷻ أن ما يقوله الرسول ﷺ إنما بوحى من عند الله ﷻ، ومهمته تكمن في إنذار الناس دون إجبار، فقال على لسانه: ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٧٠﴾، ومفتحه الذي جاء متمماً له، إذ فصل في طبيعة هذا الإنذار في قوله ﷻ: ﴿...وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝٦٥﴾، أي: أنذرهم بوجوب توحيد الله ﷻ، وعدم الشرك به، وكأن الآيتين ملتحمتان؛ إذ لا يمكن فصلهما، فيكون معناهما: (أنذرهم يا محمد بأنه ما من إله يستحق التوحيد، والعبادة غير الله الواحد القهَّار).

وهناك تناسب في تكرار اللفظ بين مفتتح المقطع في قوله ﷻ: ﴿...إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ... ۝٦٥﴾، ومختتمه في قوله: ﴿...إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ... ۝٧٠﴾.

المقطع الحادي عشر: قصة آدم عليه السلام، وتكبر إبليس:

يبدأ المقطع من الآية [٧١] إلى الآية [٨٥].

قال ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ، سٰجِدِينَ ۝٧٢ فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٧٣ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ ۝٧٤ قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيدِي ۖ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعٰلِينَ ۝٧٥ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ، مِن طِينٍ

(١) التفسير المنير ٢٣ / ٢٢٥.

(٢) في ظلال القرآن ٥ / ٣٠٢٥.

﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾

نلاحظ أنَّ هذه القصة ذكرت أو أشير إليها في سور (البقرة [٣٤]، والأعراف [١٨-١١]، والحجر [٢٨-٤٤]، والإسراء [٦١-٦٥]، والكهف [٥٠]، وطه [١١٦]).

والغرض منها النهي عن التَّكْبُر، والحسد، ((ولتكون زاجراً للكفار عن هاتين الخصلتين المذمومتين))^(١)، وأخذ العظة، والعبرة مما حصل لإبليس بسبب ذلك، وتناسب هذا المقطع مع المقطع الأول الذي بيّن رفض مشركي قريش توحيد الله ﷻ للسبب نفسه^(٢)، قال أبو حيان: ((ولما كانت قريش، خالفوا الرسول ﷺ بسبب الحسد والكبر، ذكر حال إبليس، حيث خالف أمر الله بسبب الحسد والكبر، وما آل إليه من اللعنة والطرده من رحمة الله، ليزدجر عن ذلك من فيه شيء منهما))^(٣).

ومن المناسبات بين هذا المقطع والمقطع السابق أنه ((لما ذكر ﷻ خصومة الملائكة إجمالاً فيما تقدم، ذكرها هنا تفصيلاً، فقال: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ...﴾ ﴿٧٦﴾، (إذ): هي بدل من ﴿...إِذْ يَخْضَعُونَ﴾ ﴿٦٩﴾^(٤)، وكأنَّ الكلام هو: حينما اختصمت الملائكة على خلافة الأرض قال ربك كذا وكذا، والاختصام هنا عبارة عن سؤال وجواب وليس بمعنى الخصومة^(٥).

وتناسبت بعض آيات المقطع مع مقصود السورة بالبعث يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾، وقال: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ ﴿٨١﴾، ومع مقصودها بعقاب المشركين يوم القيامة في قوله ﷻ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٨٥﴾.

(١) التفسير المنير ٢٣ / ٢٣٠.

(٢) ينظر: تفسير المراغي ٢٣ / ١٣٧.

(٣) البحر المحيط في التفسير ٩ / ١٧٣.

(٤) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٤ / ٤٤١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٢٤ / ٤٤١.

المقطع الثاني عشر: مهمة الرسول ﷺ، والقرآن الكريم:

يبدأ المقطع من الآية [٨٦] إلى الآية [٨٨].

قال ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (٨٦) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٨٧) وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

فهذه الخاتمة للسورة يتبين فيها حال الرسول ﷺ، وهو أنه لا يأخذ أجرًا ومالًا على دعوة الناس توحيد الله ﷻ، وهي دعوة من وحي الله عليه، وتتحدد فيها مهمة القرآن الكريم بأنه عظة للعالمين من الإنس والجن، وستظهر معجزته ووعده ووعيده يوم البعث (١).

وجاء ختام السورة بهذا المقطع مناسبًا مع ما سبقه من مقاطع، فبعد أن كشفت المقاطع السابقة المصير، وأعلنت النذير، جاء هذا المقطع لبيِّن أن دعوة الرسول ﷺ دعوة خالصة لا يصاحبها رياء، ولا طلب أجر، ولا تصنع؛ إذ يقول ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (٨٦)، وأن ما جاءت به المقاطع السابقة من موضوعات متعددة إنما أتت للعتة والعبرة حتى لا ينسون أو يغفلون، قال ﷺ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٨٧).

وفي ذلك يقول ابن عاشور: ((لما أمر الله رسوله بإبلاغ المواعظ والعبر التي تضمنتها هذه السورة، أمره عند انتهائها أن يقرع أسماعهم بهذا الكلام، الذي هو كالفلذكة للسورة تنهية لها تسجيلًا عليهم أنه ما جاءهم إلا بما ينفعهم، وليس طالبًا من ذلك جزاء)) (٢)، فلو كان غرضه من ذلك أخذ أجر ينفع به نفسه لثبت اتهامهم له بالكذب، فلما انتفى ذلك وجب عليهم تصديقه.

وهناك تناسب بين المقطعين [١١، ١٢] تمثل في قوله ﷺ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٥)، وقوله: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ (٨٨)، وعلق سيد قطب على هذا التناسب بقوله: ((وإنه للنبا العظيم الذي لا يلقون بالهم إليه اليوم، وليعلمن نبأه بعد حين، نبأه في الأرض، وقد علموه بعد سنوات من هذا القول، ونبأه في اليوم المعلوم عند ما يحق وعد الله

(١) ينظر: التفسير المنير ٢٣ / ٢٣٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣ / ٣٠٨.

اليقين: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٥) ((١)).

ونلاحظ اختتام السورة بـ((الإيقاع المدوي العميق الموحى بضخامة ما سيكون: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ

نَبَاهُ، بَعْدَ حِينٍ﴾ (٨٨) ((٢)) ليتناسب ذلك مع افتتاحها، وموضوعاتها والقضايا التي تعالجها.

ب- التَّنَاسُبُ اللُّغَوِيُّ بَيْنَ الْآيَةِ، وَمَا قَبْلَهَا:

إن ترابط الآية المعنوي بما قبلها وما بعدها هو علة ترتيبها في السور القرآنية، ((فقد يطوي معنى، ومقصد الآية لما بعدها من الآيات، فيناسب مقصد الآية السياق السابق بالسياق اللاحق للآية الأخرى)) (٣)؛ إذ إنَّ المناسبة تُظهر دلالة مجموع الآيات مع السياق العام للسورة.

تحتاج معرفة تناسب الآية بما قبلها إلى جهدٍ، وإعمال فكرٍ، فالدارس يحتكم في بعض الأوقات لذوقه الأدبي، وأحياناً لحسّه الفطري (٤)، فـ((يمثل تناسب الآية مع قبلها مظهرًا من مظاهر ترابط النصّ القرآني وتماسكه، سواء أكان هذا الترابط واضحًا أو خفيًا)) (٥)، ويحقق هذا التَّنَاسُبُ فائدة جليّة تتمثل في تقوية الارتباط بين الآيات؛ ليصبح حالها كالبناء المتماسك (٦)، ومن أمثلة ذلك:

المناسبة الظاهرة بين قول الله ﷻ: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقوله ﷻ في الآية التالية لها: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ (٣٥)، فـ((الرابطه هنا تضاد بين الكافرين والذين آمنوا، والوعيد بالنار للكافرين، والوعد بالجنات للمؤمنين، وعناد الكافرين رغم

(١) في ظلال القرآن ٥ / ٣٠٢٩.

(٢) المصدر نفسه ٥ / ٣٠٢٩.

(٣) البيان في سياق بلاغة النسق القرآني ١٠٢.

(٤) ينظر: مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح ١٥٥، ومصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن

الكريم والسور ١٠٠، ومناسبات السور والآيات ٢٢.

(٥) سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ٥٧.

(٦) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٣٧١.

عجزهم أمام التحدي، وانقياد المؤمنين بأن عملوا الصالحات))^(١).

وقال الرازي في بيان مناسبة قوله ﷺ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]، وقوله في الآيتين التاليتين: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾^(٢) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ: ((وجه المناسبة أنه ﷺ ذكر أول حال الإنسان، وهو كونه علقه مع أنها أخس الأشياء، وآخر حاله وهي صيرورته عالماً، وهو أجل المراتب، كأنه ﷺ قال: كنت أنت في أول حالك في تلك الدرجة التي هي غاية الخساسة، فصرت في آخر حالك في هذه الدرجة التي هي الغاية في الشرف))^(٣).

ويتم الارتباط بين الآيتين المتتابعتين في سور القرآن الكريم بعدة طرائق، فهو: ((إما أن يكون ظاهراً؛ لتعلق الكلام ببعضه ببعض، وعدم تمامه بالأولى، أو لكون الثانية واقعة من الأولى موقع التأكيد، أو التفسير، أو الاعتراض، أو البديل، وإما أن يكون غير ظاهر))^(٤)، أو يكون بواسطة الإجمال، والتفصيل، أو غيرها من طرائق الارتباط.

ومن تتبّع آيات سورة (ص) يمكن أن يلمس هذا النوع من التناسب على النحو الآتي:

- في قوله ﷺ في أول السورة: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقٍ﴾^(٥)، نجد التناسب واضحاً مع الآية التي قبلها: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾^(٦)، فهي بمنزلة الجواب لقسم الآية الأولى؛ إذ إن ((معنى الآية مع ما قبلها كما يلي: وحق القرآن المشتمل على التذكير، والعبرة، إنه يجب الإيمان به، لكن الكافرين لم يؤمنوا، لا لخلل وجدوه فيه، بل لأنهم في استكبار شديد عن اتباع الحق، وشقاق أي: مخالفة لله، ومعاندة، ومشاقة لرسوله، ولذلك كفروا به))^(٧).

- جاءت الآية [٣] في قوله ﷺ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتْ حِينَ مَنَاصٍ﴾ معترضة بين الآيتين [٢، ٤]؛ لغرض بيان جزاء المشركين الذين وُصفت حالهم في الآية [٢] بأنهم ﴿فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقٍ﴾^(٨)، وجاءت الآية [٤] في قوله ﷺ: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ

(١) علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم، وكشف إعجازه ٤٦.

(٢) مفاتيح الغيب ٢ / ٤٠٦.

(٣) مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور ٨٩.

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٤٧٥.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٠٦.

كَذَّابٌ ﴿ معطوفة على الآية [٢] في قوله ﷻ: ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾، فورد حرف العطف (الواو) كأداة للجمع بين الآيتين في المعنى.

- جاءت جملة: ﴿ أَجْعَلُ اللَّاهُةَ إِلَهًا وَحِدًا... ﴾ ﴿٥﴾ بيان لجملة: ﴿... هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴾ ﴿٤﴾^(١)، ونلاحظ وجود تناسب لفظي بين فاتحة الآية [٤] التي ابتدأت بالفعل ﴿عَجِبُوا﴾ في قوله ﷻ: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ...﴾، ونهاية الآية [٥] التي انتهت بلفظ ﴿عَجَابٌ﴾ في قوله ﷻ: ﴿... إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾، وهي صيغة مبالغة^(٢)، ما يعزز الترابط بين الآيتين.

- قد يأتي التَّنَاسُبُ بين الآية، وما قبلها من قبيل البيان، والإيضاح، كذكر الشيء وضده، وهذا ما لمستته من التَّنَاسُبِ بين قوله ﷻ: ﴿... وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ...﴾ ﴿٦﴾، وقوله في الآية التي تسبقها: ﴿أَجْعَلُ اللَّاهُةَ إِلَهًا وَحِدًا...﴾ ﴿٥﴾.

- من المناسبات بين الآيات في القرآن الكريم أن تأتي الآية جوابًا عن سؤال في الآية التي تسبقها على سبيل البيان، والإيضاح، وهذا ما لمستته في قوله ﷻ: ﴿أَمْرُهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ ﴿٩﴾، فالجواب هنا يوضح ((أنَّ منصب النبوة منصب عظيم، ودرجة عالية، والقادر على هبتها يجب أن يكون عزيزًا، أي: كامل القدرة، ووهَّابًا: أي: عظيم الجود، وذلك هو الله ﷻ))^(٣)، وهذا الجواب ردٌّ على السؤال الاستنكاري من مشركي قريش حول تخصيص سيدنا محمد ﷺ بالنبوة ونزول القرآن عليه في قوله ﷻ: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا...﴾ ﴿٨﴾.

- جاءت الآية في قوله ﷻ: ﴿أَمْلَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا...﴾ ﴿١٠﴾، مبيِّنة للآية التي تسبقها في قوله ﷻ: ﴿أَمْرُهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ ﴿٩﴾، فحين ((ذكر الخزائن أولًا على العموم، أردفها بذكر السماوات والأرض، وما بينهما، يعني أن هذه الأشياء أحد أنواع خزائن الله))^(٤).

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣ / ٢١٠.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٣٧٦.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣٧٠.

(٤) اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٣٨٠.

- جاءت الآية في قوله ﷺ: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ۝١١﴾ مبيّنة، وشارحةً للآية في قوله: ﴿أَمْلَهُمْ مَلِكُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلَيَرْتَعُونَ فِي الْأَسْبَابِ ۝١٠﴾، فلا يكون للمشركين ملكوت السماوات، والأرض؛ لأنهم جندٌ ضعفاء منهزمون^(١).

- ارتبطت الآية [١٣] في قوله ﷺ: ﴿وَتُمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ ...﴾، بالآية السابقة لها في قوله ﷺ: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ۝١٢﴾ بواسطة حرف العطف (الواو)، فجمعت الآيتان الأقوام المكذبة للرسول.

- جاءت الجملة الاستئنافية في قوله ﷺ: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤﴾ مؤكدةً الجملة الخبرية في قوله ﷺ: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ۝١٣﴾ و﴿وَتُمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾، فتكرار التكذيب بالجملة الخبرية أولاً، وبالجملة الاستئنافية ثانياً أكد المعنى وزاده وضوحاً^(٢).

- ومن التناصب في التفصيل، والإجمال بين الآيات، فصلّت الآية في قوله ﷺ: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ۝١٥﴾ بعض العقاب الذي أجملته الآية في قوله ﷺ: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤﴾، فبيّنت أحد أنواعه؛ إذ سيعاقبهم الله ﷻ بـ((النفخة الثانية، وهي نفخة الفرع التي يأمر الله إسرافيل أن يطولها، فلا يبقى أحد من أهل السماوات والأرض إلا فرع، إلا من استثنى الله ﷻ))^(٣).

- نلاحظ أنّ الجملة في قوله ﷺ: ﴿أَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ ... ۝١٧﴾ جاءت مجملة، فلم توضح قول المشركين، بينما يظهر تفصيل قولهم في الآية التي سبقتها: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۝١٦﴾.

- أورد الله ﷻ في السورة قصّة نبيه داود عليه السلام، وذكر النعم التي أنعم بها عليه في عدة آيات؛ إذ ارتبطت كل آية بما قبلها بواسطة حرف العطف (الواو)، وذلك في قوله ﷺ: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣٧٠.

(٢) ينظر: الكشف عن حقائق التنزيل ٤ / ٧٦.

(٣) التفسير المنير ٢٣ / ١٧٦.

الْجِبَالُ مَعَهُ يُسَيِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرُ مُحْشُورَةٌ كُلُّ لَهٍ وَأَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾.

- ولا يخفى التَّنَاسُبُ بين الآيات [٢٢ - ٢٤]، والآية التي تسبقهن في قوله ﷺ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ ﴿٢١﴾؛ إذ فَصَّلَتْ تلك الآيات ما أجمَلته الآية [٢١]، فقال ﷺ: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ... ﴿٢٤﴾.

- جاءت الجملة في قوله ﷺ: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ...﴾ ﴿٢٥﴾ متممة للآية التي تسبقها، حينما دعا نبي الله داود عليه السلام ربه أن يغفر له في قوله ﷺ: ﴿... فَأَسْتَغْفِرَ رَبَّهُ...﴾ ﴿٢٤﴾، ونلاحظ انتهاء قصة داود عليه السلام بعد الآية ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ ﴿٢٥﴾، فلما انتهت أردفها الله ﷻ ببيان تفويض خلافة الأرض لداود عليه السلام (١) في قوله: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ﴿٢٦﴾، أي إن هذه الآية جاءت متممة الآيات السابقة.

- بَيَّنَّتِ الآية في قوله ﷺ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ ﴿٢٨﴾ أن المفسد في الأرض، والفاجر لن يتساوى مع المصلح، والتقي في الجزاء يوم القيامة، فالآية بها ((رد واضح على منكري البعث الذين جعلوا مصير المطيع والعاصي إلى شيء واحد)) (٢)، وهنا تأكيد للمعنى في الآيتين اللتين سبقتهما في قوله ﷺ: ﴿... إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ...﴾ ﴿٢٦﴾، وقوله: ﴿... فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ﴿٢٧﴾.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣٨٦.

(٢) التفسير المنير ٢٣ / ١٩٦.

- في قوله ﷺ: ﴿ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ۝٣٧ ﴾ وعَاخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝٣٨ ﴾، عطفت الآية [٣٧] على الآية التي سبقتها بواسطة حرف العطف (الواو)، وأيضا الآية [٣٨] عطفت على سابقتها بواسطة الحرف نفسه، فجمعت هذه الآيات المعجزات التي وهبها الله ﷻ نبيه سليمان عليه السلام، وتناسب ذلك مع الآية التي تسبقهن، فقد دعا فيها سليمان عليه السلام ربه أن يهب له ملكا لم يهبه لأحد غيره، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝٣٥ ﴾، فتضمنت هذه الآيات [٣٦ - ٣٨] إجابة الدعاء.

- نجد الجملة في قوله ﷻ: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا... ۝٣٩ ﴾ اعتراضية، وتناسبت مع الآيات [٣٦ - ٣٨] المبينة، والمفصلة لهذا العطاء، والمتضمنة تسخير الريح لنبي الله سليمان عليه السلام حتى تقضي حاجاته، وتسخير الشياطين يبنون له ما يريد، ويستخرجون له اللآلئ من البحر^(١).

- جاءت الآية [٤٠] في قوله ﷻ: ﴿ وَإِنَّا لَهُ، عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ۝٤٠ ﴾ معطوفة على الآيات [٣٦ - ٣٨] المبينة لنعم الله ﷻ على نبيه سليمان عليه السلام في الدنيا، فبعد أن انتهت تلك الآيات من ذكر النعم في الدنيا جاءت هذه الآية متممة لهنّ بذكر نعم الله ﷻ على نبيه في الآخرة، وارتبطت بهن بواسطة حرف العطف (الواو).

- انتقلت السورة بعد ذلك إلى ذكر قصة نبي الله أيوب عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ... ۝٤١ ﴾، فعطفت هذه الآية على الآية التي افتتحت قصة نبي الله داود عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿ ... وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ... ۝١٧ ﴾، قال ابن عاشور: ((هذا مثل ثان ذكر به النبي ﷺ أسوة به في الصبر على أذى قومه، والالتجاء إلى الله في كشف الضر، وهو معطوف على ... وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ .. ۝١٧ ﴾))^(٢).

وَمَنْ تَتَّبَعَ بَقِيَّةَ آيَاتِ الْقِصَّةِ يَجِدُ الْمُنَاسِبَةَ وَاضِحَةً بَيْنَ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ

(١) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل ٤ / ٤٤.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٦٨.

بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِرَأْسِ الْأَوَّلِ ﴿٤٣﴾ وقوله ﷺ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ فالآيتان [٤٢ - ٤٣] بهما استجابة الله ﷻ لدعاء نبيه أيوب عليه السلام الذي كان قد دعاه في الآية السابقة لهما، والآية [٤٣] جاءت معطوفة على الآية [٤٢]، فارتبطت بها بواسطة حرف العطف (الواو)، بينما لم ترتبط الآية [٤٤] في قوله ﷺ: ﴿وَحُذِّبِكَ ضُغْتًا فَأُضْرِبَ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ بسابقتها، فهذه قصة أخرى تختلف عن قصة صبر أيوب عليه السلام، و((ذكرت هنا تكملةً لمظهر لطف الله بأيوب جزاءً على صبره))^(١).

- انتقلت بعدها السورة لذكر قصص أنبياء الله: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام في قوله ﷺ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ... ﴿٤٥﴾﴾، فعُطِفَت هذه الآية على الآيات [١٧، ٣٠، ٤١]، والتي ذُكِرَت قصص أنبياء الله: (داود، وسليمان، وأيوب) عليهم السلام، في قوله ﷺ: ﴿... وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ... ﴿١٧﴾﴾، وقوله: ﴿... وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ... ﴿٣٠﴾﴾، وقوله: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ... ﴿٤١﴾﴾.

ولما انتهى ﷺ من ذكر قصص الأنبياء تحوّلت السورة لموضوع آخر يُصَبِّرُ فيه نبيه على أذى قريش، فربط الآية [٤٩] بما سبقها من تلك الآيات بقوله ﷺ: ﴿هَذَا ذِكْرٌ...﴾، وهذا ما نجده حينما يفرغ ((الكاتب من فصل من كتابه، وأراد الشروع في آخر قال: هذا وقد كان كيت وكيت))^(٢).

- جاءت الآيات في قوله ﷺ: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مُمْنَحَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهْمٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْإِبْرَةِ أَنْزَابٌ﴾ مفصلات للآية السابقة لهنّ في قوله ﷺ: ﴿... وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾﴾، فبيّنت ثواب المتقين الذي وصفته الآية [٤٩] بجملة (حسن مآب)، ونلاحظ أن الآية [٥٢] عُطِفَت على الآيتين السابقتين لها بواسطة حرف العطف (الواو)، فارتبطت بهما بهذا الرابط.

(١) التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٧٣.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٦ / ٤٠١.

وأكدت الآية في قوله ﷻ: ﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (٥٣) الثواب الذي سيناله المتقون يوم القيامة، والتي فصلت فيه الآيات [٥٠ - ٥٢]، وجاءت الآية التالية لها؛ لتكرّر المعنى نفسه زيادة في التوكيد في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا... ﴾ (٥٤).

- جاء اللفظ ﴿ هَذَا ﴾ في قوله ﷻ: ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ ﴾ (٥٥)؛ لربط الآية بما سبقها من آيات، ف﴿ هَذَا ﴾ تعني: ((هذا الذي ذكرنا ثواب المتقين، وجزاء تقواهم))^(١).

ويوجد تناسب بين جملة ﴿ وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ ﴾، والجملة السابقة لها في قوله ﷻ: ﴿ .. وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَثَابٍ ﴾ (٤٩)، فهذا التناسب هو تناسب الأضداد الذي يهدف لمزيد من البيان والإيضاح.

وفصلت الآيتان في قوله ﷻ: ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنَسَّ الْأَهَادُ ﴾ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ﴿ جزاء الطّاعين يوم القيامة، لنتناسب مع الآية السابقة لهما والتي أجملت ذلك في قوله ﷻ: ﴿ .. وَإِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ ﴾ (٥٥).

ونلاحظ تناسب الآية في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ (٦٤) مع ما سبقها من آيات في عدة جوانب منها:

- جاءت جواباً عن القسم الوارد في قوله ﷻ: ﴿ .. وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴾ (١) ^(٢).

- أكدت الآية [٢] في قوله ﷻ: ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ التي بينت أن الكافرين في تنازع، وتخاصم مستمرين في الدنيا والآخرة.

- أشارت إلى تخاصم أهل النار، ولم تفصل فيه، وتناسبت مع ما قبلها من الآيات المفصلة لذلك الاختلاف في قوله ﷻ: ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَنَسَّ الْفَرَارُ ﴿ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿.

من ذلك نلاحظ التناسب بين الآية [٦٠]، وما قبلها؛ إذ يظهر فيهما مدى التباغض بين الكافرين، حتى إنهم يلعنون بعضهم في النار، يقول الماتريدي: ((قالت الخزنة لمن في النار:

(١) تفسير الماتريدي ٨ / ٦٤٠.

(٢) ينظر: تفسير القرآن، للعز بن عبد السلام ٣ / ٧١.

﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ ﴾، فيردون على الخزنة: ﴿ لَا مَرْجَا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾، فيرد عليهم القوم الذين اقتحموا النار بعدهم: ﴿ بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَا بِكُمْ ﴾^(١).

- جاءت الآيتان في قوله ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾^(٦٥) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿ لتؤكدوا وحدانية الله ﷻ، وربوبيته، وتردًا على المشركين الذين اتهموا الرسول محمد ﷺ بالسحر، والكذب، وسخروا من دعوته، والتي أوردته الآيات السابقة في قوله ﷺ: ﴿ ... هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴾^(٤)، وقوله: ﴿ أَجْعَلُ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَحْدًا ... ﴾^(٥)، وقوله: ﴿ ... أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾^(٦)، وقوله: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِهَةٍ الْأَخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾^(٧)، وقوله عز من قائل: ﴿ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ... ﴾^(٨).

- ولا تخفى على أحد المناسبة بين قوله ﷺ: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴾^(١٧)، وقوله: ﴿ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾^(٦٨)؛ إذ أتت الآية [٦٨] متممة للآية السابقة لها، وبلغ درجة الالتحام بين الآيتين أن لو دمجناهما لم يختل المعنى، فكأن المعنى هو: (قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون)، قال الزجاج: ((النبأ الذي أنبأكم به عن الله ﷻ نبأ عظيم، والذي أنبأكم به دليل على نبوتي))^(٢)، ومع ذلك أعرضوا عنه، وكذبوا به.

ونلاحظ تناسب الآيتين [٦٧ - ٦٨] مع الآية [٧] في قوله ﷺ: ﴿ ... إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾، ففيهما ردٌّ على الكافرين الذين وصفوا ما جاء به النبي ﷺ بالاختلاق.

وبين ﷺ في قوله ﷺ: ﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾^(٦٩) إن يوحى إلى إلا أننا أنذيرٌ مُبِينٌ ﴿ بأن ((هذا النبأ العظيم الذي حدثكم به، ليس من عندي، وإنما هو من عند الله))^(٣)، في تتيميم واضح للآيتين [٦٧ - ٦٨].

ثم تنتقل السورة إلى مقطع قصّة نبي الله آدم عليه السلام، وتكبر إبليس، لنجد فيه مجموعة من مناسبات الآيات لما قبلها تتمثل في الآتي:

(١) تفسير الماتريدي ٨ / ٦٤١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٤٠.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب ١٢ / ١١٠٨.

- تناسب الآية في قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي...﴾ (٧٢)، مع الآية السابقة لها في قوله ﷻ: ﴿...إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ (٧١)؛ إذ تكلمت الآيتان عن مراحل خلق الإنسان، فالآية [٧١] بينت خلق الإنسان من طين، ثم جاءت الآية [٧٢] لتتم الآية [٧١] وتكمل عليها، وتبين المرحلة الأخرى لخلقه، وهي بث الروح فيه.

- أمر الله ﷻ الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿... فَقَعُوا لَهُ سَجِدِينَ﴾ (٧٢)، فاستجابت الملائكة لهذا الأمر كما بينته الآية اللاحقة لها في قوله: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٧٣).

- ذكرت الآية في قوله ﷻ: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٧٤) استثناء إبليس من السجود لآدم عليه السلام، وبينت عدم سجود جميع الملائكة لآدم عليه السلام الذي جاء في قوله ﷻ: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٧٣).

ولا يخفى التناسب بين الآيات في الحوار الدائر بين الله ﷻ، وإبليس، فقد تبجح إبليس في بيان سبب عدم سجوده لآدم عليه السلام في قوله ﷻ: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ...﴾ (٧٦)، فكان ذلك جواباً عن سؤال رب العزة له في قوله ﷻ: ﴿... مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيدَيَّ...﴾ (٧٥)، ولا يخفى التناسب بين قوله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٧٦)، وقوله: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٨٠)، والتناسب بين قوله ﷻ في بيان توعده إبليس بني آدم بالغواية: ﴿قَالَ فِعْرَئِكَ لَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢)، وقوله ﷻ رداً عليه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٥).

وفي نهاية السورة بين الله ﷻ في قوله: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَاءَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ (٨٨) أن ما جاء به القرآن الكريم حق، وسيتيقن الإنسان من ذلك يوم القيامة^(١)، وتناسبت هذه الآية مع الآية السابقة في قوله ﷻ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٨٧) التي بينت مهمة القرآن الكريم، وهي تذكير الغافلين عن الله ﷻ^(٢)، فالنبا الذي أوردته الآية [٨٨]، هو الذكر الذي أتى به القرآن والمذكور في الآية [٨٧].

(١) ينظر: معاني القرآن، للنحاس ٦ / ١٤٢.

(٢) ينظر: التصارييف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه ١٦٣.

المبحث الثاني التناسب القصصي

أهمية القصص القرآني:

تعد القصة في القرآن الكريم من أبرز مكونات السورة؛ لتمييزها بحسن التصوير، وبراعة التركيب، والقدرة الكبيرة على تقريب المعنى للمتلقى، وتحمل القصة عدة مقاطع متماسكة، ما يدل على تماسك السورة الواحدة، وقوة ترابطها^(١)، والغرض منها الاطلاع عليها، وتعرف تفاصيلها^(٢).

وتأتي القصة لـ((تساهم فيما يرمي إليه القرآن بعامة من الوعظ، والنصح، والإرشاد))^(٣)، قال أبو زهرة: ((تجيء القصة في القرآن للعبارة كما قال ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ...﴾ [يوسف: ١١١]، فكل قصة هي موضع عبرة، وكل جزء من قصة هو لبرة في هذا الجزء تناسب وضعه))^(٤)، وتخضع القصة في القرآن في أسلوب عرضها، وسردها للحوادث لمقتضى الأغراض التي تتشدها^(٥).

فالقصاص في اللغة يعني: التتبع، قال ابن فارس: ((القاف، والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء، من ذلك قولهم: (اقتصصت الأثر)، إذا تتبعته))^(٦)، وتفيدنا القصة في الكشف عن الآثار التي مضت، والتتقيب عن الأحداث التي نسيها الناس، أو غفلوا عنها، لتذكيرهم بها، ولفتهم إليها، وأخذ العبرة، والعظة منها^(٧).

(١) ينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ٦٨، وسورة القصص دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١٦٢.

(٢) ينظر: الفوز الكبير في أصول التفسير ٧٠.

(٣) من بلاغة القرآن ٢٧٦.

(٤) زهرة التفسير ٧ / ٣٦١٤.

(٥) ينظر: التصوير الفني في القرآن ١٤٣.

(٦) مقاييس اللغة ٥ / ١١ (قص).

(٧) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ٤٨.

ويأتي القصص القرآني للإخبار ((عن أحوال الأمم الغابرة، وشأن النبوات السابقة والحوادث الواقعة، وأمور كثيرة أخرى، وقد اشتمل القرآن الكريم على كثيرٍ من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار وما حدث فيها))^(١).

وموضوع القصص القرآني عبارة عن ((نسيج من الصدق الخالص، وعصارة من الحقيقة المصفاة، لا تشوبه شائبة من وهم، أو خيال، إنه يبنى من لبنات الواقع بلا تزويق ولا تمويه))^(٢)، يقول ﷺ: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ...﴾ [آل عمران: ٦٢].

وتعد الـ((قصّة في القرآن عملاً فنيّاً مستقلاً في موضوعه، وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصّة الفنية الحرة، التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق))^(٣)، ويعمد أسلوب القصّة على التوجيه إلى مكان العظة، والعبرة، وترك الجوانب التاريخية المجردة^(٤).

ومما لا شك فيه أن القصّة المحكمة يطرب لها السامع، وتدخل نفسه بكل سهولة، ويتفاعل معها المتلقّي، وبالمقابل يجني ثمارها^(٥)، وكثيراً ما يرد في النص القرآني هذا الأسلوب لتحقيق تلك الغاية، فتتحقق أهداف هذه القصص التي من ضمنها:

- تسليّة الرسول محمد ﷺ بالحديث عن الأذى الذي لاقاه الرسل من قبله، وذلك يدفعه للصبر على أذى المشركين.

- إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ، والأنبياء السابقين.

- مقارعة المُكذِّبين بالحجة والبرهان^(٦).

- الدعوة إلى الله ﷻ، فأسلوبها أخذٌ يستحوذ على القلوب، ويسيطر على النفوس، ويهيئ

(١) نفحات من علوم القرآن ١٠٦.

(٢) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ٩.

(٣) التصوير الفني في القرآن ١٤٣.

(٤) ينظر: من روائع القرآن، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله ﷻ ٩٥.

(٥) ينظر: مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان ٣٢١.

(٦) ينظر: المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة ٢٠٩.

العقول لحسن التلقي، فتذعن له في يقين، وتسلم بالنتائج في رضا وثقة^(١).

خصائص أسلوب التعبير في القصص القرآني:

أ- الإجمال، والتفصيل:

امتاز القصص القرآني عند نزوله في بداية الدعوة بالعرض المجمل، فمثلاً تأتي القصة بذكر من وقع عليه العذاب من الأمم السابقة من دون أن تصرح بأسمائهم، أو أسماء أنبيائهم، أو التفصيل في طريقة الحوار، فقد كان غرض الدعوة في بدايتها تحذير المشركين في مكة من العناد، والتكذيب لدعوة سيدنا محمد ﷺ.

ثم أخذت القصة منحى التفصيل كلما تقدم عمر الدعوة، فتظهر المحاورات، وإظهار الأدلة والبراهين، ويشتد الصراع بين الحق، والباطل، فيذكر اسم النبي، أو الرسول، ومحاورته مع قومه، فتكون بذلك أكثر تفصيلاً، وتكون آياتها طويلة؛ لأنها تتجه إلى إثارة التفكير والتأمل فيما جرى على الأمم من قبل.

ونلاحظ أن ما ورد من القصص في القرآن الكريم مجملاً في موضع يأتي تفصيله في مواضع أخرى، ذلك تبعاً لمقامات الخطاب وما يناسب السياق الذي وردت فيه، ففي سورة الكهف ورد ذكر قصة آدم عليه السلام، وتكبر إبليس مجملة في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ...﴾ (٥٠)، وجاء تفصيلها في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، منها سورة (ص) في قوله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ (٧١) ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (٧٢) ﴿فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٧٣) ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٧٤) ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (٧٥) ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (٧٦) ﴿قَالَ فَخُذْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (٧٧) ﴿وإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٧٨) ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٧٩) ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٨٠) ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (٨١) ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٨٣) ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ (٨٤) ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

(١) ينظر: مباحث في علوم القرآن، لمناح القطان ٣١٦.

ب - إصابة المعنى:

ويقصد به: ((الدقة التامة في انتقاء الألفاظ، وحسن اختيارها، ووضعها في موضعها))^(١)، ويتأق أسلوب القرآن في اختيار ألفاظه، وهناك فروق دقيقة بين تلك الألفاظ؛ إذ يستعمل كل لفظ في المكان الذي يناسبه؛ ليؤدي معناه بدقة فائقة^(٢)، من ذلك ما ورد في سورة (ص) في قوله ﷺ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ﴾^(٣)، في هذه الآية استعملت صيغة الجمع (العباد)؛ إذ جمعت الآية (العبد) على (العباد)، ولم تجمعها على (العبيد)، وهناك فروق بين الجمعين، من ذلك ما ذكره ابن جني في قوله: ((أكثر اللغة أن تستعمل (العبيد) للناس، والعباد لله))^(٤)، أي: نقول: عبيد الناس، وعباد الله، واستعمل لفظ (العبيد) في القرآن الكريم خمس مرات فقط، وذلك في سياق نفي صفة الظلم عن الله ﷻ حين يأمر بإدخال الكافرين النار.

ففي الآيات [١٨٢، ٥١، ١٠] من سور: (آل عمران، والأنفال، والحج)، يقول ﷻ: ﴿... وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾، وفي سورة فصلت قال ﷻ: ﴿... وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٥)، وقال في سورة (ق): ﴿... مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٦).

بينما ورد لفظ (العباد) في القرآن الكريم في أكثر من مئة موضع، وهي في معظمها تعني: طاعة الله ﷻ وإخلاص العبودية له، ويأتي لفظ (عباد) لوصف المسلمين العابدين، بينما لفظ (العبيد) يوصف به الكافرين، وهذا يفسر مناسبة استعمال لفظ (عباد) بدلاً من (عبيد) في الآية [٤٥] من سورة (ص).

ت - حسن التخلص:

ويقصد به: ((أن ينتقل مما ابتدئ الكلام به إلى المقصود على وجه سهل، يختلسه اختلاساً دقيق المعنى؛ إذ لا يشعر السامع بالانتقال إلا وقد وقع عليه الثاني؛ لشدة الالتئام بينهما))^(٧)، ويسمى كذلك بالخروج، وهو الخروج من معنى لمعنى آخر، فتحمل القصة

(١) الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ٧٠.

(٢) ينظر: من بلاغة القرآن ٥١.

(٣) المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ٢ / ١٤.

(٤) مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور ٩١.

القرآنية عدة معانٍ يتم التنقل بينها في سلاسة ويسر، لا يشعر به^(١).

ومن أمثلة ذلك قصة داود عليه السلام الواردة في الآيات [١٧-٢٦] من سورة (ص)، فقد ابتدأت بدعوة النبي محمد ﷺ بالصبر على أذى المشركين، كما صبر نبي الله داود عليه السلام على قومه، فقال ﷺ: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١٧).

ثم انتقلت للحديث عن النعم التي أنعم بها الله ﷻ على نبيه داود عليه السلام في قوله ﷺ: ﴿إِنَّا سَحَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (٢٠).

بعدها ذكرت قصة الخصمين اللذين تسورا المحراب، وأرادا من داود عليه السلام أن يقضي بينهما بالحق، فقال ﷺ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضِمِّ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِيَ نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَى نِعَاجِهِ...﴾ (٢٤).

وذهبت للحديث عن استغفار داود عليه السلام ربه، وإجابة دعائه في قوله ﷺ: ﴿... وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٢٥) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٦).

وانتهت القصة بذكر نصائح، وتوجيهات الله ﷻ لنبيه داود عليه السلام في قوله: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٢٧).

من ذلك نلاحظ انتقال آيات قصة داود عليه السلام في سورة (ص) من معنى إلى معنى آخر، ومن فكرة إلى فكرة أخرى، وتمّ هذا الانتقال بسلاسة، ومن دون أن يُشعر به، فكان ذلك من بديع حسن التلخيص في القرآن الكريم.

أنواع القصص القرآني:

إن القصة في القرآن الكريم لا تخرج عن ثلاثة أنواع، هي:

(١) ينظر: الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ٨٢ - ٨٣.

النوع الأول:

تأتي القصة لتتحدث عن الأنبياء، ومعجزاتهم التي أيدهم الله ﷻ بها، وتحكي المعاناة التي عانوها مع أقوامهم، من تكذيب، واتّهام بالسحر، وغيره، كما تبيّن عاقبة المُكذّبين، وثواب المتقين، وهذا النوع من القصص القرآني نجده الغالب على سائر القصص الأخرى^(١). وهناك العديد من الأمثلة على ذلك، منها قصص أنبياء الله: (نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وسيدنا محمد، وغيرهم من الرسل) عليهم الصلاة والسلام.

النوع الثاني:

تجد بعض القصص تتحدث عن حوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، كقصص (أصحاب الكهف، وذو القرنين، وطالوت وجالوت، وأصحاب السبت، وقارون وأصحاب الأخدود)، وغيرهم^(٢).

النوع الثالث:

قصص تتعلق بالأحداث الواقعة زمن الرسول محمد ﷺ، كغزوة بدر، وأحد الوردتين في سورة آل عمران، وغزوة حنين، وتبوك في سورة التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، ونحو ذلك مما حدث في زمن المصطفى ﷺ^(٣).

ويُتّضح من ذلك أن القصص القرآني على الرغم من تعدد طرائق مجيئه في القرآن، إلا أنّه لا يأخذ القصة كاملة، بل يأخذ منها بما يتوافق مع مقصود السورة، ويستغني عن الباقي، ولا سيّما أن القصص القرآني ليس همه سرد الأحداث التاريخية فحسب، وإنما يأخذ منها الجوانب الإيجابية، أو السلبية، بما يخدم الأهداف والغايات التي ترنو إليها القصة^(٤).

وجدير بالذكر أن هذه الجوانب اللغوية، والأدبية تحتاج إلى دراسات واسعة، لا يتسع المجال لذكرها في هذا المبحث، وقد تطرّقت إليها؛ لصلتها الوثيقة بموضوع الدراسة التي سأتناولها على النحو الآتي:

(١) ينظر: المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة ٢٠٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢٠٨.

(٣) ينظر: نفحات من علوم القرآن ١٠٧.

(٤) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ٥١، وقصص القرآن الكريم ٤٦ - ٤٧.

أولاً: التكرار في القصص القرآني:

إن لتكرار القصة في القرآن الكريم فوائد بلاغية كثيرة^(١)، وهو يأتي بأساليب مختلفة، وذلك لتسليية الرسول ﷺ، وردع، وزجر المُكذِّبين، وبيان عاقبتهم^(٢).

وتتجلى معجزة القرآن في هذا الجانب؛ إذ لم تتكرر قصة في موضعين، أو أكثر على النمط نفسه، فكل صورة تأتي عليها القصة تحمل جديداً في الصياغة، ودقة المعنى بما يخدم غايتها، والمقام الذي ترد فيه^(٣).

قال الخليلي: ((فإنَّ السُّور لا تعرض القصص بطريق السرد كما هو شأن القصاصين، وإنما تأتي منها بقدر ما يخدم الموضوع الذي ذكرت خلاله القصة، وبحسب ما يتلاءم مع هذا الجو))^(٤).

من ذلك نلاحظ تكرار القصص الواردة في سورة (ص) مع سور أخرى في القرآن الكريم، وسأتناول هذا الجانب من خلال دراسة تلك القصص في سورة (ص)، وبيان تكرار موضوعاتها مع بقية السُّور على النحو الآتي:

١ - قصة نبي الله داود عليه السلام:

ذكر الله ﷻ قصة داود عليه السلام في عدة مواضع من القرآن الكريم، منها الآية [٢٥١] من سورة البقرة، والآيات [٧٨ - ٨٠] من سورة الأنبياء، والآيتان [١٥ - ١٦] من سورة النمل، والآية [١٠] من سورة سبأ، فبيّنت تلك القصص أن داود عليه السلام أكرمه الله ﷻ بالعلم، والحكمة، وسخر له الجبال، والطير يسبحن معه، وآلان له الحديد، وكان عبداً خالصاً لله، وآتاه الله ﷻ ملكاً عظيماً، وأمره أن يحكم بالعدل بين الناس، وتكرّر ذكر قصته في القرآن الكريم بصيغ مختلفة.

ففي جانب تسخير الطير، والجبال لداود عليه السلام، يقول ﷻ في سورة (ص): ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝ ١٨ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۝ ١٩﴾، فبيّنت الآية [١٨] تسخير الجبال

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة ٤٦٢.

(٢) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ١ / ٣٣٣.

(٣) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة ٤٦٢.

(٤) جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل ٣ / ٦.

لداود عليه السلام بالتفصيل، فذكرت تسبيحهن لله ﷻ، وتكلمت على وقت التسبيح، فهنّ ((يسبحن مع داود بالعشي، وذلك من وقت العصر إلى الليل، والإشراق، وذلك بالغداة وقت الضحى)) (١)، وفصلت الآية [١٩] حال الطير عند التسبيح؛ إذ يدعوها داود عليه السلام لذلك فتجتمع إليه، وتسبح معه (٢).

وذكرت الآية في قوله ﷻ: ﴿... وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ...﴾ [الأنبياء: ٧٩] تسبيح الجبال والطير مجملًا، وفي سورة النمل يقول ﷻ: ﴿...عُلِمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ...﴾ (١٦)؛ إذ إنّها لم تفصل في تسخير الطير لتسبيح الله ﷻ، وإنما أشارت لفهم داود عليه السلام لغة الطير، ولم تتعرض كذلك لتسبيح الجبال لله ﷻ، ونجد هذا الإجمال كذلك في سورة سبأ؛ إذ يقول ﷻ: ﴿... يَجِبَالُ أُوبَى مَعَهُ، وَالطَّيْرَ...﴾ (١٠).

وبيّنت الآية في قوله ﷻ في سورة (ص): ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ، وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ (٢٠) النعم الأخرى التي أنعم بها الله ﷻ على نبيه داود عليه السلام، فأعطاه الملك، والفهم، والرشاد، وإحكام الرأي، وألهمه القدرة على تبيين الحق، والحكم به (٣).

وتكرّر ذكر هذه النعم في آيات أخرى من سور القرآن الكريم، فقال ﷻ في سورة البقرة: ﴿...وَأَتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ...﴾ (٢٥١)، وقال في سورة الأنبياء: ﴿...وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾ (٧٩)، وفي سورة النمل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا...﴾ (١٥).

من ذلك نلاحظ أنّ الآية [٢٠] من سورة (ص) ذكرت الملك، والحكمة، وفصل الخطاب، بينما الآيات الأخرى لم تذكرها جميعًا، ففي سورة البقرة ذُكر الملك، والحكمة، وفي سورة الأنبياء ذُكر الحكم، ولم يفصل في العلم، وذكرت سورة النمل كذلك العلم مجملًا، أي: إنّ سورة (ص) كانت أكثر تفصيلًا في هذا الجانب، وعزّزت هذا التفصيل بسرد قصّة نبي الله داود عليه السلام، وهو يباشر القضاء بين الناس في الآيات [٢١ - ٢٤]؛ ولذلك سُمّيت سورة (ص) بسورة (داود).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٦٨.

(٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي ٧ / ٧٦.

(٣) ينظر: لطائف الإشارات، للقشيري ٣ / ٢٤٩.

٢ - قصّة نبي الله سليمان ﷺ:

وجاءت قصته في سورة (ص) بعد قصّة أبيه داود ﷺ في الآيات [٣٠ - ٤٠]، وذكرت قصته في سورتين أخريين؛ إذ ورد ذكرها في سورة الأنبياء، الآيات [٧٨ - ٨٢]، وفصلت سورة النمل في قصته، فبيّنت الآيات [١٥ - ١٩] نعم الله ﷻ عليه وعلى أبيه من قبل، ثم تحدّثت عن قصته مع الهدد في الآيات [٢٠ - ٢٨]، وبعدها عن قصته مع ملكة سبأ في الآيات [٢٩ - ٤٤].

ومن خلال دراسة قصة سليمان ﷺ في تلك الآيات لاحظت أنّ سورة (ص) ذكرت جوانباً من قصته، وتكرّر ذكرها في سورتي الأنبياء والنمل بصيغ مختلفة، ففي بيان تسخير الله للريح للنبي سليمان ﷺ يقول ﷻ: ﴿ فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ... ﴾ (٣٦)، وقال ﷻ في سورة الأنبياء: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ... ﴾ (٨١)، فالآيتان تشابهتا فيما تحمّلانه من معنى، ولكن آية الأنبياء زادت على ذلك بوصف حال الريح بالعاصفة، ف((عصوفها: شدة هبوبها))^(١).

وبيّنت القصّة في سورة (ص) تسخير الشياطين لنبي الله سليمان ﷺ في قوله ﷻ: ﴿ وَالشَّيَاطِينُ كُلٌّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴾ (٣٧)، وتكرّر ذكر ذلك في سورة الأنبياء فقال ﷻ: ﴿ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ، وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ... ﴾ (٨٢)، وفي سورة النمل فقال: ﴿ وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ... ﴾ (١٧).

٣ - قصّة نبي الله أيوب ﷺ:

وذكر الله ﷻ في قوله: ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ (٤١) أَرْكَضُ بِرَجْلِكَ هَذَا مَغْسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذُ يَدِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ، وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ (قصّة أيوب، وابتلاء الله له بالمرض، والمشقة والألم، ليكون ﷻ مثلاً كريماً يحتذيه، ويتأسّى به كل من تصيبه مصيبة

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨ / ٤٨١.

في نفسه، أو ولده، أو ماله)) (١).

وتكرر ذكر قصته في سورة الأنبياء، فقال ﷺ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾.

فنلاحظ أنَّ ورود قصَّة أيوب عليه السلام في سورة (ص) أكثر تفصيلاً عنها في سورة الأنبياء، فقد ذكرت دعاء النبي أيوب عليه السلام ربه بأن يشفيه، ثم وصفت ما قام به من عمل حتى يشفى، وذلك في قوله ﷺ: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (٤٢).

بعدها ذكرت النعم التي أنعم الله بها عليه، واختتم المقطع بذكر قصته مع زوجته، بينما سورة الأنبياء ذكرت الدعاء، والاستجابة، وتعداد النعم مختصراً.

٤ - قصَّة نبي الله آدم عليه السلام:

اختُتِمت قصص سورة (ص) بذكر قصَّة نبي الله آدم عليه السلام، وتكبر إبليس، وذلك في الآيات [٧١ - ٨٥]، وتكرَّر ذكر هذه القصَّة في مواضع أخرى من القرآن الكريم بتعابير مختلفة.

ففي بداية القصَّة الواردة في سورة (ص) أمر الله ﷻ الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فقال: ﴿... فَفَعَّوْا لَهُ سَجْدِينَ﴾ (٧٢)، وورد مثل هذا الأمر في الآية [٣٤] من سورة البقرة، والآية [٦١] من سورة الإسراء، والآية [٥٠] من سورة الكهف، والآية [١١٦] من سورة (طه)؛ إذ قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ...﴾، وفي سورة الأعراف قال ﷻ: ﴿... ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ...﴾ (١١).

ثم ذكرت سورة (ص) استجابة الملائكة لأمر الله ﷻ، باستثناء إبليس، فقال ﷻ: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾، وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم قال ﷻ: ﴿... فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وقال: ﴿... فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١]، وفي سورة الإسراء

قال ﷻ: ﴿... فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (٦١)، وقال ﷻ في سورة الكهف: ﴿... فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (٥٠)، وقال ﷻ في سورة طه: ﴿... فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ (١١٦).

وفي سؤال رب العزة إبليس عن سبب تكبره، ورفضه السجود لآدم كان رده في سورة (ص): ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقَهُ مِن طِينٍ﴾ (٧٦)، ونجد مثل هذا الرد يتكرر في الآية [١٢] من سورة الأعراف، وفي سورة الإسراء كان رده في قوله ﷻ: ﴿... قَالَ ءَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (٦١).

بعدها يتجلى غضب الله ﷻ على إبليس في سورة (ص) في قوله ﷻ: ﴿قَالَ فَخَرَجَ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وتكررت هذه الآية في مواضع أخرى، وبصيغ مختلفة؛ إذ قال ﷻ في سورة الأعراف: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (١٣)، وقال في السورة نفسها: ﴿قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ (١٨)، وفي سورة الحجر يقول ﷻ: ﴿قَالَ فَخَرَجَ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ويظهر تكبر إبليس في سورة (ص) من خلال توعده بغواية بني آدم في قوله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٧٨) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، ونجد مثل هذا المشهد من القصة مكرراً في سورتي الأعراف، والحجر، ولكنه أكثر تفصيلاً، وذلك في قوله ﷻ: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِّي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَا تَجِدُنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ، وقوله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوِيَنِّي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ.

وفي نهاية القصة في سورة (ص) يتوعد الله ﷻ إبليس، وأتباعه بدخول نار جهنم في قوله ﷻ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٥)، وفي سورة الأعراف يقول ﷻ: ﴿قَالَ

أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾، وجاءت سورة الحجر مبيّنة عقاب أتباع إبليس، وزادت على ذلك بأن ذكرت نار جهنم، وفصلت في وصف أبوابها، فقال ﷺ: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾.

وهكذا وجدنا أن القصص في القرآن الكريم تتكرر كثيراً وبصيغ مختلفة؛ لأنها جاءت بهدف أخذ العظة، والعبرة منها، وتسليية الرسول محمد ﷺ؛ ليصبر على أذى المكذّبين، وأن المقصد من تكرارها هو إظهار الإعجاز البياني للقرآن الكريم؛ إذ تحدّى الله ﷻ فصحاء العرب، وبلغاءهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن فعجزوا، فقال ﷺ: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال ﷺ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

ثانياً: تناسب التسلسل القصصي:

نلاحظ عند قراءتنا سورة (ص) أنها اشتملت على خمس قصص، فابتدأت بذكر قصّة داود عليه السلام في الآيات [١٧ - ٢٦]، وفصلت في قصته أكثر من السور الأخرى، لذلك تسمى اجتهداً بسورة (داود)، ثم ذكرت قصّة نبي الله سليمان عليه السلام في الآيات [٣٠ - ٤٠]، فجاءت قصته مفصلة في عشر آيات، وبعدها انتقلت لذكر قصّة نبي الله أيوب عليه السلام في الآيات [٤١ - ٤٤]، ثم بشكل مختصر قصّة إبراهيم عليه السلام وذريته في الآيات [٤٥ - ٤٨]، واختتمت السورة في ريعها الأخير بالتفصيل في قصّة آدم عليه السلام، وتكبر إبليس، وذلك في الآيات [٧١ - ٨٥].

وجاء ترتيب القصص على هذا النحو؛ لتناسب حال النبي محمد ﷺ مع قومه، فغاية القصّة القرآنية تسليته وأصحابه، لذلك قصّ الله ﷻ على نبيه في بداية السورة قصّة داود، وابنه سليمان عليهما السلام، وبيّن له أنهما ((بشر من البشر يدركهما ضعف البشر، وعجز البشر))^(١)، وهذا ما كان عليه حال النبي محمد ﷺ في بداية الدعوة من الضعف، والعجز. وبعدها ((أغدق الله عليهما من النبوة، والملك، ومن تسخير الجبال، والطير، وتسخير

(١) في ظلال القرآن ٥ / ٣٠٠٥.

الجنّ، والريّح فوق الملك، وخزائن الأرض، والسلطان، والمتاع))^(١)، والمراد هنا تبشير النبي ﷺ بالتمكين، والنّصر في نهاية الأمر على الرغم من ضعف حاله، وقلة أتباعه في بداية الدعوة، فناسب ابتداء القصّة بهما ما كان عليه حال النبي ﷺ في بداية دعوته، فكان بحاجة إلى ما يسليه، ويبشّره بانتقال حاله من الضعف إلى القوة، فساق له ﷺ هاتين القصتين لهذا الغرض، وابتدأت بهما السّورة، والمناسبة واضحة من تقديم قصّة داود عليه السلام على قصّة ابنه سليمان عليه السلام.

وبعد تسليّة الله ﷻ نبيه محمد ﷺ بذكر قصتي داود، وسليمان عليهما السلام؛ إذ ((كانا ممن أفاض الله عليهما أصناف الآلاء والنعماء))^(٢)، انتقلت السّورة لقصة نبي الله أيوب عليه السلام الذي صبر على ما أصابه من مرض، وبلاء، وبالمقابل يظهر لنا مناسبة تقديم قصتي داود، وسليمان عليهما السلام على قصّة أيوب عليه السلام، فكأن السّورة تقول للنبي ﷺ: ((يا محمد، اصبر على سفاهة قومك، فإنه ما كان في الدنيا أكثر نعمة، ومالاً، وجاهاً أكثر من داود، وسليمان، وما كان أكثر بلاءً، ولا محنةً من أيوب))^(٣).

من ذلك نجد أنّ السّورة ابتدأت بذكر قصص تحتوي على النعم؛ لرفع معنويات الرسول ﷺ حتى يستبشر خيراً بما هو قادم، ثم تلتها بقصص تحتوي على الضرر لغرض تصفيره على أذى المشركين.

وتتوالى بعد ذلك ذكر القصص الدّالة على صبر الأنبياء، فيذكر الله ﷻ في الآيات [٤٥ - ٤٨] قصّة نبي الله إبراهيم، وذريته عليهم السلام، فيأمر ﷻ نبيه محمداً ﷺ بالصبر كما صبر هؤلاء الأنبياء على أقوامهم، فإبراهيم صبر حين أُلقي في النّار، وأنبياء الله: (إسحاق، واليسع، وذو الكفل) صبروا على أذى بني إسرائيل، ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر، وإسماعيل صبر على الذّبح^(٤).

ونجد أنّ قصّة أيوب عليه السلام قُدّمت على قصّة إبراهيم، وذريته عليهم السلام؛ لأنّ الأذى

(١) في ظلال القرآن ٥ / ٣٠٠٥.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٤٢٧.

(٣) المصدر نفسه ١٦ / ٤٢٧.

(٤) ينظر: التفسير المنير ٢٣ / ٢١٤.

الذي أصابه ((قد وصل إلى الحدّ الذي عصم منه الأنبياء))^(١)، وكان صبره على الضرر مضرِبًا للأمثال.

وبعد أن ذكر الله ﷻ في هذه السُورة القصص التي من شأنها تسليّة الرسول ﷺ، وتصبيره على أذى المشركين، اختتمها بقصة تهم المشركين؛ لتكون زاجرًا، ورادعًا لهم، وهي قصّة آدم، وتكبُّر إبليس في الآيات [٧١ - ٨٥]، فبيّنت لهم أن سبب عصيان إبليس لربه الكبر، والحسد^(٢)، فعليهم أن يبتعدوا عن هاتين الخصلتين؛ حتى لا يصيبهم ما أصابه من غضب الله ﷻ عليه، ودخوله نار جهنم.

ونلاحظ أن قصص السُورة ابتدأت بقصتين تتحدثان عن مجموعة من النعم، وهي نعم الله ﷻ على داود، وسليمان عليهما السلام، واختُتمت بقصة تحمل في طياتها الحسد، وهو حسد إبليس لآدم عليه السلام، أي: إنّ قصص السُورة أُنْتُحِت بذكر النعم، وأُخْتُتمت بذكر الحسد، ولا يكون الحسد إلا على النعم.

ثالثًا: تناسب القصّة اللغوي مع مقصود السُورة:

هناك خمس قصص في سورة (ص)، وسأدرس تناسب كل قصّة مع المقصود العام للسورة^(٣) على النحو الآتي:

١ - قصّة داود عليه السلام:

وردت قصّة نبي الله داود عليه السلام في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، منها سورة (ص) في الآيات [١٧ - ٢٦]، وذكر اسمه في ستة عشر موضعًا من كتاب الله ﷻ، وفُصِّلَت قصته في هذه السُورة أكثر من غيرها.

وجاء مضمونها؛ ليتناسب مع المقصود العام للسورة وهو: وحدانية الله ﷻ، والبعث والحساب، فقال ﷻ فيها: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾^(٤)، فهذه الآية تدل على وحدانية الله ﷻ، فتسبيح الجبال لله ﷻ تدل على إقرارها بوحدانيته، وأنه لا أحد يستحق

(١) تفسير آيات الأحكام، للسايس ٦٧٩.

(٢) ينظر: التفسير المنير ٢٣ / ٢٣٠.

(٣) المقصود العام للسورة هو: إثبات وحدانية الله ﷻ، وتأكيد نبوة سيدنا محمد ﷺ، وبيان البعث يوم

القيامة، ووقوع الجزاء، وفُصِّلَت ذلك في مبحث تناسُب اسم السُورة مع مقصودها.

التَّسْبِيح، والدعاء غيره، فالله ﷻ وحده استطاع أن يخلق ((في جسم الجبل حياةً، وعقلاً، وقدرةً، ومنطقاً، وحينئذ صار الجبل مسبحاً لله ﷻ))^(١).

ومن دلائل وحدانيته ﷻ في القصة تسبيح الطير له في قوله: ﴿وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ كُلُّ لَهَا وَابٌّ﴾^(١٩)، وذكر أن النبي محمد ﷺ حينما يسبح ربه تجيبه الجبال، وتجتمع إليه الطير، وتسبح معه^(٢).

ومن دلائل وحدانيته ﷻ كذلك في القصة ما جاء في قوله: ﴿... فَاسْتَغْفِرُ رَبِّي، وَحَرَّارَكَا...﴾^(٢٤)، فبينت الآية بأن دواد سليمان ﷺ طلب المغفرة من الله ﷻ، ولم يطلبها من غيره؛ فهو يعلم أنه لا إله غيره، ولا أحد يغفر الذنوب غير الله ﷻ، وسجوده لله في جملة: ﴿وَحَرَّارَكَا﴾ دليل آخر على وحدانيته ﷻ، وهنا نجد أن السجود قد عبرت عنه الآية بالركوع^(٣).

وفي قوله ﷻ: ﴿... إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(٢٦)، بين الحق ﷻ جزاء المشركين يوم القيامة، وأكدت الآية وقوع هذا اليوم، ومحاسبة الضالين على ضلالهم، في تناسب واضح مع مقصود السورة.

من ذلك نجد أن قصة داود ﷺ جاءت لتناسب مع مقصود السورة الذي ذكر سابقاً.

٢ - قصة سليمان ﷺ:

ذكرت قصة سليمان ﷺ في مواضع مختلفة، وبجوانب متعددة، ولكل جانب موضعه الخاص به، الذي يتفق وسياق السورة، فلما كان سياق السورة يتفق مع مقاصدها، جاءت هذه القصة في الآيات [٣٠ - ٤٠] من سورة (ص) متناسبة مع هذا المقصد، فابتدأت بوصف سليمان ﷺ بالأوَّاب في قوله ﷻ: ﴿... نَعَمْ أَلْعَبَدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٢٠)، ف((الأوَّاب: مبالغة في الأئب، أي: كثير الأوَّاب، أي: الرجوع إلى الله))^(٤)، فتوبة نبي الله سليمان ﷺ، ورجوعه إلى ربه يتناسب مع مقصد السورة من توحيد الله ﷻ.

(١) مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣٧٤.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٦٩.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥ / ٢٧.

(٤) التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٥٤.

وطلَّبُ سليمان عليه السلام من ربه أن يغفر له و((أن يمنحه ملكاً عظيماً لا يدانيه ملك أحد غيره، ولا يسلب منه ويعطى لسواه))^(١)، في قوله عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٣٥) دليل على وحدانيته عليه السلام، فالله عليه السلام وحده بيده غفران الذنوب، ووحدته الذي بيده أن يهب النعم لمن يشاء، ويمنعها عن من يشاء، وتوجُّهُ سليمان عليه السلام في القصة إلى ربه حين يريد شيئاً يتناسب مع مقصود السورة بإثبات تلك الوجدانية.

واختتمت القصة بإثبات وحدانيته عليه السلام من خلال وصف مظاهر قدرته في تسخير الريح، والشياطين لنبيه سليمان عليه السلام، فقال عليه السلام: ﴿ فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ .

٣- قصة أيوب عليه السلام:

جاءت هذه القصة في موضعين من القرآن الكريم، وذكر اسم أيوب عليه السلام في أربعة مواضع، ففي سورة الأنبياء قال عليه السلام: ﴿ وَيُؤْتِيكَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ، وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ، وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ . وفي سورة (ص) يقول عليه السلام: ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ (٤١) أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ، وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ، وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ .

فالملاحظ أنَّ القصة متشابهة في الموضعين، ولكن أتت بألفاظ مختلفة، واشتملت قصة أيوب عليه السلام في سورة (ص) على العديد من المعاني التي تتفق مع مقاصد السورة، ففي مطلعها ((دعا أيوب ربه، وتضرع إليه بلسان الاضطرار))^(٢)؛ لأنه يعلم أنه عليه السلام وحده القادر على كشف الضر، ودفع البلاء، بل حتى المشرك حينما تصيبه مصيبة يتوجه بالدعاء إلى الله عليه السلام وليس للآلهة التي يعبدها من دونه؛ إذ لا يجرؤ ساعتها لخداع نفسه^(٣)، فدعاء أيوب عليه السلام

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٥٠١.

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٤ / ٣٩٤.

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي، الخواطر ١٣ / ٧٨٥٦.

لربه يتفق مع مقاصد السورة من توحيد الله ﷻ.

وتتجلى قدرة الله ﷻ في معجزته بشفاء أيوب عليه السلام من البلاء الذي أصابه، وفي المعجزات التي ظهرت قبل الشفاء؛ إذ أوحى إليه ربه أن يركض في قوله ﷻ: ﴿ اِرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ (٤٢)، فركض ركضة خفيفة فنبتت عين حتى غمرته، ثم أوحى إليه أن يركض ركضة أخرى، ولما ركض نبتت عين أخرى، فشرب منها، وطهر جوفه، وكل قدر كان فيه (١)، فهذه المعجزات، والنعم التي أنعم به الله ﷻ على أيوب عليه السلام دالة على وحدانيته ﷻ.

ويختتم الله ﷻ هذه القصة بتعداد النعم الأخرى التي أنعم بها على أيوب عليه السلام، فمن نعمه أنه جمع أهله له بعد تفرقهم، وأكثر من نسلهم، وأصبح عددهم ضعفي ما كانوا عليه قبل مرضه (٢)، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ... ﴾ (٤٣)، ورفع عنه الحرج حينما أقسم على أنه سيضرب زوجته بعد شفائه، فألهمه الله ﷻ الطريقة ليبرئ بقسمه، فقال ﷻ: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا ضَرْبًا وَلَا تَمْنَحْ... ﴾ (٤٤)، والضعت هو: ((أقل من الحزمة، وأكثر من القبضة، من النبات، والعشب من جنس واحد)) (٣)، وهذه النعم تستوجب شكر الله ﷻ وتوحيده، وهو ما يتفق مع مقاصد سورة (ص).

٤ - قصة إبراهيم، وذريته عليهم السلام:

أشارت الآيات [٤٥ - ٤٨] من سورة (ص) إلى قصة إبراهيم، وذريته عليهم السلام، ولم تفصل في قصصهم، فجمعت الآية [٤٥] ذكر أنبياء الله: (إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب)، ووصفتهم الآية التالية لها بقوله ﷻ: ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ (٤٦)، أي: ((جعلناهم يُكثرون ذكر الدار الآخرة، والرجوع إلى الله ﷻ)) (٤)، ويعني ذلك أن القصة تناسبت مع أحد مقاصد السورة وهو: بيان وقوع البعث يوم القيامة، ووقوع الجزاء، وذكرت الآية الأخيرة في

(١) ينظر: تفسير عبد الرزاق ٣ / ١٢٣.

(٢) ينظر: التفسير المنير ٢٣ / ٢٠٨.

(٣) البحر المحيط في التفسير ٦ / ٢٦٥.

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٩٢٥.

القصة أنبياء الله: (إسماعيل، واليسع، وذا الكفل) ولم يُفصل في أخبارهم؛ لأنه قد بُينت فيما مضى من القرآن الكريم، وهذا ما أغنى عن إعادتها في هذا الموضع^(١).

٥ - قصة آدم ﷺ، وتكبر إبليس:

وردت هذه القصة في مواضع عديدة من سور القرآن الكريم، وفصلت الآيات [٧١ - ٨٥] من سورة (ص) هذه القصة، وجاءت مضامينها لتتناسب مع مقصود السورة في إثبات وحدانية الله ﷻ، وهذا ما بيّنته بعض آيات القصة؛ إذ قال ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ۖ﴾ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴿، فخلق الله ﷻ آدم ﷺ من غير أبٍ أو أم، وبث الروح فيه، وهو دليل على وحدانيته ﷻ، فلا يستطيع أحد خلق شيء من العدم غير الله ﷻ، روى أبو موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ قوله: ((إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض: جاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسهل، والحزن، والخبث، والطيب))^(٢)، ويقول ابن عادل في بيان مناسبة اختتام قصص سورة (ص) بقصة آدم ﷻ: ((وختمه بحكاية بدء آدم؛ لأنه دليل (الوحدانية))^(٣).

وفي قوله ﷻ: ﴿... خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْنَاهُ مِنْ طِينٍ ۖ﴾ (٧٦)، إقرار من إبليس باختصاص الله ﷻ وحده بالخلق، فالله ﷻ وحده الذي خلقه، وخلق آدم ﷻ.

وأشارت القصة في بعض آياتها إلى قيام الساعة، وهذا ما يتناسب مع مقاصد السورة ببعث الناس يوم القيامة، فقال ﷻ: ﴿... إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ۖ﴾ (٧٨)، وقال: ﴿... إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۖ﴾ (٧٩)، وقال ﷻ: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۖ﴾ (٨١).

ومن مقاصد السورة الأخرى بيان جزاء المكذبين، وهذا ما أورده القصة في قوله ﷻ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ﴾ (٨٥)، يقول الزمخشري مبيهاً معناها: ((لأملأن جهنم من المتبوعين، والتابعين أجمعين، لا أترك منهم أحداً، أو لأملأنها من الشياطين، وممن تبعهم

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٢٢٠.

(٢) سنن أبي داود ٧ / ٧٨، رقم الحديث ٤٦٩٣.

(٣) اللباب في علوم الكتاب ١٨ / ٤.

من جميع الناس))^(١).

وخلاصة القول نجد أنَّ القصص الخمس الواردة في سورة (ص) تتناسب مع مقاصد السُّورة، ما يدلُّ على قوة تماسك النَّصِّ القرآني الكريم، كما أنَّ ترتيبها ((بما يحويه من أجواء، وظلال، وإيحاءات ... يشكل نصًّا واضحًا لإعجاز النص القرآني))^(٢).

(١) الكشف عن حقائق التنزيل ٤ / ١٠٨

(٢) الإعجاز البلاغي في القصَّة القرآنية ١٨٦.

الفصل الثالث

مناسبات اللغة

المبحث الأول تناسب التشكيل الصوتي

يُعَدُّ التشكيل الصوتي نوعاً من أنواع النظم، فهو يتناول الحرف، وصفاته، ومخارجه، ويدرس الآية، وما بها من أصوات، ومقاطع، وحركات، وسكنات، وفواصل، فتظهر نغمة مميزة عند تلاوتها^(١)، فضلاً عن أنَّ ((مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأنَّ هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرج فيه مدّاً، أو غنةً، أو ليناً، أو شدةً، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه، وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها))^(٢).

وجدير بالذكر أنَّ أثر مخارج الحروف، وصفاتها أخذ من الألفاظ الواردة في القرآن الكريم، وليس من كلام العرب وفصاحتهم، فنقودنا طريقة نظم تلك الألفاظ، وتآلف حروفها إلى أنواع من المنطق، وصفات من اللهجات لم تكن موجودة عند العرب، فكان ظهورها لأول مرة على لسان الرسول محمد ﷺ^(٣)، وعلاقة ((الصوت، والدلالة في اللغة العربية أظهر ممّا في اللغات الأخرى؛ لأنَّ اللغة نظام من الرموز الصوتية التي تقوم على مجموعة من العلاقات، والقواعد، والعناصر المتوافقة فيما بينها))^(٤).

وتظهر أهمية الصوت في القرآن الكريم عند مراعاة المواقف المصوّرة، ففي سورة البقرة مثلاً يظهر الاختلاف في التشكيل الصوتي عند الحديث عن المؤمنين، والحديث عن الكافرين، فعند الحديث عن المؤمنين تجد في فواصل الآيات المدّات مع الحروف السهلة وبها وقع خفيف على الأذن، فتعطي الكلام وقعاً لطيفاً خفيفاً مناسباً للتأثير العاطفي، وتجد عند

(١) ينظر: التّناسب البياني في القرآن ٢٩٧.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ١٤٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ١٤٧.

(٤) البيان في سياق بلاغة النسق القرآني ٣٥، وينظر: أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب

٤٠، ودلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ٧٣، والسياق والمعنى ١٤ - ١٥.

الحديث عن الكافرين الحروف قويّة في وقعها، شديدة في تأثيرها، كالميم الساكنة عند الحديث عنهم، واستعمال بعض الألفاظ القوية مثل: (صمّ، بكمّ، رعد، برق)، والحركات المتلاحقة ذات الجرس القوي مثل: (صواعق، ظلمات) التي تفرع الأذان بأصداً المشهد المخيف فتشترك بما أحسّ به الفكر، ووقع في القلب^(١).

ويتميز الصّوت القرآني بأن به حسّاً ينفرد عن أصوات اللغة العربية، على الرغم من التشابه التركيبي بينه، وبين صوت اللغة، فهذا الصّوت عند استعماله في القرآن الكريم يُضفي عليه حسّاً مغايراً^(٢)، يقول الرافعي واصفاً استعمال الكلمة في القرآن: ((فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنًا عجيبًا، ورأيت أصوات الأحرف، والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقًا في اللسان، واكتفتها بضروب من النغم الموسيقي، حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه، وجاءت متمكّنة في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة، والرّوعة))^(٣).

ومن أمثلة ذلك نجد صوت الطاء في كلمة ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ في سورة فاطر في قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾^(٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا بَتَدَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرٍ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿يَمْتَلِكُ حَسًّا عَالِيًّا، فِي جرسه الصّوتي ((غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتنزة بالأصوات الخشنة؛ كما تلقي إليك ظل الإهمال لهذا الاصطراخ الذي لا يجد من يهتم به، أو يلبيه، وتلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون))^(٤).

بينما يملك حرف (الخاء) السهولة، واليسر في كلمة: ﴿رُخَاءَ﴾، وذلك في قوله ﷻ: امتنانًا على نبيه سليمان ﷺ: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦]، مع

(١) ينظر: جماليات المفردة القرآنية ٢٠٣.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ١٧٤.

(٣) المصدر نفسه ١٥٦.

(٤) التصوير الفني في القرآن ٩٢.

ملاحظة المناسبة لما قبل الحرف، وبعده من حروفٍ، وحركاتٍ، فالصوت هو الذي يرسم الحركة في عملية نطق تحاكي الحدث، فالضمة على (الرأ) تعني انضمام الشفتين على حرفٍ ليس من حروف اللين، واستدارة الشفتين تتطلب جهداً، وفي هذا قوة الريح، وبعدها الانتقال من الضم إلى الفتح على حرفٍ حلقى ليدعو إلى تصوّر بدء سهولة، وتكثر السهولة في مدّ الألف، فليس هناك انقباض، ولا انكماش، ولكن تدرّج من الصّعب إلى السّهل، ممّا يمثّل طواعية الريح للنّبي بأمر الله ﷺ^(١)، فهذا الانسجام للحروف، والحركات أعطى هذه الصورة.

ولو أنعمت النظر في ألفاظ القرآن الكريم ((الرأيت حركاتها الصّرفية، واللغوية تجري في الوضع، والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيُهيأ بعضها لبعض، ويساند بعضها، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف، مساوقة لها في النظم الموسيقي))^(٢).

وقد سلك العلماء في دراسة (التشكيل الصوتي) عدة طرائق، وستكون دراستي موجهةً للظواهر الصوتية، كالفاصلة، والدلالة الصوتية المفردة، والمركبة، وذلك على النحو الآتي:
أولاً: الفاصلة:

هي الكلمة الأخيرة من الآية القرآنية، وتأتي متصلة بمضمون الآية اتّصالاً وثيقاً^(٣)، وقيل: ((هي الكلمة الأخيرة من الفقرة، أو القرينة، والفقرة، أو القرينة بمعنى واحد، وهي الجملة التي تنتهي بالفاصلة))^(٤)، ففي سورة القمر يقول ﷺ: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ ۚ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾، نجد الفاصلة في الآية الأولى كلمة ﴿الْقَمَرُ﴾، وفي الثانية كلمة ﴿مُسْتَمِرٌّ﴾.

أما القرينة، أو الفقرة فهي: ((الآية كلها، كل آية فقرة، أو قرينة، وهذا من خلال الانسجام الصوتي، وسياق قرينتها، وجمال نسقها، وترتيبها، حتى إنّ القارئ يجدها لحمية

(١) ينظر: جماليات المفردة القرآنية ٣٢ - ٣٣.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ١٥٦.

(٣) ينظر: علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم، وكشف إعجازه ٧٨.

(٤) البيان في سياق بلاغة النسق القرآني ٢٤١ - ٢٤٢.

واحدة))^(١).

ولدراسة الفاصلة القرآنية عدة جوانب، وسأكتفي بدراسة الجانب الذي يتصل بالبحث وهو التَّنَاسُب اللغوي بين الفاصلة، ومضمون الآية؛ إذ تنقسم الفاصلة من حيث علاقتها بمضمون الآية على عدة أقسام، هي:

١ - التَّمَكِين:

ويقصد به: ((ختم الآية بما يناسب أولها في المعنى، وذلك بأن يمهد ما قبل الفاصلة للإتيان بها ممكنة في مكانها مستقرة غير نافرة، ولا قلقلة، متعلقاً معناها بالسياق، بحيث لو طرحت الفاصلة لاختل النظم، ونقص المعنى المراد))^(٢)، قال السيوطي واصفاً طريقة مجيئه: ((يمهد النائر للقرينة، أو الشاعر للقافية تمهيداً تأتي به القافية، أو القرينة، متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة، ولا قلقلة، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلّقاً تاماً، بحيث لو طرحت لاختل المعنى، واضطرب الفهم، وبحيث لو سكت عنها كمّله السامع بطبعه))^(٣).

ومن أمثلة ذلك قوله ﷻ في سورة الأحزاب: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمَنَائُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَاتَ اللَّهُ قُوًيًا عَزِيزًا﴾^(٤)، فلو اقتصر الكلام على قوله ﷻ: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾، لأوهم ذلك ضعف النفوس، واعتقدوا أن سبب نكوص الكافرين عن القتال هو الريح الشديدة التي حدثت، ولكن جاءت فاصلة الآية لتخبر عن قوة الله، وعزّته حتى يُعلم المؤمنين ويزيدهم إيماناً و يقيناً، وأنه الغالب، والريح التي هبت هي نوع من أنواع النصر للمؤمنين، فتارة ينصرهم بالقتال، كيوم بدر، وتارة بالريح، كيوم الأحزاب، وتارة بالرعب، والخوف، كانتصارهم على بني النضير، وقد ينصر عليهم عدوهم، كيوم أحد؛ ليعلمهم أنّ النصر من عنده ﷻ، وليس بكثرة عددهم، وعدتهم^(٤)، ومن أمثلة ذلك في سورة (ص):

(١) البيان في سياق بلاغة النسق القرآني ٢٤٢.

(٢) معجم علوم القرآن ٢١٠.

(٣) الإتيان في علوم القرآن ٣ / ٣٤٦.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١ / ٧٩.

أ- قوله ﷺ: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٦٦)، فالله ﷻ يأمر نبيه داود عليه السلام في بداية الآية أن يحكم بين الناس بالحق، ولا يتبع الهوى؛ لأنَّ ((متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله ﷻ، فتقريبه أن الهوى يدعو إلى الاستغراق في اللذات الجسمانية، والاستغراق فيها يمنع من الاشتغال بطلب السعادات الروحانية التي هي الباقيات الصالحات؛ لأنهما حالتان متضادتان فبقدر ما يزداد أحدهما ينقص الآخر)) (١).

فضلاً عن أن سبب الضلال نسيان الحساب يوم القيامة، لأنَّ المرء لو كان متذكراً يوم الحساب لأعد له الزاد، واستعدَّ له، ولم يستغرق في الملذات الفاسدة (٢)، لذلك جاء ختام الآية بفاصلة ﴿الْحِسَابِ﴾ لتمكين المعنى في صدر الآية.

ب- يقول الله ﷻ: ﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ (٤٨)؛ إذ صُدِّرت الآية بتذكير سيدنا محمد ﷺ بـ ((هؤلاء الرسل الذين صبروا، وصابروا، وأبلوا بلاء حسناً في أداء رسالة ربهم، وتحملوا سفه قومهم، وجهلهم حتى يهتدوا ويكونوا مثلاً صالحة يتأسى بهم سواهم)) (٣)، ويحمل هذا التذكير بهم في طياته المدح، والثناء عليهم، وما زاد هذا الإطراء تمكيناً هو ختام الآية في فاصلتها بلفظ ﴿الْأَخْيَارِ﴾ وهو: ((جمع خَيْرٍ أو خَيْرٍ بالتنقييل والتخفيف)) (٤).

ت- قال ﷻ: ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ (٦١)، فنلاحظ أن الآية بدأت بدعاء المشركين ربهم أن يضاعف العذاب لمن قام بإغوائهم، وذلك في جملة ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾، أي: ((ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار مضاعفاً، أي: ذا ضعف، وذلك أن يزيد على عذابه مثله، فيصير ضعفين، كقوله: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ﴾

(١) مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣٨٦ - ٣٨٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢٦ / ٣٨٦ - ٣٨٧.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٥١٠.

(٤) اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٤٣٥.

مِنَ الْعَذَابِ... ﴿[الأحزاب: ٦٨]﴾^(١)، ولو اكتفت الآية بالجملة السابقة لتَمَّ المعنى؛ إذ معلوم أنَّ عذاب يوم القيامة يكون في النَّار، ولكنها أتت بذكر النَّار في الفاصلة لتمكين المعنى.

ث- قال ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٢)؛ إذ بيَّنت الآية الكريمة في صدرها مهمة الرسول ﷺ، وهي إنذار الناس، وتحذيرهم من عاقبة الشرك بالله ﷻ، وقررت وحدانيته ﷻ في جملة ﴿وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾، وناسب ذلك أن يختم ﷻ الآية في فاصلتها بلفظ ﴿الْوَحْدُ﴾ لتقرير توحيد الألوهية، ولفظ ﴿الْقَهَّارُ﴾؛ لأنَّ صفة الوحدة ملازمة للقهر، أي: لا يمكن أن يكون الاثنان قاهرين متساويين في القهر، فالواحد هو الذي يقهر جميع الأشياء ولا ينازعه في ذلك أحد، وبالمقابل جاءت الفاصلة بلفظ ﴿الْقَهَّارُ﴾ لتمكين صفة الواحد^(٣).

٢- التصدير:

وهو ((أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت في أول الآية، وتسمى أيضاً رد العجز على الصدر))^(٤)، قال نور الدين عتر: ((أن تتقدم لفظة الفاصلة بمادتها في أول صدر الآية، أو في أثائه، أو في آخره، كقوله ﷻ: ﴿... وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، وقوله: ﴿... أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦])^(٥).

ومن أمثلة التصدير في سورة (ص) قوله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾^(٦)؛ إذ طلب نبي الله سليمان عليه السلام من ربه في بداية الآية أن يهب له ملكاً عظيماً لم يُعطَ لأحدٍ قبله^(٧)، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾، فنلاحظ أنَّ لفظ الهبة مُتَقَدِّم في الآية، ثم جاءت ((جملة: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾) لتعليل لما قبلها مما

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥ / ٣٣.

(٢) ينظر: المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها ١٥٠ - ١٥١.

(٣) الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٣٥٤، وينظر: أثر المناسبة في كشف إعجاز القرآن ٩١.

(٤) علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم، وكشف إعجازه ٧٨ - ٧٩.

(٥) ينظر: فتح القدير ٤ / ٤٩٧.

طلبه من مغفرة الله له، وهبة الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده^(١)، لذا جاءت الفاصلة بلفظ الهبة.

٣ - التَّوْشِيح:

ويعني: ((أن يكون في أول الكلام ما يستلزم القافية))^(٢)، أو أن يرد في الآية معنى يدلنا على الفاصلة بحيث نستطيع توقعها، ومعرفتها قبل قراءتها^(٣)، كقوله ﷻ في سورة (يس): ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾^(٣٧)، فتالي السورة إذا كان فطناً سيلحظ أن فاصلة الآيات يأتي فيها النون، وسيهديه صدر الآية الوارد فيه انسلاخ النهار من الليل إلى أن الفاصلة ستكون ﴿مُظْلِمُونَ﴾.

وهناك فرق بين التَّوْشِيح، والتَّصْدِير، فالتَّوْشِيح دلالة معنوية، بينما التَّصْدِير دلالة لفظية^(٤)، وسُمِّي بهذا الاسم ((لأن الكلام لما دلَّ أوله على آخره نزل المعنى منزلة الوشاح، ونزل أول الكلام، وآخره منزلة العاتق، والكشْح اللذين يجول عليهما الوشاح))^(٥)، ومن أمثلة التَّوْشِيح في سورة (ص):

أ- قوله ﷻ: ﴿أَجْعَلِ لِلَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾^(٥)؛ إذ ابتدأت الآية باستغراب المشركين من دعوة سيدنا محمد ﷺ بترك عبادة الأوثان، وتوحيد الله ﷻ في جملة: ﴿أَجْعَلِ لِلَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا﴾، فكأنما يقولون له: ((أتجعل مئة شاهدٍ شاهداً واحداً))^(٦)، فناسب هذا التعجب والاستغراب من قبل المُكذِّبين مجيء كلمة: ﴿عُجَابٌ﴾ في فاصلة الآية؛ إذ تعني: الشيء الغريب والعجيب^(٧).

(١) فتح القدير ٤ / ٤٩٧.

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن ١ / ٣٩.

(٣) ينظر: علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم، وكشف إعجازه ٧٩.

(٤) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ١ / ٣٩.

(٥) المصدر نفسه ١ / ٣٩.

(٦) معاني القرآن، للأخفش ٢ / ٤٩٣.

(٧) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٤٩.

ب- وفي الآية [٧] يقول الله ﷻ: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقٌ ﴾؛ إذ ابتدأت الآية بتكذيب المشركين الرسول ﷺ، وما يدعو له من توحيد الله ﷻ، وذلك في جملة ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾، أي: ((إِنَّ هَذَا التَّوْحِيدَ الَّذِي أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مَا سَمِعْنَاهُ فِي دِينِ النَّصَارَى، أَوْ يَكُونُ الْمُرَادُ بِالْمِلَّةِ الْآخِرَةِ مِلَّةَ قُرَيْشٍ الَّتِي أَدْرَكُوا آبَاءَهُمْ عَلَيْهَا))^(١)، وجاء ختام الآية بلفظ ﴿ خُلُقٌ ﴾ مناسباً لما كان في بداية الآية من تكذيب المشركين لدعوة التوحيد؛ إذ الاختلاق يعني: الكذب، والافتعال^(٢).

ت- قال ﷻ في الآية [٩]: ﴿ أَمْعَدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾؛ إذ بيّن ﷻ في صدر الآية أَنَّ المشركين ليسوا بملكي رحمة الله ﷻ حتى يهبوها لمن يشاؤون، ويمنعونها عن من يشاؤون، وليس بيدهم هبة النبوة لأشرافهم، وصناديدهم، ومنعها من الرسول محمد ﷺ، وإنما من يملك تلك الرحمة، وخزائنها الله ﷻ، وهو الذي يهب النبوة، ويمنحها لمن يختاره، وليس لأحد من خلقه شأنٌ فيها، لذلك كان ختام الآية بفاصلة ﴿ الْوَهَّابِ ﴾ مناسباً لما سبقها^(٣).

ث- قال ﷻ: ﴿ وَثُمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحَبُ كَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾^(١٣)؛ إذ جاء لفظ ﴿ الْأَحْزَابُ ﴾ في الفاصلة مناسباً لما صُدِّرت به الآية من التفصيل في هؤلاء الأحزاب، وهم أقوام: (صالح، ولوط، وشعيب) عليهم السلام^(٤).

ج- قال ﷻ: ﴿ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴾^(١٤)؛ إذ أُخْتُتِمت الآية بلفظ ﴿ عِقَابٍ ﴾، وناسب ذلك ما بدأت به الآية من ذكر تكذيب الأمم السابقة لرسولهم^(٥)، فكان جزاؤهم العقاب الذي ورد في فاصلة الآية.

ح- وقال ﷻ: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾^(١٥)، نلاحظ أَنَّ في صدر الآية أداة استثناء، وهي: ﴿ إِلَّا ﴾، والمستثنى هو: ﴿ عِبَادَكَ ﴾، ولو اكتفت الآية بذلك لاختلَّ المعنى، ولشمل

(١) مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣٦٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢٦ / ٣٦٩.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٤٧٩ - ٤٨٠.

(٤) ينظر: صفوة التفاسير ٣ / ٤٨.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٣ / ٦٣٨.

استثناء الغواية جميع العباد الكافرين، والمتقين، ولكن أنت الفاصلة ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ لتبين لنا أن من أخلصه الله ﷻ لعبادته، وعصمه من إضلال إبليس، ولم يجعل له سبيلاً عليه، فلن يقدر على إغوائه^(١).

خ- وقال ﷻ: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسِخِّنْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾^(١٨)، فذكرت الآية في بدايتها أن الجبال تصلي مع داود عليه السلام وقت غروب الشمس، ووقت طلوعها^(٢)، لذا فإن ختام الآية في فاصلتها بلفظ ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾ تناسب مع اللفظ الذي سبقه وهو ﴿بِالْعَشِيِّ﴾؛ فهما لفظان متقابلان.

د- وفي الآية [٢٨] يقول ﷻ: ﴿أَمْ جَعَلُوا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلُوا الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾، نلاحظ وجود مقابلة بين المؤمنين، والمفسدين في صدر الآية ﴿أَمْ جَعَلُوا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، وتوجد في ختام الآية مقابلة أخرى بين المتقين، والفجار ﴿أَمْ جَعَلُوا الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾، لذلك كان ختام الآية بلفظ ﴿كَالْفُجَّارِ﴾ مناسباً للفظ السابق له ﴿الْمُتَّقِينَ﴾؛ لوجود المقابلة بينهما.

٤ - الإيغال:

عرفه السيوطي بأنه: ((الإمعان، وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها))^(٣)، وسُمي بهذا الاسم؛ ((لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه، وبلغ إلى زيادة على الحد، يقال أوغل في الأرض الفلانية إذا بلغ منتهاها، فهكذا المتكلم إذا تم معناه، ثم تعداه بزيادة فيه فقد أوغل))^(٤)، ومن أمثلة ذلك قوله ﷻ: ﴿... وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ...﴾ [النمل: ٨٠]؛ إذ إن معنى الآية هنا تام، ثم تأتي الفاصلة ﴿مُدِيرِينَ﴾ فزادت المعنى على الحد الذي بلغته الآية، فأوغلت في التعبير عن تولي المشركين، وإعراضهم، ونجد مثل ذلك في

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ٢٤١.

(٢) ينظر: فتح القدير ٤ / ٤٨٧.

(٣) الإتيان في علوم القرآن ٣ / ٢٤٩.

(٤) البرهان في علوم القرآن ١ / ٩٦.

سورة (ص) في:

أ- قوله ﷺ: ﴿... وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۖ﴾، فذكرت الآية أن داود عليه السلام حينما شعر بعصيان ربه ندم على ذلك ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾؛ إذ سجد ((أربعين يومًا لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة يقيمها، أو لحاجة لا بد له منها، أو لطعام يتبلغ به))^(١)، ولو اكتفت الآية بهذا القول لكان المعنى تامًا، ولكنها أوغلت في التعبير عن تلك التوبة بلفظ ﴿وَأَنَابَ﴾ في فاصلة الآية، أي: ((رجع وتاب))^(٢).

ب- وفي قوله ﷺ: ﴿قَالَ فِيعْرَنُكَ لَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ﴾ جاءت جملة ﴿قَالَ فِيعْرَنُكَ لَا تُغْوِيَنَّهُمْ﴾ تامّة المعنى؛ إذ أقسم إبليس ((بعزة الله أنه يضل بني آدم بتزيين الشهوات لهم، وإدخال الشبه عليهم حتى يصيروا غاوين))^(٣)، ولو اكتفت الآية بذلك لأدّت الغرض، ولكنها أوغلت في المعنى وأكدته من خلال مجيء لفظ ﴿أَجْمَعِينَ﴾ في فاصلتها.

ت- وقوله ﷺ: ﴿وَحُذِّبِيكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۖ﴾، نلاحظ في صدر الآية توجيه الله ﷻ نبيه أيوب عليه السلام في الطريقة التي من خلالها سيبرّ قسمه الذي أقسمه بضرب زوجته عند شفائه، ثم امتدحته الآية في جملة ﴿نَعْمَ الْعَبْدُ﴾، ولو اكتفت الآية بـ ﴿وَحُذِّبِيكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ﴾ لكان المعنى تامًا وواضحًا، ولكنها أوغلت بتعليل هذا المدح بذكر صفته في الفاصلة، وهو أنه أَوَّابٌ، أي: ((رجاع بكليته إلى الله ﷻ على خلاف ما يدعو إليه طبع البشر))^(٤).

(١) تفسير القرآن العزيز، للإبيري ٤ / ٨٧.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي ٧ / ٨٤.

(٣) فتح القدير ٤ / ٥١٢.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والصور ٦ / ٣٩١.

ثانيًا: الدلالة الصَّوتية

لم تتأَّ الدلالة الصَّوتية عن اللغة، ولا سيَّما علم المناسبة، فهي متَّصلة اتصالًا وثيقًا به، فالألفاظ متكوَّنة من عدة حروف، ولكل حرف من هذه الحروف صوت خاص به يميزه من بقية الحروف^(١)، وبالمقابل يشكل لفظةً مستقلةً صوتيًا عن غيرها من الألفاظ، وإن اتفقت في المعنى^(٢)، أو تشاكلت أصواتها، فعبرت عن معنىٍ متقاربٍ، إلَّا أنَّ لكلِّ صوتٍ معناه، وهذا ما أشار إليه ابن جني حين قال: ((من ذلك قولهم: (خَضِمَ، وَقَضِمَ)، ف(الْخَضْمُ) لأكل الرُّطْب، كالْبَطِيخِ والقَتَاءِ، وما كان نحوهما من المأكول الرُّطْب، و(القَضْم) للصَّلب اليابس قَضَمَتِ الدَّابَّةُ شعيرها))، ونحو ذلك ... فاختاروا (الخاء)؛ لرخاوتها للرُّطْب، و(القاف)؛ لصلابتها لليابس))^(٣).

فليست المناسبة بين الصلابة لليابس، والرخاوة للرُّطْب مصادفة، وإنما بسبب الاعتناء بمناسبة حروف العربية لمعانيها، ما شكَّل عنايةً جليَّةً لدى أهل اللغة من خلال اهتمامهم بالقيمة التعبيرية الصَّوتية، ((إذ لم يُعْنَم من كلِّ حرفٍ أنَّه صوتٌ، وإنَّما عُنِم من صوت هذا الحرف أنَّه معبَّرٌ عن غرضٍ، وأنَّ الكلمة العربية مركَّبةٌ من هذه المادَّة الصَّوتية التي يمكن حلُّ أجزائها إلى مجموعةٍ من الأحرف الدوالِّ المعبرة، فكلُّ حرفٍ منها يستقلُّ ببيان معنى خاصٍّ، ما دام يستقلُّ بإحداث صوتٍ معين))^(٤).

تظهر القيمة التعبيرية الصَّوتية في الصَّوت الواحد، وفي الصَّوت المركَّب (الثنائي أو

(١) فرَّق ابن جنِّي بين الصَّوت، والحرف في قوله: ((اعلم أنَّ الصَّوت عرضٌ يخرج مع النَّفس

مستطيلًا متَّصلًا، حتَّى يُعرض له في الحلق، والفم، والشَّفتين مقاطع تنثيه عن امتداده،

واستطالته، فيُسمَّى المقطع أيَّما غرض له حرفًا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف

مقاطعها))، سر صناعة الإعراب ١ / ٦.

(٢) ينظر: الصَّوت اللغوي في القرآن ١٦٤.

(٣) الخصائص ٢ / ١٥٧ - ١٥٨.

(٤) دراسات في فقه اللغة ١٤٢.

الثَّنَائِي المَزِيد، أو الثَّلَاثِي المَزِيد، أو الرَّبَاعِي، أو الخَمَاسِي^(١)، وبالمقابل يَتَّضَح أن الدلالة الصَّوْتِيَّة هي ((التي تُسْتَمَدُّ من بعض الأصوات))^(٢)، وعليه يمكن دراسة الدلالة الصَّوْتِيَّة في سورة (ص) من جانبين، هما:

١ - دلالة الصَّوْت المفرد:

ويُقصد به وجود ((مناسبة بين الصَّوْت والمعنى، أي: إنَّ كلَّ صوتٍ من الأصوات الهجائية يناسب حالة من الحالات لا يكاد يخالفها في شيء))^(٣).

فمن دلالة الصَّوْت المفرد:

أ - دلالة صوت (الشَّين):

مخرج الشين من ((وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى))^(٤)، وهو ((صوت رخوٌ مهموسٌ، عند النُّطق به يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، فلا يحركُ الوترين الصوتيين))^(٥)، ويدلُّ (الشَّين) على ((التفشي بغير نظام))^(٦)، وينتج التفشي الذي دلَّ عليه (الشَّين) عن طريقة أدائه المتمثلة بـ((بعثرة النَّفس [في] أثناء خروج صوت الحرف يماثل الأحداث التي تتمُّ فيها البعثرة، والانتشار، والتخليط ... أمَّا صوته فهو يوحي بإحساس لمسيٍّ بين الجفاف، والتقبُّض))^(٧).

جاءت دلالة (الشين) على التفشي مناسبة في استعمالاته في سورة (ص)، ولا سيَّما مفردة ﴿وَشِقَاقٍ﴾، في قوله ﷻ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾^(٨)، فالشِّقَاق هنا بمعنى

(١) ينظر: دراسات في فقه اللغة ١٤٢.

(٢) دلالة الألفاظ ٤٦.

(٣) الدلالة الصَّوْتِيَّة في اللغة العربية ١٤٤.

(٤) الكتاب ٤ / ٤٣٣.

(٥) الأصوات اللغوية ٧٧، ويسمَّى رخوًا؛ لأنَّه لا يمنع الصَّوْت أن يجري فيه لرخاوته، ويسمَّى مهموسًا؛ لأنه حرف أضعفت الاعتماد في موضعه فجرى النَّفس معه، ينظر: الكتاب ٤ / ٤٣٤، ومعجم الصوتيات ٩٧ - ٢١٤.

(٦) الصَّوْت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم ١٧.

(٧) خصائص الحروف العربية ومعانيها ١١٥.

الاختلاف^(١)، ويكون أيضاً بمعنى: ((الْخِلَافُ وَالْعَدَاوَةُ ومنه قوله ﷺ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا...﴾ [النساء: ٣٥]، وقوله ﷺ: ﴿... فَأَيُّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ...﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقوله ﷺ: ﴿... وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ [الأنفال: ١٣]، أي: صار في شق غير شق أوليائه^(٢)، قال الأزهري: ((الشَّقَاقُ): العداوة بين فريقين، والخلاف بين اثنين يسمى ذلك شِقَاقًا؛ لأن كل فريق من فرقتي العداوة قصد شِقًا، أي: ناحية غير شِقِّ صاحبه^(٣))).
من ذلك نلاحظ أنَّ دلالة حرف (الشَّين) على معاني (البعثرة، والانتشار) جاء مناسبًا لاستعماله في لفظ ﴿وَشِقَاقٍ﴾، التي تدلُّ، كما أسلفت، على الخلاف ما ينجم عنه العداوة، والفرقة، والشتات.

وناسبت دلالة (الشَّين) من حيث النَّفْسِيُّ لفظ ﴿شَدِيدٌ﴾ الوارد في سورة (ص) في قوله ﷺ: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٦٦﴾﴾، و(الشَّدِيد) مأخوذ من ((الشَّد): العَقْدُ القوي ... و(الشَّدَّة) تستعمل في العَقْد، وفي البدن، وفي قوى النفس، وفي العذاب^(٤))).
ففي هذه الآية يخاطب الله ﷻ نبيه داود عليه السلام، ويأمره أن يحكم بين الناس بالعدل، ويتوعد ﷻ كل من يميل عن الحق الذي شرعه لعباده بالعذاب الشديد يوم القيامة^(٥)، وعلى الرغم من مخاطبة الله ﷻ في الآية نبيه داود عليه السلام، إلا أنه أريد منها نفسي خبر عقوبة الظالمين للناس جميعًا؛ حتى يمتثلوا لأوامر الله ﷻ، ويحكموا بين الناس بميزان الحق والعدل، وناسب ذلك ما يحمله حرف الشين من دلالة النفسِي، والشيوع، والانتشار.
ب- دلالة صوت (الصَّاد):

(١) ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني ٤ / ٤٢٣.

(٢) تاج العروس ٢٥ / ٥٢٣ (شق).

(٣) تهذيب اللغة ٨ / ٢٠٥ (باب القاف والشين).

(٤) المفردات في غريب القرآن ٤٤٧.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٨٩.

مخرج الصاد ((مما بين طرف اللسان، وفوق الثنايا))^(١)، أي: إنه من الأصوات اللثوية^(٢)، ويُعدُّ من الأصوات (المهموسة)^(٣)، ففيها ((يضعف الصَّوت بها حين جرى النفس معها، فلم يَقَوِ الصَّوت قوته في الجهورة فصار في الصَّوت بها نوع خفاء؛ إذ كان الهمس من صفات الضعف....، فالهمس الصَّوت الخفي، ومنه قوله ﷺ: ﴿... فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨])^(٤)، ويُعدُّ صوت (الصَّاد) من أقوى حروف الصَّفير الثلاثة^(٥).

من ذلك نلاحظ أنَّ دلالة (الصَّاد) على الصَّفير جاءت مناسبةً لمفردة ﴿صِيحَةً﴾ الواردة في سورة (ص) في قوله ﷺ: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾^(٦)، فلو وقفنا على أصلها نجدها مأخوذة من مادة (صِيحَ)، يقول ابن فارس: ((الصاد، والياء، والحاء أصل صحيح، وهو الصَّوت العالي، منه الصِّيَّاحُ، والمفردة منه (صِيحَةً))^(٦)، وقال أبو منصور الأزهري الصِّيَّاحُ هو: ((صوت كل شيء إذا اشتد))^(٧).

ت - دلالة صوت (الكاف):

نجد أنَّ مخرج الكاف ((من أسفل من موضع القاف قليلاً، ومما يليه من الحنك الأعلى))^(٨)، وهو من الأصوات الشديدة المهموسة^(٩)، وله عدة معانٍ، منها:
- التمكن في الشيء^(١٠).

(١) (الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

(٢) ينظر: علم الأصوات ١٨٤ .

(٣) ينظر: إعجاز القرآن، للباقلاني ٤٤ .

(٤) الروضة الندية شرح متن الجزرية ٢٦ .

(٥) ((الصفير: وهو صوتٌ زائدٌ، يشبه صوت الطائر، يخرج من بين الشفتين، ملازمًا لأحرفه، وأحرفه

ثلاثة هي: الصَّاد، الزَّاي، السَّين))، ينظر: القبس في علم التجويد ١٦٣ .

(٦) مقاييس اللغة ٣ / ٣٢٤ (صيح).

(٧) تهذيب اللغة ٥ / ١٠٨ (باب الحاء والصاد).

(٨) (الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

(٩) ينظر: المصدر نفسه ٤ / ٤٣٤ .

(١٠) ينظر: الدلالة الصوتية في اللغة العربية ١٥١ .

- الاحتكاك، ولا سيما ((إذا لفظ صوته ممطوطاً مخفوتاً به قليلاً، ومضغوطاً عليه بعض الشيء، يحاكي صوت احتكاك الخشب بالخشب))^(١).
- الشدة والفعالية^(٢).

وشكّلت هذه المعاني مناسبةً واضحةً بينها وبين استعمال حرف (الكاف) في سورة (ص)، ولا سيما كلمة ﴿كَفَرُوا﴾ في قوله ﷺ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾^(٣)، وقوله: ﴿... ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾^(٤)، وكلمة ﴿الْكَافِرِينَ﴾ في قوله ﷺ: ﴿... وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾^(٥).

فالكفر هو: ((نقيضُ الإيمان، ويُقال لأهل دار الحرب: قد كفروا أي: عصوا وامتنعوا، والكفر: نقيضُ الشكر، كَفَرَ النُّعْمَةَ، أي: لم يَشْكُرْهَا))^(٦)، قال الفيومي: ((كَفَرَ بِاللَّهِ (يَكْفُرُ) (كُفْرًا) و(كُفْرَانًا)، و(كَفَرَ) النعمة، وبالنعمة أيضا جردها، و(كَفَرَ) بكذا تبرأ منه، وفي التنزيل ﴿...إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ...﴾ [إبراهيم: ٢٢]، و(كَفَرَ) بالصانع: نفاه))^(٧).

ونلاحظ، كما أسلفت، أنَّ هناك تناسبًا بين معنى الكفر، ودلالة حرف الكاف، ففي الآية [٢] من سورة (ص) نلاحظ امتناع المشركين عن توحيد الله ﷻ، ووصفتهم الآية الكريمة بأنهم في ﴿عِزَّةٍ﴾، أي: حمية جاهلية وتكبر^(٨)، وناسب ذلك دلالة الشدة التي يحملها حرف الكاف، وتناسب مع لفظ (الكفر) الذي يفيد الجحود، ونفي الصانع، فرفض المشركون توحيد الله ﷻ، وجحدوا وجوده.

ومثل هذا التَّنَاسُب نجد في الآية [٢٧] من سورة (ص)؛ إذ إنها تحمل الشدة والغلظة على المشركين، وتجلَّى ذلك تحديدًا في قوله ﷺ: ﴿... فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾، فالويل هو:

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها ٧٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٧٠.

(٣) العين ٥ / ٣٥٦ (كفر).

(٤) المصباح المنير ٢ / ٥٣٥.

(٥) ينظر: روح المعاني ٥ / ٢٢٣.

((وَاد فِي جَهَنَّمَ لَوْ سِيرْتَ فِيهِ الْجِبَالُ لَمَاعَتْ مِنْ حَرِّهِ))^(١).

وناسب معنى الآية ما أفاده حرف الكاف من الشدة، وما أفاده معنى الكفر، وهو عدم الإيمان، فعلى الرغم من تقديم الآية الأدلة للمشركين الدالة على وجود الله ﷻ من خلق السماوات، والأرض، وما بينهما، إِلَّا أَنَّهُمْ عصوا الله ﷻ، وامتنعوا من توحيده، ولم يؤمنوا بوجوده ﷻ.

وفي الآية [٤] يصف منكرو وحدانية الله ﷻ الرسول محمداً ﷺ بالسحر والكذب، وتناسب ذلك مع معنى الشدة الذي دلّ عليه حرف الكاف في لفظ ﴿الْكَافِرِينَ﴾، وأكد معنى الشدة في الآية استعمال الله ﷻ لفظ ﴿هَذَا﴾؛ إذ ((وضع فيه الظاهر موضع الضمير؛ غضباً عليهم وإيذاناً بأنه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه إلا المتوغلون في الكفر والفسوق))^(٢).

ث - دلالة صوت (النون):

مخرج النون: ((من حافة اللسان من أدناه إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فوق الثنايا))^(٣)، وهو: صوتٌ مجهور به غنة، ومتوسط الشدة^(٤)، ويدل على التعبير عن البطون في الأشياء، والتعبير عن الصميمة^(٥).

ويختلف دلالة حرف النون بحسب نطقه، يقول حسن عباس: ((على أن صوت النون إذا لُفَظ مخففاً مرقفاً أوحى بالأناقة والرقّة والاستكانة، وإذا لُفَظ مشدداً بعض الشيء أوحى بالانبثاق، والخروج من الأشياء، تعبيراً عن البطون الصحيحة...، أمّا إذا لُفَظ بشيءٍ من الشدة والتوتر، فلا بُدَّ لمُحياته الصوتية أن تتجاوز ظاهرة الانبثاق العفوية إلى النفاذ القسري، والدخول في الأشياء، وإذا لُفَظ بشيءٍ من الخنخنة (إخراج الصوت من الأنف)، أوحى بالنتانة

(١) الزهد والرقائق، لابن المبارك ٢ / ٩٥.

(٢) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ٧ / ٢١٤.

(٣) الكتاب ٤ / ٤٣٣، وينظر: علم الأصوات ١٨٧، والقبس في علم التجويد ١٣٤.

(٤) ينظر: الكتاب ٤ / ٤٣٤.

(٥) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها ١٦٠، والدلالة الصوتية في اللغة العربية ١٥١.

والخِصَّةُ))^(١).

ومن صور نطق حرف النون مخففاً مرقفاً في سورة (ص) نجده في مفردة ﴿نَعَمْ﴾ في قوله ﷺ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٢)، وقوله ﷺ: ﴿وَحُذِّبِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ، وَلَا تَحْتِثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعَمْ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٣)، فدلَّ صوت النون في هذا الموضع على الرِّقَّة، والأناقة، والاستكانة، ولفظ (نعم) يدل على المبالغة في المدح^(٤)، ولا شك أنَّ الألفاظ في المدح تكون جميلةً، أنيقةً، ترتاح لها النفس.

ففي الآية [٣٠] ناسب استعمال لفظ ﴿نَعَمْ﴾ الذي يحوي حرف النون بصفاته المذكورة مع مقتضى سياق الآية؛ إذ كان نبي الله سليمان عليه السلام تَوَّابًا إلى الله ﷻ، رجَّاعًا إلى طاعته، وكان كثير الذكر له^(٥)، فكان من المناسب استعمال لفظٍ يناسب تلك الأفعال، وتمثِّل ذلك في لفظ ﴿نَعَمْ﴾.

ودلَّ اللفظ على رضاه ﷺ على نبيه سليمان عليه السلام، وأكَّد ذلك الرضا بإجابة دعائه، فحين طلب من ربه أن يهب له ملكًا لم يعطَ لأحد غيره في قوله ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾^(٦)، سَخَّرَ له الرِّيحَ، والشَّيَاطِينَ، فقال ﷺ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾^(٧) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ.

وجاء استعمال لفظ ﴿نَعَمْ﴾ في الآية [٤٤] مناسبًا لسياقها، فالله ﷻ يمتدح نبيه أيوب عليه السلام، فمن قصته أنَّه وهبه المال، والولد، ثم أهلك ماله، وولده، فلما بلغه ذلك صبر وحمد الله ﷻ، وأحسن ظنه به، فظنَّ بأن ماله، وولده يشغلانه عن عبادة ربه؛ لذلك منعهما عنه، وكان إبليس يحسده على كثرة عبادته، وثناء الملائكة عليه.

ثم ظهر البلاء في جسده، واشتدَّ به غاية الشدَّة حتى قرح جميع جسده؛ فابتعد عنه قومه، ولم يقربه أحدٌ غير امرأته التي اعتنت به طيلة مدة بلائه، وصبر على ذلك محتسبًا

(١) خصائص الحروف العربية ومعانيها ١٦١.

(٢) ينظر: اللع في العربية ١٤٠.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٩١.

الأجر من الله ﷻ^(١)، فكان مناسباً أن تُستعمل عند الحديث عنه ألفاظٌ جميلةٌ وأنيقةٌ تكافئ صبره على بلائه، ولذلك ورد لفظ ﴿ نَعَمْ ﴾ متسقاً مع سياق الآية، ووجود حرف النون في اللفظ أضفى عليه تلك الصفات.

٢ - دلالة الصَّوْتِ المركَّب:

ويُقصد بها: ((تألف صوتٍ مع صوتٍ آخر، ودخولها في عددٍ من الكلمات، يكون لها معنى عام))^(٢)، ومن أمثلة ذلك في سورة (ص):

أ - دلالة ﴿مَسَّ﴾:

وذلك في مفردة ﴿مَسَّنِي﴾، في قوله ﷻ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾^(٤).

نلاحظ أنَّ المقطع الصوتي: (مَسَّ) يتألف من حرفين، هما:

١ - الميم: ويخرج من بين الشفتين^(٣)، وهو من الأصوات المجهورة، والمتوسطة في الشدة والرخاوة^(٤).

٢ - السين: ومخرجه من ((طرف اللسان فيما بينه وبين الثنايا))^(٥)، وهو صوت مهموس^(٦)، ويعد من حروف الصفيير^(٧)، أي: ((صوت زائد يخرج من بين الشفتين عند النطق بحروفه))^(٨).

(١) ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني ٣ / ٣٩٨.

(٢) الدلالة الصوتية في اللغة العربية ١٥٣.

(٣) ينظر: الكتاب ٤ / ٤٣٣.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ٤ / ٤٣٤.

(٥) معاني القراءات، للأزهري ١ / ١١١.

(٦) ينظر: الروضة الندية شرح متن الجزرية ٢٦.

(٧) ينظر: معجم علوم القرآن ١٧٧.

(٨) المصدر نفسه ١٧٧.

وللميم عدّة دلالات منها: (الانجماع)^(١)، أمّا السين فيدل على (القرب)^(٢)، فشكّلت دلالات الصوتين مناسبة بينهما، وبين الاستعمال اللغوي للفظ (مسّ) فـ((أصل المسّ: اللصوق، مسسته بيدي، ثم قيل على وجه التمثيل: مسّه الضر، وقيل: مسّته النَّار))^(٣)، و(المسّ): كلُّ ما ينال الإنسان من أذى وضرر^(٤).

فبيّنت الآية الكريمة أنّ الضرر، والأذى قد مسّ نبي الله أيوب عليه السلام في سائر جسده، وحتى لو مسّه الأذى في موضع واحد فإنّ الألم سينتشر في جميع أنحاء جسمه، وتتاسب ذلك مع (الانجماع) الذي أفاده صوت الميم.

فضلاً عن أنّ الأذى الذي أصاب أيوب عليه السلام كان قريباً منه، ويراها ويحسّها به؛ لأنّه ملتصق بجسده، وتتاسب ذلك مع (القرب) الذي دلّ عليه صوت السين.

وأعطى تضعيف صوت السين أزيزاً خاصّاً، ونغمةً رقيقةً، ودلالةً شديدةً، فجمع بين جرس الصّوت الهادئ، ووقع الألم الشديد، فاللفظ رفيق رقيق، ولكن المعنى شديدٌ غليظٌ.

ب- دلالة ﴿خَرَّ﴾:

وذلك في مفردة ﴿وَحَرَّ﴾، في قوله سبحانه: ﴿... وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾^(٢٤).

نلاحظ أنّ المقطع الصّوتي (خَرَّ) يتألف من حرفين، هما:

١ - الخاء: ومخرجه من أدنى الحلق^(٥)، وهو صوت مهموس^(٦)، ورخو^(٧)، ويُعدُّ من حروف الاستعلاء^(٨)؛ إذ يرتفع اللسان عند النطق به إلى جهة الجانب الأعلى من

(١) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها ٧٢، والصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم ١٧.

(٢) ينظر: تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٧ / ٢٥٣.

(٣) الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري ٤٣٥.

(٤) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦ / ٩٢.

(٥) ينظر: الكتاب ٤ / ٤٣٣.

(٦) ينظر: إعجاز القرآن، للباقلاني ٤٤، و الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها ٩٨.

(٧) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ / ٣٣.

(٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١ / ١٢٤، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ١٥٩.

الحنك^(١).

٢- الرّاء: ومخرجه ((من مخرج النون، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام))^(٢)، وهو صوت مجهور^(٣).

وللّراء عدّة دلالات منها ((الرّقة، والنّضارة، والليونة))^(٤)، ويُسمّى صوت ((التّكرار))^(٥)، فتضفي صفة التّكرار إليه طابع الحركة، لذا نجد هذا الطّابع في الكثير من الكلمات التي تحوي هذا الحرف، ك((الرّقة، والرّكبة، والمرفق)) من أعضاء جسم الإنسان، وغيرها من المفردات، ك((ركض، ورجع))، فنلمس طابع الحركة فيها جميعاً^(٦).

وتناسبت دلالة (الرّاء) من حيث الرّقة، والنّضارة، والليونة مع مشهد ركوع الإنسان لربه، فالمشهد جميلٌ تُسرُّ به العين، والإنسان حينما يصلي فإنه يخشع لربه، ويركع ويسجد في سكينَةٍ، وليونةٍ، وهُدوءٍ، واطمئنانٍ، وأنّ الركوع لله ﷻ يتكرّر عدة مرات في صلاة الإنسان، ويحرك أعضاء جسمه أثناء ركوعه، وتتناسب ذلك مع دلالة التّكرار.

أمّا الخريز فهو: ((صوت الماء، والريّح، حَرَّ يَخْرُ وَيَخُرُّ خَرِيرًا، وَخَزَخَرَ))^(٧)، والخَرْ هو: ((سقوط يسمع منه خريز صوت، نحو: الريح، والماء مما يسقط من علو، ومنه ... وَخَرُوا لَهُ سُجْدًا...)) [يوسف: ١٠٠]^(٨)، وفي عدة استعمالات جاء دالاً على السقوط، والهوي مصحوباً بصوت الخريز، واستعمال لفظ (الخَرْ) في الآية جاء مناسباً لذلك؛ إذ نبّه على اجتماع أمرين: السقوط، وحصول الصّوت؛ إذ إنّ الركوع في الآية قُصد به

(١) ينظر: الحجة في القراءات السبع ٦٦.

(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٤ / ٤٣٤ - ٤٣٥.

(٤) خصائص الحروف العربية ومعانيها ١٨١.

(٥) ينظر: علم الأصوات ٢١٣.

(٦) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها ٨٣ - ٨٥.

(٧) المحكم والمحيط الأعظم ٤ / ٥٠٨ (خَرْ).

(٨) التوقيف على مهمات التعاريف ١٥٤.

السجود^(١)، أي: إنَّه كان من الأعلى للأسفل، وهذا ما ناسب دلالة السقوط الذي أفاده الحَر،
والركوع يصاحبه التسبيح، وهذا ما ناسب دلالة حصول الصَّوت.
وهكذا تتَّضح المناسبة بين الأصوات المركبة، ومعاني استعمالها في القرآن الكريم عمومًا، وفي
سورة (ص) على وجه الخصوص.

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٨٥، ومعاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٢٧، وتفسير
الماوردي (النكت والعيون) ٥ / ٨٩.

المبحث الثاني تناسب البنية الصرفية

تُعَدُّ البنية الصرفية إحدى أساسيات النظم، ولا سيَّما نظم القرآن الكريم، فالبنية الصرفية ليست منفصلة عن مناسبة نظم القرآن، فهي حاضرة في موضعها الخاص بها، والمناسب لسياق الآيات، ومضامينها، فأحياناً نجد أنَّ للجملة بَنًى مختلفة، فنقول: (موسى ناصِر)، وأحياناً نقول: (موسى نصير)، وتارة نقول: (موسى يَسْتَسْلِم)، وتارة أخرى نقول: (موسى مُسْتَسْلِم)^(١)، فهذا هو الإطار الذهني الذي تُشكِّله البنية للكلمة المفردة^(٢)، وهو القالب للكلمة التي نريد استعمالها في السياق، ولهذا القالب عدَّة أجزاء، وباجتماعها تتشكل البنية المستعملة في الكلام.

والبنية مشتقة من (بَنَى) التي تدلُّ على البناء، قال ابن فارس: ((الباء، والنون، والياء أصل واحد، وهو: بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض))^(٣).

وذكر التهانوي أنَّ مصطلح (البنية) يطلق على: ((الهيئة الحاصلة للفظ باعتبار ترتيب الحروف، وحركاتها وسكناتها... وتسمَّى بالصيغة والوزن أيضاً))^(٤)، وسُميت بالصيغة؛ لأنها تمثِّل ((البنية بحركاتها التي تحدّد معناها، وتمكِّن من وزنها بأن تُوضَعَ في قالب من قوالب الأبنية المقرَّرة في اللغة، فإذا لم يكن ذلك اعتبرت الكلمة بنية، وليست صيغة، وعلى ذلك تشمل الصيغة الأسماء المعربة، والأفعال، إذ إنَّ لكل واحدٍ منهما له أوزانه الخاصة به))^(٥).
وجدير بالذكر أننا لا نلحظ فرقاً كبيراً في استعمال البنية، والصيغة في موقعهما الخاص، والمناسب لهما في الجملة، ولذلك أتت دراسة البنية الصرفية موزَّعة على بنيتين،

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ٩٧.

(٢) ينظر: البيان في روائع القرآن ٢٩.

(٣) مقاييس اللغة ١ / ٣٠٢ (بَنَى).

(٤) موسوعة كشَّاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١ / ٣٤٥، وينظر: البنى والدلالات في لغة القصص

القرآني ١٧ - ٢٨.

(٥) الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ٢٥، وينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٣٦.

هما:

أولاً: بنية التضعيف، ومنها:

(فَعَّلَ): وهو مزيد بحرف نتيجة تضعيف عين الكلمة، ويأتي متعدّياً، مثل قولك: (سَجَّلْتُهُ)، و(سَلَّمْتُهُ)، وقد يأتي لازماً، نحو قولك: (صَرَّحَ)، و(هَلَّلَ) ^(١)، وتأتي بنية (فَعَّلَ) بعدة معانٍ ^(٢)، وسأتحدث عن أشهر معانيها التي وردت في سورة (ص)، وهي: التَّكْثِيرُ، والمبالغة:

يُعدُّ الغالب في معانيها ^(٣)، قال الرّضي: ((الأغلب في (فَعَّلَ) أن يكون لتكثير فاعله أصل الفعل... تقول: (ذَبَحْتُ الشَّاةَ)، ولا تقول: (ذَبَحْتُهَا)، و(أَغْلَقْتُ البابَ مَرَّةً)، ولا تقول: (غَلَقْتُ)؛ لعدم تصوّر معنى التَّكْثِير في مثله، بل تقول: (ذَبَحْتُ الغَنَمَ)، و(غَلَقْتُ الأبوابَ)) ^(٤).

ويأتي التَّكْثِير في (فَعَّلَ)؛ بسبب تكرير الفعل، وهذا الذي أكسبه هذه الصفة، وأشار ابن جني إلى ذلك في قوله: ((أَعْلَمُ أَنَّ (فَعَّلْتَ) أكثر ما يكون لتكرير الفعل، نحو: (قَطَّعْتَ)، و(كَسَّرْتَ)، إنّما تُخْبِر أَنَّ هذا فعلٌ وقع منك شيئاً بعد شيءٍ على تطاول الزمان)) ^(٥).

ربط ابن جني بين (فَعَّلَ)، وما دلّت عليه من صفة التَّكْثِير، ورأى أن العرب جعلوا من تكرار العين دليلاً على تكرار الحدث، فقال: ((ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل، فقالوا: (كَسَّرَ)، و(قَطَّعَ)، و(فَتَّحَ)، و(غَلَّقَ)، وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلاً المعاني، فأقوى اللفظ ينبغي أن يُقابل به قوّة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام)) ^(٦).

ويكون التَّكْثِير في (فَعَّلَ) على ثلاثة مستويات، هي:

(١) ينظر: المنصف ٩١، والممتع الكبير في التصريف ١٢٩، والمبدع في التصريف ١١٢.

(٢) ذكر هاشم طه شلاش أن لـ(فَعَّلَ) واحداً وعشرين معنى، ينظر: أوزان الفعل ومعانيها ٧٤ - ٨٣.

(٣) ينظر: الكتاب ٤ / ٦٤، ودقائق التصريف ١٦٠.

(٤) شرح شافية ابن الحاجب، للرضي ١ / ٩٢.

(٥) المنصف ٩١.

(٦) الخصائص ٢ / ١٥٥، وينظر: أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية ٤٩.

١ - التَّكْثِيرُ فِي الْفِعْلِ:

ويكون في الفعل المتعدي^(١)، وأمثله في سورة (ص): ﴿سَخَّرَ﴾ في قوله ﷻ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾^(١٨)، فناسب استعمال صيغة ﴿سَخَّرَ﴾ الدَّالَّةُ عَلَى الكثرة حال الجبال التي سخرها الله ﷻ لداود عليه السلام؛ حتى تُكثَّرَ معه في تسبيح الله ﷻ، وحمده، فكانت تُسَبِّحُ خالقها من وقت طلوع الضحى إلى آخر النَّهَارِ^(٢).

٢ - التَّكْثِيرُ فِي الْفَاعِلِ:

ويكون في الفعل المتعدي^(٣)، ومن أمثلة ذلك في سورة (ص): ﴿كَذَّبَ﴾ في قوله ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ﴾^(١٢)، وفي قوله: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾^(١٤)؛ إذ جاءت صيغة ﴿كَذَّبَ﴾ الدَّالَّةُ عَلَى التَّكْثِيرِ مناسبة لحال هؤلاء القوم مع أنبيائهم، فعلى الرغم من المعجزات التي أيد الله ﷻ بها أنبياءه والتي تُثَبِّتُ صدقهم، إلا أنَّ قومهم أعرضوا عنهم، وأمعنوا في تكذيبهم، فجاء لفظ ﴿كَذَّبَ﴾ مناسباً لمبالغتهم في إيذاء أنبيائهم.

وذكرت الآيتان [١٢ - ١٣] من السُّورَةِ كَثِيرًا من الأَقْوَامِ الْمُكَذِّبِينَ لرسولهم، كقوم: (نوح، وعاد، وفرعون، وثمود، ولوط، وأصحاب الأيكة)، فهذه الكثرة في الأَقْوَامِ المذكورين تتناسب مع استعمال صيغة ﴿كَذَّبَ﴾ الدَّالَّةُ عَلَى التَّكْثِيرِ، فضلاً عن أنَّ لفظ ﴿قَوْمٌ﴾ في حد ذاته يدل على الكثرة.

٣ - التَّكْثِيرُ فِي الْمَفْعُولِ:

ويكون في المتعدي^(٤)، نحو: (فَتَحَّ)، ومثاله في سورة (ص) قوله ﷻ: ﴿جَنَّتِ عَدْنٍ مُفْنَحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾^(٥٠)، فالتَّضْعِيفُ فِي لَفْظِ ﴿مُفْنَحَةً﴾ يدلُّ عَلَى الْمَبَالِغَةِ، وَيُفِيدُ التَّكْثِيرَ، وَهَذَا

(١) ينظر: الصيغ الفعلية في القرآن الكريم ٥٨٨.

(٢) ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني ٤ / ٤٢٩.

(٣) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، للرضي ١ / ٩٣، والصيغ الفعلية في القرآن الكريم ٥٨٨.

(٤) ينظر: المصدران أنفسهما.

يتناسب مع كثرة الأبواب التي في الجنة؛ إذ يبلغ عددها ثمانية أبواب^(١)، ونلاحظ هنا أنَّ ﴿الْأَبْوَابُ﴾ جاءت مرفوعة؛ ((لأنَّ المعنى: مَفْتَحَةٌ لَهُمْ أَبْوَابُهَا، والعربُ تجعل الألف واللام خَلْفًا من الإضافة، فيقولون: مررتُ على رجلٍ حَسَنَةِ الْعَيْنِ، قَبِيحِ الْأَنْفِ، والمعنى: حَسَنَةِ عَيْنِهِ قَبِيحِ أَنْفِهِ))^(٢).

ثانيًا: بنية المشتقات:

ينقسم الاسم على جامدٍ، ومشتقٍ، فالجامد: هو الذي يدل على حدثٍ، أو معنًى من غير ملاحظة صفة، ولم يؤخذ من غيره^(٣)، بمعنى: أنه وُضع على صورته الرَّاهنة، وليس له أصل يمكن الرجوع إليه، أو ينتسب له^(٤)، ك(حجرٍ، وشجرٍ، وأسد).

أمَّا المشتق فهو: ((ما أُخذ من غيره، ودلَّ على ذات، مع ملاحظة صفة))^(٥)، ويأتي على عدة أقسام، وسأتناول بعضها على وفق ما يتناسب مع معطيات سورة (ص)، ويتفق مع علم المناسبة وذلك على النحو الآتي:

١ - اسم الفاعل:

وهو: ((ما يجري على يَفْعَلُ من فَعَلَهُ، ك(ضَارِبٍ، ومُكْرِمٍ، ومُنْطَلِقٍ، ومُسْتَخْرِجٍ، ومُدْحَرَجٍ)، ويعمل عمل الفعل في التقديم والتأخير، والإظهار والإضمار، كقولك: (زَيْدٌ ضَارِبٌ غَلَامُهُ عَمْرًا))^(٦)، أي: إنه يدل ((على الحدث، والحدوث، وفاعله))^(٧).

قال فاضل السامرائي: ((ويُقصد بالحدث معنى المصدر، وبالحدوث ما يقابل الثبوت، ف(قَائِمٌ)، مثلاً، اسم فاعل يدلُّ على الْقِيَامِ، وهو الحدث، وعلى الحدوث، أي: التَّغْيِيرِ، فَالْقِيَامُ

(١) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ١ / ٨٧١.

(٢) معاني القرآن، للفراء ٢ / ٤٠٨.

(٣) ينظر: شذا العرف في فن الصرف ٥٦.

(٤) ينظر: النحو الوافي ٣ / ١٨٢.

(٥) شذا العرف في فن الصرف ٥٦.

(٦) المفصل في صنعة الإعراب ٢٨٥.

(٧) شرح التصريح على التوضيح ٢ / ١١.

ليس ملازمًا لصاحبه، ويدلُّ على ذات الفاعل، أي: صاحب القيام^(١).

ويكتسب اسم الفاعل دلالته من دلالة الاسم المقترنة بالثبوت، ودلالة الفعل المقترنة بالحدوث^(٢)، فتقول: (كَتَبَ مُحَمَّدٌ)، و(مُحَمَّدٌ كَاتِبٌ)؛ إذ أفاد الفعل الماضي (كَتَبَ) حدوث الكتابة، أمَّا اسم الفاعل (كَاتِبٌ) فأفاده ثبوت كتابة محمد، أي: إِنَّ (كَاتِبٌ) أدوم، وأثبت من (كَتَبَ)^(٣).

وورد اسم الفاعل في عدة مواضع من سورة (ص) هي:

أ- ﴿الْفَجَارِ﴾، في قوله ﷺ: ﴿أَمْ جَعَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَجَارِ﴾^(٢٨).

ف﴿الْفَجَارِ﴾: ((جمع: (فَاجِرٍ)، وهو المُتَّبِعُ في المعاصي، والمحارم))^(٤)، وهو: ((اسم فاعل من الثلاثي: (فَجَرَ)، وزنه (فَاعِلٌ)))^(٥)، وجاء استعمال اسم الفاعل مناسبًا للسياق؛ إذ بينت الآيات السابقة الأفعال، والمعاصي، والمحارم التي يرتكبها المشركون، كاتهامهم الرسول محمدًا ﷺ بالسحر، والكذب في قوله ﷺ: ﴿... وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾^(٦)، وإنكارهم لوحداية الله في قوله ﷺ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْأَخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَخْلَاقٌ﴾^(٧)، فعلى الرغم من المعجزات التي أتى بها النبي ﷺ، وأثبتت صدق ما يدعو إليه، إلا أنَّ ذلك لم ينفع مع المشركين، فظلُّوا على عنادهم، وتكبُّرهم ورفضهم دعوته، لذا كان استعمال صيغة اسم الفاعل: ﴿الْفَجَارِ﴾ مناسبًا للمقام، وما كان عليه المشركون من عنادٍ وتكذيب.

ب- ﴿الصَّفِيفَتُ﴾، في قوله ﷺ: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِيفَتُ الْحَيَادُ﴾^(٨).

ف﴿الصَّفِيفَتُ﴾: ((جمع: (الصَّافِنَةُ أو الصَّافِنِ)، اسم فاعل من الثلاثي (صَفَنَ الفَرَسُ)، باب (ضَرَبَ)، إذا أقامت على ثلاث قوائم، وأقامت الرابعة على طرف الحافر، وزنه

(١) معاني الأبنية في العربية ٤١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٩ - ١٠.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٤٣.

(٤) لسان العرب ٥ / ٤٦ (فَجَرَ).

(٥) الجدول في إعراب القرآن الكريم ٣٠ / ٢٥١.

((فَاعِلٌ))^(١)، و ((الصُّفُون) صفة دالة على فضيلة الفرس))^(٢)، وتناسب ذلك مع صيغة اسم الفاعل ((الصَّافِنَة أو الصَّافِن))؛ إذ إنّ من عادة الخيل إقامتها على ثلاث قوائم، وتقييم الرابعة على طرف الحافر، ووُصفت بالصُّفُون؛ لما تتصف به من أفعال الفضيلة والكمال^(٣)، فهذه الأفعال ملازمة للخيل.

وأفعال الخيل، وصفاتها هي من أخبرت نبي الله سليمان ﷺ عن صلاة العصر؛ إذ ((كانت هذه الخيل وردت على سليمان من غنيمة جيش كان له، فتشاغل باعتراضها إلى أن غابت الشمس))^(٤)، وفي ذلك يقول ﷺ في السورة نفسها: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾^(٥).

ت- ﴿مُتَنَحِّمٌ﴾: في قوله ﷺ: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُتَنَحِّمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ أَنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾^(٦).

فـ ﴿مُتَنَحِّمٌ﴾: ((اسم فاعل من الخماسي (اِقْتَحَمَ) وزنه (مُفْتَعِلٌ)، بضم الميم وكسر العين))^(٧)، و ((الاقتحام): الدخول على خطر، أو مشقة من غير تثبيت))^(٨)، وناسب ذلك سياق الآية الوارد فيها، فالمشركون يدخلون نار جهنم بأنفسهم، ولا يعلمون صنوف العذاب التي فيها، فـ ((يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بأنفسهم خوفاً؛ من تلك المقامع))^(٩)، ولذلك تناسب استعمال اسم الفاعل ﴿مُتَنَحِّمٌ﴾ مع سياقها؛ إذ دلّ على الحدث، والحدوث، والفاعل.

٢- اسم المفعول:

هو: ((الجاري على (يُفْعَلُ) من فِعْلِهِ، نحو: (مَضْرُوبٌ)؛ لأن أصله: (مُفْعَلٌ، ومُكْرَمٌ، ومُنْطَلَقٌ به، ومُسْتَخْرَجٌ، ومُدْحَرَجٌ))^(١٠)، قال ابن الحاجب: ((هو ما اشتقّ من فِعْلٍ لمن وقع

(١) الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢٣ / ١٢٣.

(٢) مفاتيح الغيب ٢٦ / ٣٩٠.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٢٦ / ٣٩٠.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٣٠ - ٣٣١.

(٥) الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢٣ / ١٣٥.

(٦) درج الدرر في تفسير الآي والسور ٢ / ٥٣١.

(٧) لباب التأويل في معاني التنزيل ٤ / ٤٥.

(٨) المفصل في صنعة الإعراب ٢٩١.

عليه))^(١)، وهو ((صفةٌ تُؤخذ من الفعل المجهول؛ للدلالة على حدثٍ وقع على الموصوف بها على وجه الحدث، والتَّجَدُّد))^(٢)، وله وزن قياسيَّان، هما:

الأول: وزنه من الثلاثي:

(مَفْعُول)، نحو: ((مَبْيُوع، وَمَقْوُول)، فَيُعَلُّ حملاً على فعله، فَنَنْقُل حركة العين إلى الساكن قبل، فيصير (مَقْوُول) و(مَبْيُوع) فيجتمع ساكنان: واو (مَفْعُول)، والعين، فَنُحَذَف واو (مَفْعُول)، فيقال: (مَقُول)، في ذوات الواو، وأمَّا (مَبْيُوع) فإنه إذا حُذِفَت واو مَفْعُول قلبت الضمّة التي قبل العين كسرةً، لِنَصِحِّ الياء، فنقول: (مَبِيعٌ))^(٣).

ومن أمثلة ذلك في سورة (ص):

أ- ﴿مَهْزُومٌ﴾، في قوله ﷻ: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾^(١١).

﴿مَهْزُومٌ﴾: ((اسم مفعول من الثلاثي (هَزِمَ)، وزنه مَفْعُول))^(٤).

وتناسب استعمال اسم المفعول ﴿مَهْزُومٌ﴾ مع سياق الآية؛ لأنَّ صفة الهزيمة مرتبطة بالمشرّكين، فهم على الرغم من كثرتهم في العدد، والعتاد، إلّا أنّهم مهزومون أمام المسلمين، وهذه الهزيمة ليست في معركة واحدة، بل هزائم متجدّدة عبر العصور، فهُزِمُوا في معركة بدر، والخنق، وحنين، وخيبر، وغيرها من الغزوات، فصفا الهزائم المتكررة للمشرّكين عبر العصور تناسب مع معنى التجدد الذي أفاده اسم المفعول ﴿مَهْزُومٌ﴾.

ب- ﴿مَحْشُورَةٌ﴾، في قوله ﷻ: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾^(١٩).

﴿مَحْشُورَةٌ﴾: ((اسم مفعول من الثلاثي (حَشَرَ)، مُذَكَّره (مَحْشُور)، وزنه مَفْعُول))^(٥).

نلاحظ في سورة (ص) أنه لما أخبرنا الله ﷻ عن تسخير الجبال لداود عليه السلام، وهي أثقل الأشياء، وأثبتها لتسبح الله ﷻ معه في قوله: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾^(١٨)،

(١) الكافية في علم النحو ٤١.

(٢) جامع الدروس العربية ١ / ١٨٢.

(٣) الممتع الكبير في التصريف ٢٩٦.

(٤) الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢٣ / ١٠٧.

(٥) المصدر نفسه ٢٣ / ١١٣.

أتبعها بذكر تسخير الطير له في قوله ﷺ: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَابٌ﴾ (١٩)، والطير هو أخفُ الأشياء، وأكثرها انتقالًا، وعبرَ عن هذا التسخير باسم المفعول ﴿مَحْشُورَةً﴾ الدال على أمرين، هما:

- الاجتماع والثبات (١).

- أنَّ مجموعة الطير ((مجموعة إليه كرهًا من كل جانب دفعة واحدة)) (٢).

وتناسب ذلك مع استعمال اسم المفعول في السياق، وعبر بالاسم دون الفعل؛ لأنه أدلُّ على قدرة الله ﷻ (٣).

الثاني: بناؤه من غير الثلاثي (٤):

ويكون بناؤه من غير الثلاثي بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة، وفتح ما قبل الآخر (٥)، نحو: (مُكْرَم، مُنْطَلَق، مُسْتَعْمَل).

ومن أمثله في سورة (ص):

أ- ﴿مُغْتَسِّلٌ﴾، في قوله ﷻ: ﴿أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مَغْتَسِّلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (٤٢).

فـ ﴿مُغْتَسِّلٌ﴾: ((اسم مفعول بمعنى: الماء، من الخماسي (اغْتَسَلَ)، وزنه مُفْتَعَل، بضم الميم، وفتح العين)) (٦)، ومعناه: ((تغتسل منه؛ فيزيل الأعراس الظاهرة)) (٧).

من ذلك يتبين تناسب استعمال اسم المفعول ﴿مُغْتَسِّلٌ﴾ مع السياق؛ إذ ذكرتُ سابقاً أنَّ اسم المفعول يدل على حدث يقع في الموصوف على وجه التجدد، وهذا ما نلاحظه عند استعمال ماء المَغْتَسِّل؛ فذاك الماء متجدد، ومتغير باستمرار، وأنَّ هذا المَغْتَسِّل قد اغتسل منه أيوب عليه السلام، أي: وقع عليه الفعل؛ لذلك تناسب مع تسميته باسم المفعول.

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦ / ٣٧١.

(٢) المصدر نفسه ٦ / ٣٧١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٦ / ٣٧١.

(٤) ينظر: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف ١٥٧.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ١٥٧.

(٦) الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢٣ / ١٢٨، وينظر: التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٧٠.

(٧) تفسير الشعراوي، الخواطر ١٠ / ٦٠٠٣.

ب- ﴿الْمُصْطَفَيْنَ﴾، في قوله ﷺ: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ (٤٧).

فـ ﴿الْمُصْطَفَيْنَ﴾: ((جمع (المُصْطَفَى)، اسم مفعول من الخماسي (أُصْطَفِيَ)، وزنه مُفْتَعَل بضم الميم وفتح العين)) (١).

بين الله ﷻ في هذه الآية، وما سبقها في قوله ﷺ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٤٥) أَنَّ أنبياء الله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب هم ((الذين اتخذهم الله صفوة، صفاهم من الأنداس كلها، وأخلصهم منها)) (٢)، فهم لم يُنصَّبوا أنفسهم دعاة على الناس، بل الله ﷻ اختارهم أنبياء له؛ ليلغوا دعوته، ويخرجوا الناس من ظلمات الشرك به إلى نور توحيده، لذا تناسب استعمال اسم المفعول ﴿الْمُصْطَفَيْنَ﴾ مع سياق الآية، ومعناها.

٣- الصِّفَةُ الْمَشْبَهَةُ:

تعريفها: ((هي التي ليست من الصِّفَاتِ الجارية، وإنما هي مشبهة بها في أنها تذكر، وتؤنث، وتثنى، وتجمع، نحو: كَرِيم، وَحَسَن، وَصَعْب)) (٣)، وتدل على ((معنى ثابت، فإن قُصِدَ الحدوث قيل: هو حَاسِنُ الْآنَ أو غَدًا، وَكَارِم، وَطَائِل)) (٤)، وَسُمِّيَتْ بذلك؛ ((لأنَّها تشبه اسم الفاعل في أَنَّها تدلُّ كما يدلُّ على حدث، ومن قام به، كما أَنَّها مثله تُؤنث، وتثنى وتُجمع جمع مذكرٍ سالمٍ؛ ولذلك حملت عليه في العمل)) (٥).

وللصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ عدَّة دلالات، منها:

- ما يدلُّ على الاستمرار، والثبوت، أو قريب من ذلك، مثل: (أَصَم، وَعَقِيم، وَقَصِير، وَكَرِيم، وَجَوَاد، وَبَلِيغ).

- ما لا يدلُّ على الثبوت، والاستمرار، نحو قولك: (ظَمَان، وَرَيَّان) (٦).

(١) الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢٣ / ١٣١.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٣٦.

(٣) المفصل في صناعة الإعراب ٢٩٣.

(٤) المصدر نفسه ٢٩٣.

(٥) معجم الأوزان الصرفية ١٢٥.

(٦) ينظر: معاني الأبنية في العربية ٦٧.

ولها عدّة أوزان منها (فَعِيل)، وهذا الوزن يدلُّ على الثبوت في الصّفات، نحو: (شَرِيف، وَخَفِيف) ^(١).

ومن أمثلة ذلك في سورة (ص):

أ- ﴿الْعَزِيزُ﴾ في قوله ﷻ: ﴿أَمْعَدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۝١﴾.

فـ ﴿الْعَزِيزُ﴾ ((صفة مشبّهة لفعل (عَزَّ) الثلاثي ... وزنه فَعِيل)) ^(٢)، وهو ((اسم من أسماء الله الحسنى، ويدل على ثبوت صفة العِزَّة له ﷻ)) ^(٣)، فالصفة المشبّهة ﴿الْعَزِيزُ﴾ جاءت مناسبة في موضعها لما تقدّمها من السياق؛ إذ أثبتت الآية في قوله ﷻ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ۝٢﴾ عِزَّة الله ﷻ، وقدرته على إذلال المُكذِّبين، وقهرهم، وإهلاكهم.

وتناسبت الصّفة المشبّهة ﴿الْعَزِيزُ﴾ مع الآية في قوله ﷻ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾؛ إذ جاءت لترد على المشركين بأنّ العِزَّة لله وحده، وليس لأحد غيره، وجاءت لترد على استغرابهم لاختيار سيدنا محمد ﷺ للنبوّة، وهو ليس أفضل منهم شرفاً، ونسباً ^(٤) حسب زعمهم، فقالوا: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُفَعُوا عَذَابِ ۝٨﴾، فبيّنت الصّفة المشبّهة أنّ الله ﷻ عزيز في سلطانه، يهب لمن يشاء خزائن رحمته التي من بينها النبوّة ^(٥).

ب- ﴿شَدِيدٌ﴾، في قوله ﷻ: ﴿... إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۝٣٦﴾.

فـ ﴿شَدِيدٌ﴾ ((صفة مشبّهة من (شَدَّ يَشُدُّ) ... وزنه فَعِيل)) ^(٦)، فالشّدة على المشركين صفة ثابتة في الله ﷻ، وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة دالة عليها، فقال ﷻ:

(١) ينظر: الصاحبى في فقه اللغة ٣٨٧.

(٢) الجدول في إعراب القرآن الكريم ١٩ / ١٦٥.

(٣) الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله ٣ / ٩٩٩.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٥٥.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٢١ / ١٥٦.

(٦) الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢ / ٣٣٠.

- ﴿... إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤].
- ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ...﴾ [المائدة: ٩٨].
- ﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٧٠].
- ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْفِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ [ق: ٢٦].
- وجاءت الصفة المشبهة ﴿شَدِيدٌ﴾ في الآية [٢٦] من سورة (ص) مناسبة لما تقدّمها من السياق؛ إذ ورد في الآيات السابقة في السورة نفسها موقف المشركين تجاه دعوة سيدنا محمد ﷺ، وموقف الفئة الباغية من الأمم السابقة من رسلها، تلك المواقف التي تستوجب الغلظة والشدّة من الله ﷻ عليهم، فقال ﷻ مبيناً أعمالهم التي استحقوا من خلالها أن يكون العذاب شديداً عليهم:
- ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾.
- ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ۝٤﴾.
- ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾.
- ﴿وَأَنْطَلِقُ الْمَلَائِكَةِ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آهَاتِهِمْ ۝٦﴾ ...
- ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ۝٧﴾.
- ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا ... ۝٨﴾.
- ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ۝١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ۝﴾.
- لذلك جاءت الصّفة المُشَبَّهة ﴿شَدِيدٌ﴾ مناسبة للمعاني التي وردت في هذه الآيات.
- ٤ - صيغة المبالغة:

تعريفها: هي ((اسم مشتق من الفعل الثلاثي اللازم، أو المتعدي؛ للدلالة على معنى اسم الفاعل مع تأكيد المعنى، وتقويته، والمبالغة فيه))^(١).

وتفيد المبالغة زيادة المعنى على صيغتها، فكل صيغة في العربية تؤدي معنى مختلفاً

(١) معجم الأوزان الصرفية ١٢٨ - ١٢٩.

عن الصيغ الأخرى، فمثلاً (فَعُول) تفيد الكثرة، ولكن الكثرة المستفادة من (فَعَال) أشدُّ منها^(١)، و((زيادة البناء تدلُّ على زيادة المعنى، فصيغتا: (فَعَال، ومِفْعَال) أبلغ من صيغتي: (فَعُول، وفَعِيل)، وأبلغية هذين الأخيرين على (فَعِل))^(٢).

وقسمَ فاضل السامرائي أبنية المبالغة على نوعين، فقال: ((منها ما يختلف عن الآخر لتأدية معنى جديد، نحو قولهم: (رَجُلٌ دُعْرَةٌ)، أي: ذو عيوب، و(امرأةٌ دَعُور): تُذعر من الريبة، والكلام القبيح، ونحو: (الضَحَّاك والضَحَّكَ)، ف(الضَحَّاك) مدح، و(الضَحَّكَ) ذمٌ ... ومنها ما تدلُّ صيغته على معنى في المبالغة يختلف عن الصيغة الأخرى، فمعنى (فَعَال) يختلف عن (فَعُول) في المبالغة، وهما يختلفان عن (مِفْعَال)، وهكذا))^(٣).

ومن صيغ المبالغة في سورة (ص):

أ- (فَعَال)، ومن أمثلة هذه الصيغة: ﴿عَجَبٌ﴾، في قوله ﷺ: ﴿أَجْعَلُ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾^(٤)، ف﴿عَجَبٌ﴾ ((صيغة مبالغة من الثلاثي (عجب)، وزنه فَعَال، بضمّ الفاء))^(٥)، وهي ((أبلغ من (عَجِيب)؛ لأنك تقول في الرجل الذي فيه طول: (هَذَا رَجُلٌ طَوِيلٌ)، بينما تقول في الرجل الذي تجاوز الحد المعقول في الطول: (هَذَا رَجُلٌ طُوَال))^(٦). من ذلك نلاحظ تناسب اللفظ ﴿عَجَابٌ﴾ مع سياق الآية، فقد جاء الله ﷻ به للإشعار بأن المشركين يرون ما جاء به النبي محمد ﷺ قد تجاوز الحدَّ في الغرابة، والعجب، وأنَّ ما يدعوههم إليه مخالفٌ لما ورثوه، وألفوه عن آبائهم، وأجدادهم من عبادة الأوثان، ومرد ذلك كله بسبب عنادهم، وجهلهم، وانطماس بصائرهم^(٦).

ونجد في سورتي (ق)، وهود ورود لفظ ﴿عَجِيبٌ﴾ بدلاً من ﴿عَجَابٌ﴾، فقال ﷻ في سورة

(١) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني ٢ / ٤٤٨، ومعاني الأبنية في العربية ٩٣.

(٢) المصدران أنفسهما.

(٣) معاني الأبنية في العربية ٩٣ - ٩٤، وينظر: العين ٣ / ٥٨ (ضحك)، والمحكم والمحيط الأعظم

٣ / ٣٢ (ضحك)، والمخصص ١ / ٢٢٦.

(٤) الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢٣ / ١٠٣.

(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لسيد طنطاوي ١٢ / ١٣٣.

(٦) ينظر: المصدر نفسه ١٢ / ١٣٣.

(ق): ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٢)، وفي سورة هود قال ﷺ: ﴿قَالَتْ يَوَئِلَتَىٰ آلدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٧٢).

فلو دخلنا في تفصيل مناسبة ورود لفظ ﴿عَجَابٌ﴾ في سورة (ص)، ولفظ ﴿عَجِيبٌ﴾ في سورتي (ق)، وهود نجد أنه في سورة (ق) تعجّب المشركون من مجيء منذرٍ منهم فجاءت بلفظ ﴿عَجِيبٌ﴾، وفي آية سورة هود كان الاستغراب والتعجب من المرأة التي ولدت، وهي عقيم، وعجوز، وزوجها شيخ كبير، والعقيم أصلاً لا تلد ولو كان رجلها فتى، ففيها من دواعي العجب ما هو أكثر من آية سورة (ق)؛ لذا دخل التوكيد بـ(إنّ واللام) تأكيداً للعجب، وبأنه ناتج عن مُثيرٍ أكثر، فجاءت جملة ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ مناسبة لسياقها.

أما في سورة (ص) وتحديداً في قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ (٤) فنجد المشركين عجبوا أن جاءهم منذر منهم أولاً، ثم عجبوا أن جعل الآلهة إلهاً واحداً، وهم مشركون عريقون في الشرك، فصارت دواعي العجب أكثر من سورة (ق) التي تعجّبوا فيها من أن جاءهم منذر منهم فقط، والعجب أكثر بعد وصفه بأنه ساحر وكذاب، لذا جاءت الآية اللاحقة بها صيغة المبالغة ﴿عُجَابٌ﴾ متصلة بلام التوكيد، فقال ﷺ: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾؛ لتناسب السياق الواردة فيه.

ب- (فَعَالٌ): وهي ((صيغة مبالغة في الفعل، وصيغ المبالغة لها حالتان، حالة إثبات وحالة نفي، فأنت حين تقول: (فُلَانٌ أَكَالٌ) أثبتت له صفة المبالغة في الأكل، أي: كثرة الأكل، ومن باب أولى صفة الأكل مطلقاً، وما دمت قد أثبتت له الصفة الأعلى تكون الصفة الأدنى ثابتة ... أما من ناحية النفي، فإذا قلت: إن فلاناً ليس أكالاً تنفي المبالغة، ولكنها لا تنفي أنه يأكل)) (١).

ومن أمثلة هذا الوزن في سورة (ص):

أ- (كَذَّابٌ) في قوله ﷺ: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ (٤)، فـ﴿كَذَّابٌ﴾ ((صيغة مبالغة من الثلاثي (كَذَبَ)، وزنه فَعَال بفتح الفاء، وتشديد العين

(المفتوحة))^(١)، ودَلَّت الصيغة على المبالغة؛ ((لأن المنسوب إلى الشيء لا بد له من أن يكثر من مزاوله الشيء، فإن من خاط يوماً لا يقال له: خياط، فالمبالغة هاهنا إما في الكثرة بأن يكون كثير الكذب، وإما في الشدة أي: شديد الكذب، يقول ما لا يقبله العقل))^(٢).

وتناسبت هذه الصيغة مع سياق الآية؛ إذ اتَّهم المشركون الرسول محمداً ﷺ زوراً وبهتاناً بالمبالغة في الكذب، وكان هذا الاتهام لعدة أسباب تخصُّ المشركين، منها:

- تكبرهم وغرورهم؛ إذ منعهم من تصديق ما جاء به الرسول محمد ﷺ، وفي ذلك يقول ﷺ:

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾.

- كان ظن المشركين أن يكون الرسول ملكاً من السماء^(٣)، ولما بُعث من بني جنسهم ((عدواً ذلك أمراً عجيبيّاً خارجاً عن احتمال الوقوع، وأنكروه أشد الإنكار؛ لأنهم اعتقدوا وقوعه، وتعجبوا منه، وأعجب العجب أن ينكروا أن يكون الرسول من البشر، ولا ينكروا أن يكون الإله المعبود لهم من الحجر))^(٤)، قال ﷺ: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ... ۝٤﴾.

- كان المشركون يعبدون عدة آلهة منذ زمن آبائهم، وأجدادهم، فلمّا دعاهم الرسول ﷺ لعبادة الله وحده أنكروا ذلك، وظنوا لقصور تفكيرهم أنّ الإله الواحد لا يستطيع أن يلبي جميع حاجاتهم^(٥)؛ ولذلك اتَّهموه بالكذب، يقول ﷺ: ﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾.

- ومن أسباب تكذيبهم الرسول ﷺ أنّ المشركين لم يسمعوا، بحسب زعمهم، بدين الإسلام في الملة الآخرة، أي: في ملة اليهود والنصارى^(٦)، يقول ﷺ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا آخِلَاقٌ ۝٧﴾.

(١) الجدول في إعراب القرآن الكريم ٢٤ / ٢٣٧.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٨ / ٢٦٤.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٤٨.

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث ٨ / ٤٧٧.

(٥) ينظر: بحر العلوم ٣ / ١٥١.

(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٢٢.

من ذلك يَتَبَيَّنُ لنا مناسبة استعمال صيغة المبالغة ﴿كَذَّابٌ﴾ لسياق الآية [٤] من سورة (ص)، وفي الوقت نفسه تُنْفِي الأدلَّة، والبراهين هذه التُّهْمَة التي ألصَّقتها المشركون في الرسول ﷺ؛ لأنه ((لم يُجَرَّبْ عليه الكذب قط حتى سُمِّي الصَّادِقَ الأمين، وكان صدقه أمرًا مسلمًا به للناس جميعًا، وما كان النبي ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله))^(١)، وقد ((حَكَّمَهُ أشراف قريش قبل ذلك في وضع الحجر الأسود، وارتضوا حكمه، منذ خمسة عشر عامًا))^(٢)، فهذه الدلائل كافية لدحض اتِّهام الرسول ﷺ بالكذب، والمبالغة فيه.

ب- ﴿الْفَقْرُ﴾ في قوله ﷺ: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَرُ ۖ﴾، فـ﴿الْفَقْرُ﴾ ((صيغة مبالغة من (عَفَرَ)، فإذا أُثْبِتَ المبالغة فالترتيب اللغوي بالتالي يُثْبِتُ الأقل وهو (غَافِرٌ))^(٣)، ويعني: ((غَافِرٌ لي، وَغَافِرٌ لك، وَغَافِرٌ لهذا وهذا ... غَافِرٌ لكلِّ الخلق، فتكرَّرت مغفرته ﷻ لِخَلْقِهِ))^(٤).

وجاءت صيغة المبالغة ﴿الْفَقْرُ﴾ مناسبة للموضوعات التي وردت في الآيات السابقة في السُّورة، فنجد الآية في قوله ﷺ: ﴿... فَاسْتَغْفِرْ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۖ﴾ تتحدث عن استغفار داود عليه السلام لرَّبه، ولأنَّ من صفات الله ﷻ غفران الذنوب لعباده، فقد غفر له، فقال: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ... ۖ﴾^(٥)، وفي الآية [٣٥] يدعو نبي الله سليمان عليه السلام ربه أن يغفر له في قوله ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي...﴾.

ومدح الله ﷻ عباده المستغفرين له، والثَّائِبِينَ إليه في عدَّة مواضع من السُّورة، فقال ﷻ: ﴿... وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۖ﴾^(٦)، وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۖ﴾^(٧)، وقال: ﴿... إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۖ﴾^(٨)، فالأَوَّابُ يعني: ((كثير الرجوع إلى الله ﷻ من ذنبه))^(٩).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٣ / ٦٨١.

(٢) في ظلال القرآن ٢ / ١٠٠٥.

(٣) تفسير الشعراوي، الخواطر ١٥ / ٩٣٥٠.

(٤) المصدر نفسه ١٥ / ٩٣٥١.

(٥) تاج العروس ٢ / ٣٥ (أَوَّاب).

وهكذا نجد أن استعمال صيغة المبالغة ﴿الْفَقْرُ﴾ جاءت مناسبة للسياق الواردة فيه؛ إذ ذكرت الآيات السابقة، كما رأينا، غفران الله ﷻ زَلَّاتْ عِبَادَهُ، وجاءت بعدها صيغة المبالغة ﴿الْفَقْرُ﴾ مبيِّنة صفة الله ﷻ التي سوَّغت ذلك الغفران.

المبحث الثالث

تناسب التركيب، والنظم

النَّظْم في اللغة هو التَّأْلِيف، قال ابن فارس: ((النون، والظاء، والميم أصل يدل على تأليف شيء))^(١)، ويُقال: ((نَظَمَهُ يَنْظُمُهُ نَظْمًا وَنِظَامًا، وَنَظَمَهُ فَانْتَظَمَ وَتَنَظَّمَ، وَنَظَمَ الْأَمْرَ عَلَى الْمَثَلِ بِذَلِكَ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَرْنَتْهُ بآخَرٍ، أَوْ ضَمَمْتَ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ فَقَدْ نَظَمْتَهُ))^(٢).

أما في الاصطلاح فقد عرّفه الشريف الجرجاني بأنه: ((تأليف الكلمات، والجمل مترتبة المعاني، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل: الألفاظ المترتبة المسوقة المعبّرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل))^(٣).

ويكون ترتيب الألفاظ والجمل بحسب ما جاء في علم النحو وأصوله، وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني: ((واعلم أن ليس النَّظْم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها؛ وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب، وفروقه))^(٤).

ولا يبلغ حسن التَّأْلِيف غايته إلا إذا تلاعت معاني المفردات بالمعاني التالية لها، وهذا يستوجب وضع المفردة، أو التركيب في الموضع المناسب، وهذا هو أصل النَّظْم^(٥)، ولا سيّما النَّظْم القرآني والذي يُقصدُ به: ((طريقة تأليف حروفه، وكلماته، وجمله، وسبكها مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض مع أخواتها في قالب محكم، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض التي يتكلم عنها للدلالة على المعاني بأوضح

(١) مقاييس اللغة ٥ / ٤٤٣ (نَظَمَ)، وينظر: لسان العرب ١٢ / ٥٧٨ (نَظَمَ).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ١٠ / ٣١ (نَظَمَ).

(٣) التعريفات ٣١٠.

(٤) دلائل الإعجاز ٨١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٨٩.

عبارة في أعذب سياق، وأجمل نظم))^(١)، ويقوم على الموسيقى المبيّنة لروح هذا النّظم، من خلال المفردات، والمعاني المرتبة ترتيباً يفوق أي نظم آخر من غير القرآن الكريم^(٢)، فالنّظم القرآني ((يتّحد في الوضع، ويَدُقُّ فيه الصنع))^(٣).

يقول الخطابي في بيان قوام النّظم: ((إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح، ولا أجزل، ولا أعذب من ألفاظه))^(٤)، لذا لا يستطيع العرب محاكاة نظم القرآن الكريم لعدة أسباب، منها:

- عدم قدرتهم على الإحاطة بجميع أسماء اللغة العربية، وألفاظها المكونة لظروف المعاني، والحاملة لها.

- جهلهم في استقصاء جميع المعاني التي تحملها تلك الألفاظ.

- عدم قدرتهم على إدراك جميع وجوه النظم التي تسهم في اتلاف الألفاظ والتراكيب، وارتباط بعضها ببعض^(٥).

وأكد الزمخشري أنّ نظم القرآن الكريم هو أحد أهم معجزاته، فقال: ((هو أم إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التحدي، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر))^(٦)؛ لأنه يبيّن معاني المفردات المكوّنة لهذا النّظم، ولا سيّما أن للتّناسب بين الآيات أثراً كبيراً في نظم التراكيب للجمل، والمفردات، ف((البحث عن التّناسب المعنوي بين الآيات، ومراعاة وحدة نسق السّورة يقودنا إلى بيان سرّ اختيار مفردات تراكيبها، وأبنيتها، وإلى أوجه التّناسب في اختيار كلّ عنصر من تلك العناصر، وفي وضعه في موضعه المقدّر له في السياق القريب، والبعيد

(١) مباحث في إعجاز القرآن ١٣٣، وينظر: فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ٥.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن البياني ٣٥١.

(٣) دلائل الإعجاز ٩٣.

(٤) بيان إعجاز القرآن ٢٧، وينظر: إعجاز القرآن، للباقلاني ١٥، والبرهان في علوم القرآن

٢ / ١٠٢.

(٥) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ١ / ١٤٢.

(٦) الكشف عن حقائق التنزيل ٣ / ٦٣.

داخل إطار السُّورة، وهيكلها المترابط الأجزاء، وذلك غاية ما يسعى إليه علم المناسبة^(١)، لذلك نجد أنَّ تراكيب سور القرآن تتجه لخدمة هدف السُّورة ومقاصدها، فضلاً عن أنَّ إظهار التَّناسب في الآيات، وما تحمله من صور فنيَّة يُخرج لنا العديد من اللطائف التناسبية الفريدة^(٢).

من ذلك ستكون دراسة تناسب التَّركيب والنَّظم على النحو الآتي:

أولاً: تناسب التَّركيب النُّحوي:

للتَّركيب النُّحوي عدَّة صور، منها: التَّقديم والتَّأخير، والإظهار والإضمار، والفصل والوصل، والذَّكر والحذف، وغيرها^(٣)، وسأركِّز على صورتين من هذا التَّركيب في هذا الجانب؛ لصلتهما بعلم المناسبة، هما:

- تناسب الحذف:

ويُقصد بالحذف: ((إسقاط جزء الكلام، أو كله لدليل، وهو خلاف الأصل، لذا فإنه إذا دار الأمر بين الحذف، وعدمه كان الحمل على عدمه أولى؛ لأن الأصل عدم التَّغيير، وإذا دار الأمر بين قلة المحذوف، وكثرته كان الحمل على قلَّته أولى))^(٤)، قال الجرجاني: ((الحذف إسقاط كلمة؛ للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى الكلام، والفائدة منه أنه تذهب فيه النفس كل مذهب))^(٥).

وهو فنٌّ جميلٌ من فنون القول، ومسلكٌ دقيقٌ في التعبير؛ من أجل تأدية المعاني بشكل أوضح، فالترك فيه أفصح من الذَّكر، والصَّمت عن الإفادة أزيد للإفادة^(٦)، ((وقد أشاد البيانون كثيراً بفنِّ الحذف، وأفصحوا عن ملامحه الجماليَّة، فقعدوا له القواعد، ووضعوا

(١) دلالات التَّرتيب والتَّركيب في سورة البقرة ٢٣٢، وينظر: التَّناسب البياني في القرآن ١٧٢، وسورة

النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١٨١.

(٢) ينظر: دلالات التَّرتيب والتَّركيب في سورة البقرة ٢٣٣.

(٣) ينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١٨٣.

(٤) الموسوعة القرآنية، للإبياري ٣ / ٨١.

(٥) درج الدرر في تفسير الآي والسور ٢ / ٣٥.

(٦) ينظر: دلالات الإعجاز ١٤٦، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢ / ٥.

الشروط، وأظهروا المزايا، وكان لظاهر الحذف في القرآن الكريم أكبر عون للبلاغيين على تعرف جهاته، ورصد حالاته، وكشف أسرارهِ))^(١).

- أنواع الحذف:

اختلفت تقسيمات الحذف عند العلماء النحويين، والبلاغيين^(٢)، وسأعتمد في الدراسة أحد هذه التقسيمات؛ لدقته وتفصيله على النحو الآتي:

١- حذف الحرف:

يحذف الحرف في التعبير القرآني في عدة مواضع، ويذكر في مواضع أخرى، أو يستبدل بالحركة للدلالة على الحرف المحذوف لـ((غرضٍ بلاغيٍّ تلحظ فيه غاية الفن والجمال))^(٣)، ومناسبة تزيد التعبير رونقًا وجمالًا.

ومن أمثلة هذا الحذف في سورة (ص):

حذف حرف الجر (من):

ورد هذا الحذف في قوله ﷻ: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ

﴿٤﴾؛ إذ حُذف حرف الجر (من) قبل المصدر المؤول بالصريح، وجاء هذا الحذف لسببين، هما:

- حذف جائز قياسي عند النحويين^(٤)؛ لكثرة استعماله.

- وجود مناسبة لفظية على حذفه، وهي استلزام الفعل: (عَجَبَ) لهذا الحرف، بدليل وجوده معه في قوله ﷻ: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ [النجم: ٥٩].

٢- حذف المفردة:

نلاحظ تعدد حذف المفردة في سورة (ص) على النحو الآتي:

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ٢ / ٥.

(٢) ينظر أقسام الحذف في: الخصائص ٢ / ٣٦٠ - ٣٦١، والمثل السائر ٢ / ٧٧ - ١٠٤،

ومعترك الأقران في إعجاز القرآن ١ / ٢٤١ - ٢٤٤، وخصائص التعبير القرآني وسماته

البلاغية ٢ / ٦٩ - ٧٤.

(٣) التعبير القرآني ٩٣.

(٤) ينظر: المفتاح في الصرف ١٠٠.

أ- حذف اسمين متتاليين:

ونجد مثل هذا الحذف في قوله ﷺ: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ (١٥)، فالفواق هو: ((الوقت بين الحلبتين، إذا فتحت يدك، وقبضتها، ثم أرسلتها عند الحلب)) (١)، فيكون الكلام على تقدير مضافين: (ما لها من توقّف مقدار فواق)، فحذف الاسمان (توقّف)، و(مقدار).

أما مناسبة حذف الاسمين فهو الاستعجال في دخول الكافرين نار جهنم، فكأنّ اختصار الآية جاء ليُسرع في دخول الكافر النَّار؛ إذ لا يترك له الفرصة أبداً بأن يكون في عداد المؤمنين الناجين من النَّار، فإذا مات ((استحال أن يكون في المؤمنين أبداً.. وكانت الصيحة عليه بالموت، هي المركب الذي يحمله إلى جهنم في غير مهل)) (٢)؛ لذلك نلاحظ أن سياق الآية يحمل جانب الاستعجال، والسرعة، فجاء الحذف؛ ليتناسب مع مقتضى هذا الحال.

ب- حذف المسند إليه:

حُذف المسند إليه (هم) في قوله ﷺ: ﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ (١١)، فالأصل: ((هم جند)) (٣)، ويحذف المسند إليه ((عند ما تتقدّم أخبار، أو أوصاف لصاحبها، ثم يراد الإخبار عنه بما هو إفصاح عن وصف جامع لما مضى، أو أهم في الغرض مما تقدمه)) (٤)، ومن ذلك: يُقال بعد ذكر الشخص: ((فتى يفعل ويفعل، وهو من الاستئناف البياني؛ إذ التقدير: إن أردت أن تعرفه فهو كذا)) (٥).

بهذا يتّضح مناسبة حذف المسند إليه (هم)؛ إذ سبقه الحديث عن صفات الجند وهم مشركو قريش (٦)، فالآيات الأولى من سورة (ص) بيّنت صفات المشركين، وطبيعتهم فقال ﷺ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشَفَاقٍ﴾ (٢)، وقال: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٨ / ١٠٠، وينظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن ٢ / ٧٠٧.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، للخطيب ١٢ / ١٠٥٩.

(٣) روح المعاني ١٢ / ١٦٢.

(٤) التحرير والتنوير ١٩ / ٦٠.

(٥) المصدر نفسه ٢٥ / ٢٨٣.

(٦) ينظر: تفسير مجاهد ٥٧٢.

كَذَّابٌ ﴿٤﴾، وقال: ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهِتِكُمْ...﴾ ﴿٦﴾، وقال: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾ ﴿٧﴾، وقال ﷺ: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا...﴾ ﴿٨﴾، فهذه الآيات بيّنت أوصاف المشركين وطبيعتهم؛ لذلك حُذف المسند إليه (هم) في الآية اللاحقة لتلك الآيات في قوله ﷺ: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ ﴿١١﴾؛ لمناسبة ما تقدم.

ت - حذف أحد معمولي (لات):

وهذا الحذف يوجد في قوله ﷺ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾ ﴿٢﴾، وقد اختلف في تقدير الحذف، فالمحذوف عند سيبويه اسم (لات)، والموجود ﴿حِينَ﴾ هو خبرها، أي: ليس الحين حين هرب^(١).

أما عند الأخفش فإنَّ (لات) ((لا تعمل شيئاً، وأنه إن وجد الاسم بعدها منصوباً فناصبه فعل مضمر، والتقدير: لات أرى حين مناص، وإن وجد مرفوعاً فهو مبتدأ، والخبر محذوف، والتقدير: لات حين مناص كائن لهم))^(٢)، أي: إنَّ المحذوف عنده هنا هو الخبر، و﴿حِينَ﴾: اسم لات، على اعتبار أنَّ لا نافية للجنس، والتاء ((زائدة كما في (ثَمَّتْ))^(٣)، والمعنى: لا حين مناظر (مخاصم) لهم.

وبصرف النظر عن الخلاف في موضع الحذف، فإن الحذف في الآية وقع لمناسبتين، هما:

- التَّخْفِيفُ^(٤)، فجملة (لات حين مناص) أكثر خَفَّةً في نطقها من جملة (لات حين مناص كائن لهم)، أو جملة: (لات الحينُ حين مناص).

- الإيجاز^(٥)، إذ تمَّ الحذف حتى يختصر الكلام باعتبار أنَّ السياق واضحٌ ويدل عليه، فسبق الجملة بيان صريح من الله ﷻ بأنه قد أهلك الأمم السابقة المكذبة جميعها، ولم ينجُ أحدٌ منهم حين قال: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾، فالعدالة الإلهية تقتضي بأن لا مناص من هلاك

(١) ينظر: الكتاب ١ / ٥٧ - ٦٠.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١ / ٣٢١.

(٣) القاموس المحيط ١٦٠ (فصل الميم).

(٤) ينظر: شرح أبيات سيبويه ٢ / ٣٤٣.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ١ / ٦٨.

جميع المُكذِّبين؛ لذلك لا حاجة من ذكر المحذوف طالما السياق يدل عليه.

ث - حذف الحال:

الأصل في الحال أنه يجوز ذكرها وحذفها؛ لأنها فضلة^(١)، وإن حذفت فإنما تحذف لقريظة^(٢)، فتحذف ((إذا كان قولاً أغنى عنه المقول نحو: ﴿... وَالْمَلَكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ...﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤]، أي: قائلين ذلك، ومثله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا...﴾ [البقرة: ١٢٧])^(٣)، أي: يرفعان القواعد قائلين: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا...﴾^(٤).

ونجد في سورة (ص) هذا النوع من الحذف في قوله ﷺ: ﴿وَأَنطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهِتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾^(٥)، فحذفت الحال: (قائلين)، فالأصل: (انطلق الملاء منهم قائلين: ﴿أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهِتِكُمْ﴾)، ومناسبة هذا الحذف أن الحال مفهومة من الكلام، ودلَّ عليها المقول، قال عباس حسن: ((يجوز حذف الحال إذا دلَّ عليها دليل، وأكثر حذفها حين يكون لفظها مشتقاً من مادة القول، ويكون الدليل عليها بعد الحذف هو: المقول))^(٦).

ج - حذف المفعول به:

هناك عدة أنواع لحذف المفعول به، ولكنها في جميع الأحوال لا تخرج عن نوعين: ((أحدهما: أن يحذف لفظاً، ويراد معنى وتقديرًا، والثاني: أن يجعل بعد الحذف نسيًا منسيًا، كأن فعله من جنس الأفعال غير المتعدية كما ينسى الفاعل عند بناء الفعل به))^(٦).

وفي سورة (ص) نجد مثل هذا الحذف في قوله ﷺ: ﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۖ﴾؛ إذ حُذف مفعول صيغة المبالغة ﴿الْوَهَّابِ﴾، والتقدير: ((الْوَهَّابِ النُّبُوَّةَ وَالْإِسْلَامَ

(١) ينظر: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف ١٠٥.

(٢) ينظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٤ / ٥٩.

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعراب ٨٣٠.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣ / ٦٥.

(٥) النحو الوافي ٢ / ٤٠٨.

(٦) المفصل في صناعة الإعراب ٧٩.

لِمُحَمَّدٍ))^(١).

أما مناسبة الحذف فهو رعاية الفاصلة^(٢)، فمعظم فواصل سورة (ص) منتهيه بالألف والباء، فلو لم يحذف المفعول به هنا، وانتهت بكلمات مفعول صيغة المبالغة لاختل النظام الصوتي للفواصل القرآنية في السورة.

يقول الرازي في ضبط حذف المفعول به: ((والضابط: أنه متى كانت العناية متوفرة على مجرد إثبات الفعل لا على أن يعلم المفعول، فالأولى أن يحذف المفعول))^(٣)، فالعناية في المثال على صيغة المبالغة: ﴿الْوَهَّابِ﴾، ولا سيما أن سياق الحديث في الآية جاء ردًا على استغراب المشركين من أن تنزل النبوة على رجل من بينهم حين قالوا: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا...﴾^(٤)، أي: ((أنزل على محمد الذكر من بيننا، فخص به، وليس بأشرف منا حسبًا))^(٥)، وهذا الاستغراب بسبب حسدهم الرسول ﷺ^(٦)، فردت عليهم الآية [٩] بأن النبوة النبوة ((بيد الله العزيز في ملكه الوهَّاب لمن يشاء)) في قوله ﷺ: ﴿الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾، لذا ذكرت صيغة المبالغة العاملة عمل الفعل ﴿الْوَهَّابِ﴾، وحذف المفعول به؛ لدلالة ما قبله عليه.

ح- حذف ياء المتكلم:

وحذفت ياء المتكلم في قوله ﷺ: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾^(٧)، وقوله: ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾^(٨)، فالأصل إثبات الياء، أي: يُقال: (عَذَابِي)، و(عِقَابِي)، أما مناسبة حذفها فهي مجيئها ((رأس آية، والكسرة دالة عليها))^(٩)، قال أبو عبدالله الأصبهاني إن مناسبة ذلك هو: ((إن سورة (ص) مبنية فواصلها

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ٤٣.

(٢) ينظر الإتيان في علوم القرآن ٣ / ٣٤٥، وروح المعاني ١٥ / ٣١٧.

(٣) نهاية الإيجاز ٢٤٠، وينظر: المناسبة في القرآن ٣٠٧.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٥٥.

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٢٢.

(٦) إعراب القرآن، للنحاس ٣ / ٤٥٦.

فواصلها على أن تردف أواخرها بالألف))^(١)، فكانت الآيتان من الآيات مختومة الفاصلة بوصف فرعون بذى الأوتاد^(٢)، وتعد هذه الياء من ((الياءات المحذوفات من كتاب الله ﷻ اكتفاء بالكسرة منها على غير معنى نداء))^(٣).

٣- حذف الجملة:

تحذف الجملة في الكلام إذا كان هناك ما يدل عليها^(٤)، ومن أمثلة ذلك في سورة (ص) قوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾^(٥)، فنلاحظ أنه لا يمكن أن نفهم علاقة هذه الآية بما قبلها إلا عن طريق جملة محذوفة تقديرها: (ولما سمعوا تهديد الرسول ﷺ بالصيحة التي ما لها من فوق، وتأخيرها، قالوا: ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا﴾، أو تقدير المحذوف: (ما موقف المشركين لما سمعوا تهديد الرسول ﷺ بالصيحة وتأخيرها؟ فالإجابة: قالوا: ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا﴾ من العذاب).

من ذلك نجد أن مناسبة حذف الجملة دلالة السياق عليها، ومن الأمثلة الأخرى لحذف الجملة في سورة (ص):

أ- حذف جملة جواب القسم:

يحذف جواب القسم ((إذا تقدّم عليه، أو اكتنّفه ما يغني عن الجواب))^(٦)، كما في قوله ﷻ: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾^(٧)، وتقدير المحذوف: (لأعذبّهم على كفرهم)^(٨)، أما مناسبة الحذف فهو:

- العلم به:

فالآيات اللاحقة للقسم في السورة بيّنت أفعال المشركين التي تستوجب أن يكون في

(١) درة التنزيل وغرة التأويل ١ / ١١٠٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ١ / ١١٠٢.

(٣) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ٣٨.

(٤) ينظر: شرح المفصل ١ / ٢٣٤.

(٥) مغني اللبيب عن كتب الأعراب ٨٤٦.

(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣ / ٤٤ - ٤٥.

جواب القسم المحذوف بيان لعقابهم، وتعذيبهم في الدنيا والآخرة، وقد بيّنتُ سابقاً تلك الأفعال الموجبة لعقاب المشركين.

- تجنّب طول الكلام:

إذ اكتنف السّورة ما يغني عن ذكر الجواب، وذكره سيؤدي لإطالة غير ضرورية في الكلام، وسيخل بالنظام الصّوتي للفواصل القرآنية^(١).

ب- حذف متعلق الوصف:

نجد مثل هذا الحذف في سورة (ص) في قوله ﷻ: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾^(٢)، والتقدير: ((هذا ساحر فيما يظهره مما لا نستطيع له مثلاً، كذاب فيما يسنده إلى الله ﷻ من الإرسال، والإنزال))^(٣).

أما مناسبة الحذف فلأن السياق دلّ عليه، فتظهر الآيات السابقة مدى حقد المشركين على الرسول محمد ﷺ، فهم في عِزَّة، واستكبار عن قبول دعوته، فقال ﷻ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾^(٤)، وتعجّبوا، على سبيل السّخرية والاستهزاء، من أن يُبعث رسولٌ من بينهم، وذلك كما أوضحه قوله ﷻ: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾؛ ولذلك حُذفت جملة متعلق الوصف للفظي: ﴿سِحْرٌ﴾، و﴿كَذَّابٌ﴾.

- تناسب التوكيد:

يأتي التوكيد بصورٍ مختلفةٍ، وذلك بحسب ما يقتضيه معنى السياق، وهو أسلوب يفيد تمكين المؤكّد في نفس المتلقي، قال الزمخشري: ((وجدوى التأكيد أنك إذا كرّرت فقد قرّرت المؤكّد، وما علق به في نفس السامع، ومكّنته في قلبه، وأمّطت شبهة ربما خالجت، أو توهمّت غفلة، أو ذهباً عما أنت بصدده فأزلته))^(٥)، وقال العلوي: ((اعلم أنّ التأكيد تمكين الشيء في النفس، وتقوية أمره))^(٦).

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣ / ٤٤ - ٤٥.

(٢) روح المعاني ١٢ / ١٥٩.

(٣) المفصل في صناعة الإعراب ١٤٦.

(٤) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ٢ / ٩٤، وينظر: دراسة المتشابه اللفظي ٢٥٥.

وفي سورة (ص) تتوَّعت صور التَّوكِيد بتتوَّع المعاني الدَّالة على انسجام النص القرآني، وتتاسق، وترابط بعضه ببعض، فمن تلك الصور:

١ - التَّوكِيد بِ﴿إِنَّ﴾:

الأصل في المعنى الذي تفيدُه ﴿إِنَّ﴾ الإثبات، والتَّكْيِيد^(١)؛ إذ تُؤكِّد مضمون الجملة، فضلاً عن أنها تُؤكِّد النسبة بين الجزأين، وتتفي الشك عنهما، وفي ذلك يقول خالد الأزهرى: ((وهما، أي (إِنَّ، وَأَنَّ) لتوكيد النسبة بين الجزأين، ونفي الشكَّ عنها، ونفي الإنكار لها بحسب العلم بالنسبة، والتردُّد فيها، والإنكار لها، فإن كان المخاطب عالماً بالنسبة فهما لمجرد توكيد النسبة، وإذا كان متردِّداً فيها فهما لنفي الشكَّ عنها، وإن كان مُنكِّراً لها فهما لنفي الإنكار لها، فالتَّوكِيد لنفي الشكَّ عنها مستحسن، ولنفي الإنكار واجب، ولغيرها لا، ولا))^(٢)، ولها عدة معانٍ فرعية، مثل: (التَّعْلِيل)، و(الرَّيْط بين الجمل)، و(أن تكون بمعنى: نعم)^(٣). وما لحظته في سورة (ص) تكرار التَّوكِيد بِ﴿إِنَّ، وَأَنَّ﴾ في ثلاثين موضعاً، وسأعرض شيئاً من ذلك على النحو الآتي:

أ- من تناسب التَّوكِيد بِ﴿إِنَّ﴾ قوله ﷻ: ﴿... إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۖ﴾، فنجد أنه لما تعجَّب المشركون في قوله ﷻ: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ۖ﴾ من مجيء ((منذر ينذرهم بأس الله على كفرهم به من أنفسهم، ولم يأتهم ملك من السماء))^(٤)، جاءت هذه الآية لتخبرنا عن حال المشركين، وهو إنكارهم لدعوة التوحيد فقالوا: ﴿أَجْعَلِ لِلَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا...﴾^(٥)، فالهمزة في كلمة ﴿أَجْعَلْ﴾ حرف استفهام يفيد الإنكار^(٥)، ولا شك أن هذا الإنكار يحمل في طياته الاستغراب من دعوة التوحيد؛ إذ كيف يجعل ((مئة شاهدٍ شاهداً

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ٢٣٠.

(٢) شرح التصريح على التوضيح ١ / ٢٩٤، وينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١١٥.

(٣) ينظر: معاني الحروف ١٢٨ - ١٣٣، ومعاني النحو ١ / ٤٦٢.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١ / ١٤٨.

(٥) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٢ / ٢٣٣.

واحدًا))^(١)، وأكّدت الآية هذا الاستغراب بـ﴿إِنَّ﴾، ولا سيما أن الجرس اللفظي فيها يحمل التشديد، والثقل بما يناسب خبرها عن تعجب المشركين، يقول ابن عاشور: ((فلا جرم أن أعقب إنكار إحالتهم ذلك بإقامة الدليل على ثبوته، والخطاب للمشركين، ولذلك أكد الخبر بحروف التوكيد))^(٢).

ب- من تناسب التوكيد بـ﴿إِنَّ﴾ قوله ﷺ: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(١٧)، وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٣٠)، وقوله: ﴿وَحُذِّبِكَ ضِعْفًا فَاصْرَبْ بِهِ وَلَا تَحْتِثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٤٤)، فجيء في الآيات الثلاث بـ﴿إِنَّ﴾، متصلة بضمير الشأن (الهاء)؛ لتأكيد الخبر، وزيادة تقرير طاعة أنبياء الله: (داود، وسليمان، وإيوب) عليهم السلام لربهم.

٢- التوكيد بـ﴿إِنَّ﴾، و(اللام):

ومن صور التوكيد دخول (اللام) في خبر ﴿إِنَّ﴾، فاللام تؤكد الخبر تمامًا كما تؤكد ﴿إِنَّ﴾ الجملة، مثل قولك: (إِنَّ محمدًا جالسٌ)، و(إِنَّ محمدًا لجالسٌ)، فحين دخلت اللام على الخبر (جالس) أكّدت الجلوس، فضلًا عن تأكيد الجملة بـ﴿إِنَّ﴾، فيجوز دخول اللام على خبرها؛ لأنَّ (إِنَّ) تدخل على الجملة الاسمية لتأكيد المبتدأ، والخبر من دون تغيير المعنى، بخلاف الأحرف الباقية، مثل: (كَأَنَّ)، و(لَيْتَ)، و(لَعَلَّ)، و(لَكِنَّ)، التي تحدث التغيير في المعنى على المبتدأ والخبر حين تدخل عليهما، فكأنَّ دخول اللام على خبر (إِنَّ)؛ لغرض الزيادة في التأكيد، فإن لم يؤت بها كان التأكيد كافيًا، إلا أنَّ لكل سياقٍ ما يناسبه من درجات التوكيد^(٣).

ومن أمثلة تناسب التوكيد بـ﴿إِنَّ﴾ و(اللام) في سورة (ص):

أ- قوله ﷺ في الآيتين [٢٥، ٤٠] ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾؛ إذ أكّدت الآيتان باستعمال

(١) معاني القرآن، للأخفش ٢ / ٤٩٣.

(٢) التحرير والتنوير ١١ / ٨٧.

(٣) ينظر: اللامات، للزجاجي ٧٢ - ٧٦.

حرف التوكيد ﴿إِنَّ﴾ على حسن المرجع، والمآل يوم القيامة لداود وسليمان عليهما السلام^(١)، ومجيء (اللام) في خبر (إِنَّ) زاد هذا التوكيد.

ب- قوله ﷺ: ﴿وَأَنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾^(٤٧)؛ إذ أكدت الآية بأن أنبياء الله المذكورين في قوله ﷺ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾^(٤٨)، هم ((أهل الصفوة اصطفاهم الله ﷻ، واختارهم لنفسه، ولرسالته))^(٢)، وزاد تأكيد هذا التقرير وجود اللام في خبر (إِنَّ)؛ ما أدى إلى تمكين المعنى وتقويته.

ت- أكد الله ﷻ الأخبار بـ ﴿إِنَّ﴾، و(اللام) الواقعة في خبرها في عدة مواضع أخرى من سورة (ص)، منها قوله ﷺ: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا...﴾^(٥٤)، وقوله: ﴿وَأَنَّكَ لِلطَّغْيِينِ لَشَرٌّ مَّأَبٍ﴾^(٥٥)، وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاضُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾^(٦٤).

٣- التوكيد بـ(اللام) الواقعة في جواب القسم:

يعدُّ القسم نوعاً من أنواع التأكيد، فهو حثٌّ على تصديق المتكلم، قال سيبويه: ((اعلم أنَّ القَسَمَ توكيدٌ لكلامك))^(٣)، ولا تتم فائدته إلا بجواب القسم، الذي يسمى (المقسم عليه)^(٤)، ويأتي جواب القسم جملةً اسميةً، أو جملةً فعليةً، فالجملة الاسمية يجاب بها في الإثبات باللام المفتوحة، أو (إِنَّ) و(اللام)، أو (إِنَّ) وحدها، كقولك: (والله لَزَيْدٌ فِي الدَّارِ)، و(والله إِنَّ زَيْدًا لَفِي الدَّارِ)، و(والله إِنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ)^(٥).

وإذا جاء جواب القسم جملة فعلية متصدرةً بفعل مضارع مثبت، ويدل على الاستقبال فإنه يلزم اللام، أو اللام ونون التوكيد الثقيلة، أو الخفيفة إن لم يفصل بينهما، وبين اللام بفواصل، فإذا فُصِلَ امْتَنَعَتِ النون، كقوله ﷺ في سورة آل عمران: ﴿وَلَكِنَّ مَثُماً أَوْ قَتْلُماً لِّأَلَى اللَّهِ

(١) ينظر: فتح القدير ٣ / ٩٨.

(٢) تفسير الماتريدي ٨ / ٦٣٧.

(٣) الكتاب ٣ / ١٠٤.

(٤) ينظر: اللامات، للزجاجي ٨٥.

(٥) ينظر: الأصول في النحو ١ / ١٣٥، ومعاني النحو ٤ / ١٥٠.

تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾^(١)، قال ابن جني: ((والحروف التي يُجاب بها القسم أربعة وهي: (إِنَّ واللام)، وكلاهما للإيجاب، و(ما ولا) وكلاهما للنفي، تقول: (وَاللَّهِ إِنَّكَ قَائِمٌ)، و(وَاللَّهِ لَنَقُومَنَّ)، و(وَاللَّهِ لَقَدْ قَامَ)، و(وَاللَّهِ لَزِيدٌ أَفْضَلُ مِنْ عَمْرُو)، وتقول: (وَاللَّهِ مَا قَامَ)، و(وَاللَّهِ لَا يَقُومُ)، وربما حُذفت (لا) وهي مرادة))^(٢).

وإذا كانت الجملة في جواب القسم مبتدئة بفعل ماضٍ متصرفٍ، فالأولى أن يجمع بين (اللام)، و(قَدْ) كما في قوله ﷺ في سورة يوسف: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾^(٣).

أما إذا كان غير متصرفٍ، كـ(نَعَمْ)، و(بِئْسَ) فالإجابة تكون باللام وحدها، كقولك: (وَاللَّهِ لَنَعَمْ الطَّالِبُ أَنْتَ)، وفي حالة النفي فيجيب القسم بـ: (ما)، أو (لا)، أو (إِنَّ) في الجمل الاسمية، أو الفعلية، كقوله ﷺ في سورة التوبة: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا...﴾^(٤)، وقوله ﷺ في سورة النحل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ...﴾^(٥).^(٦) وقد يأتي القسم ظاهراً أو مضمراً، ففي الظاهر يُصرَّح بالمقسم به^(٧)، ومن أمثلة ذلك في سورة (ص):

أ- قوله ﷺ: ﴿قَالَ فِعْرَنُكَ لَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٨)، أي: يقول إبليس: ((أقسم بعزتك لأغويَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، أي: ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم))^(٩)، ومناسبة وروده ظاهراً؛ لأنَّ القسم وسيلة لتأكيد الكلام، كما أسلفت، ولا سيما إذا أريد به أمر من الأمور، والإصرار عليه، ويعد القسم بالله هو الأصل الذي يُقسم به حتى وإن كان صادراً من كافر كما هو الحال عند إبليس في هذه الآية، فورود القسم ظاهراً هنا، وتأكيد إبليس قسمه بغواية بني آدم باللام الواردة في جملة

(١) ينظر: الكتاب ٣ / ١٠٤، والمقتضب ٢ / ٣٣٤، وشرح المفصل ٥ / ١٤٠، وشرح كافية ابن

الحاجب، للرضي ٤ / ٣٠٨، ومعاني النحو ٤ / ١٥٠.

(٢) اللع في العربية ١٨٦.

(٣) ينظر: معاني النحو ٤ / ١٥١ - ١٥٢.

(٤) ينظر: أساليب القسم في اللغة العربية ٣٦١.

(٥) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ٧ / ٢٣٨.

جواب القسم يتناسب مع حقد إبليس وحسده على آدم عليه السلام ((على ما أعطاه الله من الكرامة))^(١).

ب- قوله ﷺ: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ۖ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، فأصل القسم هنا: ((أقسم بالحق لأملأن، وأقول الحق))^(٢)، فنلاحظ أن الله ﷻ أقسم بقسم ظاهر، وواضح بإدخال إبليس نار جهنم، وأكد قسمه ب(اللام) الواقعة في جواب القسم، ومناسبة القسم وتأكيده في هذه الآية هو غضب الله ﷻ من إبليس على تكبره، ورفضه الإذعان لأوامره ﷻ، وقد بينت الآيات عصيان إبليس ربه في قوله ﷻ: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۖ﴾، وقوله: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۖ﴾، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۖ﴾، فتناسب قسم الله ﷻ بتوعد إبليس بالدخول في نار جهنم، وتأکید القسم باللام مع فعله؛ إذ الجزاء من جنس العمل.

وإذا كان القسم مضمرًا، أي: لا يوجد به مقسم به^(٣)، فيكتفى بجملة الجواب عنه، فيكون الجواب دليلًا على القسم، ويأتي على عدة أنواع، منها^(٤):

- إذا دلت عليه اللام، والنون:

حينما سُئِلَ سيبويه عن (لَنَفْعَلَنَّ)، قال: ((إذا جاءت مبتدأة ليس قبلها ما يحلف به؟ فقال: إنما جاءت على نية اليمين، وإن لم يتكلم بالمحلف به))^(٥).

ومن أمثلة ذلك في سورة (ص) قوله ﷻ: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾، فجاء الختام متناسبًا، مع موضوعات السورة ((والقضايا التي تعالجها: وهو الإيقاع المدي العميق، الموحى بضخامة ما سيكون))^(٦)، فلما كان المشركون يمعنون في تكذيب الرسول ﷺ وما جاء به، وإنكار البعث بعد ما رأوا الآيات الباهرة، والمعجزات القاهرة، جاءت هذه الآية تؤكد وقوع

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٧ / ٢٣٣٦.

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعراب ٥١٠.

(٣) ينظر: أساليب القسم في اللغة العربية ٣٧١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ٣٧١.

(٥) الكتاب ٣ / ١٠٦.

(٦) في ظلال القرآن ٥ / ٣٠٢٩.

البعث، وأكّدت ذلك باللام، والنون الثقيلة في لفظ ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾ ، تناسباً مع عظم تكذيبهم بيوم القيامة، واستُغني عن القسم الظاهر لدلالة اللام والنون عليه.

– إذا دلّت عليه (اللام) و(قَدْ):

من ذلك قوله ﷺ في سورة (ص): ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾؛ إذ تصدرت الآية بـ(لام القسم)، و(قَدْ) الدالة على التأكيد^(١)، فأكدت الآية على الفتنّة التي تعرض لها نبي الله سليمان عليه السلام، والتي اختلف العلماء في طبيعتها^(٢)، أما مناسبة حذف القسم فهو دلالة (اللام) و(قد) عليه.

٤ – التّوكيد بـ(الحال – الحال المؤكّدة):

من ضروب التّوكيد: التّوكيد بالحال، أو تسمى الحال المؤكّدة، وهي: ((ما استُفيد معناها من غيرها بدون ذكرها، بأن يكون ما قبلها دالاً عليها بالوضع، وإنّما أفادت مجرد التّوكيد))^(٣)، كقوله ﷺ في سورة (ص): ﴿... فَفَعَوْا لَهُ سَجِدِينَ﴾^(٧٢)، فـ﴿سَجِدِينَ﴾ حال جاءت لتؤكد الفعل (فَعَع)، أي: أكّدت عاملها^(٤).

٥ – التّوكيد اللفظي:

وهو: ((إعادة اللفظ الأول، أو مرادفه))^(٥)، والمراد بـ(مرادفه) هو: تقويته بما شاركه في في المعنى، مثل: (جَاءَ قَدِيمٌ زَيْدٌ)^(٦)، (فَجَاءَ)، و(قَدِيمٌ) مترادفان يفيدان الحضور. والتّوكيد اللفظي ((أوسع استعمالاً من التّوكيد المعنوي؛ لأنّه يكون في الأسماء النكرات، والمعارف، ويكون في الأفعال، والحروف، والجمل، بخلاف التّوكيد المعنوي فإنّه يكون في الأسماء المعارف فقط))^(٧)، نحو: (زَهَبَ مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ)، (إِنَّ زَيْدًا إِنَّ زَيْدًا مُتَّفَقٌ)، (إِلَى إِلَى

(١) ينظر: جامع الدروس العربية ٣ / ٢٦٤.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٤٢١.

(٣) شرح الحدود النحوية ١١١، وينظر: المفصل في صنعة الإعراب ١ / ٩٢.

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢ / ٢٧٦.

(٥) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٥ / ٢٠٦.

(٦) ينظر: معاني النحو ٤ / ١٢٩.

(٧) المصدر نفسه ٤ / ١٣٠، وينظر: شرح المفصل ٢ / ٢٢٢.

الْحَجَّ ذَاهِبَ)، فكل من: (مَحَمَّدَ)، و(إِنَّ زَيْدًا)، و(إِلَى) توكيد لفظي؛ لتكراره في الكلام. قد يَتِمُّ الفصل بين التَّكرار إذا كان المكرَّر مستقلًّا، أي: (يجوز الابتداء به مع الوقف عليه)^(١)، ومثاله في سورة (ص):

قوله ﷻ: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ (٢٨)، فتكرار الحرف والفعل ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ﴾ أفاد التَّوكيد على الرغم من فصله بجملة ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾، ومناسبة التَّوكيد هو بيان استحالة التَّسوية بين المصلحين، والمفسدين، وبين المتقين، والفجار، قال السيوطي: (((أَمْ) لم يتقدمها استفهام، وقد استؤنف بأم السؤال على جهة الإنكار، والرد ولا يمكن أن يكون مابعدا موجبا، فليس مثل ما قبلها (و)))^(٢).

٦ - التَّوكيد المعنوي:

ويأتي على ضربين:

أحدهما: الذي يكون القصد منه رفع التَّوهم عن السَّامع بأنَّ المتكلم حذف مضافا، واستبدله بالمضاف إليه، نحو: (قَتَلَ الْعَدُوَّ زَيْدٌ نَفْسُهُ)، فحين ذكر نفسه علم السامع أن (زيدا) هو من قام بقتل العدو بيده، ولولا ذلك لأمكن اعتقاد أنه أمر بذلك، ولم يمارس الفعل. الثاني: أن يقصد به رفع توهّم السامع من أن يكون المتكلم قد وضع العام مكان الخاص، نحو قولك: (جَاءَ الطُّلَابُ جَمِيعُهُمْ)، لم يرد أن يخص بالمجيء بعضا دون بعض، ولولا ذكر (جميعهم) لأمكن اعتقاد غير ذلك^(٣)، قال ابن يعيش في بيان فائدته: ((والتَّوكيد المعنوي إنّما هو لتمكين معنى الاسم، وتقرير حقيقته، وتمكين ما لم يثبت في النفس محال))^(٤).

ويتم التَّوكيد المعنوي بواسطة تسعة أسماء هي: ((نفسه، وعينه، وكله، وأجمع،

(١) ينظر: شرح كافية ابن الحاجب، للرضي ٢ / ٣٨٠.

(٢) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ٥ / ٢٤٣.

(٣) ينظر: شرح تسهيل الفوائد ٣ / ٢٨٩.

(٤) شرح المفصل ٢ / ٢٢٧.

وأجمعون، وجمعاء، وجمع، وكلا، وكلتا^(١)، و(كل)، و(أجمع) يشتركان في العموم، والشُّمول^(٢) إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَهُمَا وَهُوَ: ((أَنَّ (أَجْمَعَ) مِنْ لَفْظِ الْجَمَاعَةِ، وَالْمَجْمُوعِ وَالْاجْتِمَاعِ، وَ(كُلٌّ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ حَتَّى تَسْتَغْرِقَ جَمِيعَ الْأَفْرَادِ، فَقَوْلُكَ: (رَضُوا بِذَلِكَ أَجْمَعُونَ) يَفِيدُ أَنَّ مَجْمُوعَهُمْ رَضِيَ بِذَلِكَ، وَأَمَّا قَوْلُكَ: (رَضُوا بِذَلِكَ كُلُّهُمْ) فَيَفِيدُ أَنَّ أَفْرَادَهُمْ رَضُوا بِذَلِكَ ... فَ(أَجْمَعَ) تُشِيرُ إِلَى الْعُمُومِ ابْتِدَاءً، وَ(كُلٌّ) تُشِيرُ إِلَى الْأَفْرَادِ حَتَّى تَسْتَغْرِقَهُمْ، وَ(كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) لِلْجَمْعِ بَيْنَ الْمَعْنِيِّينَ، فَتَكُونُ زِيَادَةً فِي التَّوَكِيدِ^(٣)، وَفِي الْجَمْعِ بَيْنَ (كُلٍّ)، وَ(أَجْمَعَ)، قَالَ الْوَرَاكُ: ((أَنَّ (أَجْمَعِينَ) يَفِيدُ مَا لَا يَفِيدُهُ (كُلُّهُمْ)، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ: (جَاءَنِي الْقَوْمُ كُلُّهُمْ)، يَفِيدُ مَجِئَهُمْ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ بَعْضُهُمْ، وَ(أَجْمَعُونَ) يَفِيدُ مَا أَفَادَ (كُلُّهُمْ)، وَيَزِيدُ اجْتِمَاعَهُمْ فِي حَالِ الْمَجِيءِ، فَلَمَّا اخْتَلَفَ مَعْنَى التَّوَكِيدَيْنِ، جَازَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا^(٤)).

وَمِنْ تَنَاسُبِ التَّوَكِيدِ ب: (كُلٌّ)، وَ(أَجْمَعَ) فِي سُورَةِ (ص) قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾^(٧٢)، فَجَاءَتْ كَلِمَةُ ﴿كُلُّهُمْ﴾ مُتَضَمِّنَةً مَعَانِيهَا كَافَّةَ الْمَشَارِ إِلَيْهَا، لَتَنَاسُبَ تَأْكِيدَ سَجُودِ الْمَلَائِكَةِ فَرْدًا فَرْدًا لِنَبِيِّ اللَّهِ آدَمَ ﷺ، وَزَادَ مِنْ تَأْكِيدِ خَبَرِ السَّجُودِ هُوَ مَجِيءُ ﴿أَجْمَعُونَ﴾ بَعْدَهَا، فَلَوْ لَمْ تَسْتَأْنِفِ الْآيَةُ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٧٤) الَّتِي اسْتَنْتَتْ إِبْلِيسَ مِنَ السَّجُودِ لَكَانَ ظَاهِرُ الْآيَةِ اتِّفَاقَ جَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى السَّجُودِ لِآدَمَ ﷺ دُونَ اسْتِثْنَاءٍ، وَلَكِنْ الِاسْتِثْنَاءُ أزالَ اللَّبْسَ، وَمَا زَادَ تَأْكِيدَ اسْتِثْنَاءِ إِبْلِيسَ مِنَ السَّجُودِ هُوَ مَجِيءُ ﴿أَجْمَعُونَ﴾ بَعْدَ ﴿كُلُّهُمْ﴾ فَلَوْ اكْتَفَتْ الْآيَةُ بِالتَّأْكِيدِ بـ ﴿كُلُّهُمْ﴾ لَشَمِلَ السَّجُودَ الْمَلَائِكَةَ فَرْدًا فَرْدًا دُونَ اسْتِثْنَاءٍ، وَلَكِنْ رَدَّفَهَا بـ ﴿أَجْمَعُونَ﴾ فَتَحَ الْمَجَالَ لِلِاسْتِثْنَاءِ؛ لِأَنَّهَا تَتَكَلَّمُ عَنِ الْعُمُومِ.

ثَانِيًا: تَنَاسُبُ التَّثْمِيمِ، وَالْبَيَانِ:

(١) (اللمع في العربية ٨٤، وينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٣ / ٢٠٦ - ٢٠٩، وجامع

الدروس العربية ٣ / ٢٣٢.

(٢) ينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبات ١٢٨.

(٣) معاني النحو ٤ / ١٢٦.

(٤) علل النحو ٢٥٩.

يعد التّتميم أحد أساليب البلاغة الجميلة في تناسب النّص القرآني، فنجد بعض الآيات تُتمّ ما قبلها، فينزاح عنها اللبس، والغموض^(١)، وتشكّل الآيات القرآنية نصًّا متماسكًا ومتلاحمًا بين أجزائه، وحقّقت فيه المناسبة أثرًا مهمًّا من خلال ربط المعاني السابقة باللاحقة؛ لتؤدي مهمة التّتميم في ((تحقيق التماسك الدلالي من خلال شمولية المعنى، والإحاطة به من كل جانب، وهنا تبرز العلاقة بينه، وبين علم المناسبة كونه أحد القرائن المعنوية التي تؤنّ بالربط واتّصال الكلام بوجه من وجوه المناسبة بين المتناسبين))^(٢).

والتّتميم لغة:

ما دلّ على التّمام، والكمال، قال ابن فارس: ((التاء، والميم أصلٌ واحد منقاس، وهو دليل الكمال، يقال: (تمّ الشيء) إذا كَمَلَ، و(أَتَمَمْتُهُ أَنَا))^(٣).

وفي الاصطلاح:

هو: ((تقييد الكلام بفضيلةٍ لقصد المبالغة، أو للصّيانة عن احتمال الخطأ، أو لتقديم الوزن))^(٤)، ويختلّ المعنى في حال طُرحت تلك الفضلة^(٥)، فغاية التّتميم قائمة على جودة الكلام، وحسن اختيار المعاني المناسبة^(٦)، قال أبو هلال العسكري: ((وهو أن توفّي المعنى حظه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصّحّة، ثم لا تغادر معنى يكون تمامه إلا تُورّده، أو لفظاً يكون فيه توكيده إلا تذكره))^(٧).

وهناك فرق بين التّتميم، والتّكميل فـ((التّتميم يرد على المعنى الناقص ليُتمّه، والتّكميل يرد على المعنى التّام فيكمل أوصافه))^(٨)؛ إذ إنّ الكمال أمرًا زائدًا على التّمام، وذكر الكفوي

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢ / ٣٣٤.

(٢) دلالات التّرتيب والتركيب في سورة البقرة ٢٢٠.

(٣) مقاييس اللغة ١ / ٣٣٩ (تمم)، وينظر: مختار الصحاح ٤٦ (تمم).

(٤) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٣ / ٥٧.

(٥) ينظر: البديع في نقد الشعر ٥٣.

(٦) ينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١٣٠.

(٧) الصناعتين ٣٨٩، وينظر: نقد الشعر ٤٩.

(٨) الإتيان في علوم القرآن ٣ / ٢٥٣، وينظر معترك الأقران في إعجاز القرآن ١ / ٢٨١.

أن: ((الكمال: اسم لاجتماع أبعاد الموصوف، والتَّمام: اسم للجزء الذي يتم به الموصوف))^(١).

ومن أمثلة التَّتميم في سورة (ص):

أ- قوله ﷺ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۖ﴾؛ إذ ذكرت هذه الآية مقدمة القصَّة التي يودُّ الله ﷻ قصَّها على رسوله محمد ﷺ، فكانت هذه المقدمة عبارة عن سؤال سألَه ﷻ نبيَّه؛ ليلفت انتباهه، وكان لا بد لهذا السؤال من جواب يُتمِّمه، إذ لا يتمُّ المعنى من دونه، فجاءت الآية التالية مُتمِّمة لها في قوله ﷻ: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۖ﴾، فجاء هذا التَّتميم مناسباً لدرء الالتباس من التوهم بقصة أخرى غير المذكورة في هذا الموضع، وجاءت الآيتان [٢٣ - ٢٤] مُكَمِّلَتين للآية [٢١] وزادتا الأمر إيضاحاً.

ب- قوله ﷻ: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۖ﴾، هو تَتميم لقوله: ﴿قَالَ يَإِبْلَيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي... ۖ﴾^(٧٥)، فحينما خلق الله ﷻ آدم ﷺ أمر الملائكة أن تسجد له تكريماً وتعظيماً، فسجد الملائكة كلهم عدا إبليس، فسألَه الله ﷻ في الآية [٧٥] عن سبب رفض السجود لآدم ﷺ، فجاءت الآية اللاحقة مُتمِّمة لها، وموضحة السر في عدم سجود إبليس لآدم ﷺ وهو تكبره، وحسده.

أما مناسبة التَّتميم فهي واضحة؛ إذ السؤال يحتاج إلى جواب حتى يُزال اللبس، والغموض من التفكير في إجابة أخرى، أو الاجتهاد في تأويل السر من وراء عدم سجود إبليس.

ت- ومن التَّتميم مجيء جواب القسم في قوله ﷻ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ بَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ﴾^(٨٥) مُتمِّماً للقسم في قوله ﷻ: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ۖ﴾^(٨٤)؛ إذ إنَّ معنى الآية [٨٤] لا يتم إلا عن طريق الآية اللاحقة المُتمِّمة لها.

من ذلك نلاحظ أنَّ التَّتميم السَّابق أتى بين الآيات المتوالية، وقد يأتي التَّتميم بين عدة

آيات، يفصل بينها فاصل، ومثال ذلك قوله ﷻ في سورة (ص): ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ٦٦﴾، فالآية وصفت الله ﷻ بـ﴿الْعَزِيزُ﴾، و﴿الْغَفُورُ﴾، ففي هذين الوصفين ((تتميم، وتقرير للتوحيد، ووعد للموحدين، ووعد للمشركين، ودفع لتوهم انحصار وصفه بالقهر))^(١)، أي: إن هذه الآية أظهرت قوة الله ﷻ، وجبروته، وقدرته على قهر المشركين حينما وصف نفسه بـ﴿الْعَزِيزُ﴾، وتناسب ذلك مع أفعال المشركين التي ذكرتها الآيات السابقة، كوصفهم الرسول محمداً ﷺ بالسحر، والكذب في قوله ﷻ: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ٤﴾، واستنكارهم دعوته توحيد الله ﷻ، وتكذيبهم بما جاء به في قوله ﷻ: ﴿أَجْعَلِ لِلْأَلْهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٥﴾، وقوله: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ٧﴾، وتمسكهم بعبادة الأوثان، وتحريض غيرهم على ذلك في قوله ﷻ: ﴿وَأَنْطَلِقُوا لِمَالِهِمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ٦﴾.

أما مناسبة التتميم فهو التأكيد على قهر المشركين، وتغذيبهم سواء في الدنيا كما بيّنه قوله ﷻ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحِثْ مَنَاصٍ ٢﴾، أو في الآخرة كما بيّنته الآيات في قوله ﷻ: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَكَابٍ ٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيُسْأَلُونَ فِيهَا الْمَهَادُ ٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ٥٧﴾، لذلك وصف الله ﷻ نفسه بـ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يقهره، ولا يغلبه شيء.

وصف الله ﷻ نفسه في الآية [٦٦] بـ﴿الْغَفُورُ﴾، وهي صيغة تُعدُّ ((من أبنية المبالغة))^(٢)، وفي ذلك تتميم لبعض الآيات السابقة التي ذكر فيها الاستغفار كما في قوله ﷻ: ﴿... فَاسْتَغْفِرْ رَبَّهُ... ٢٤﴾، وقوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ... ٢٥﴾، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي... ٣٥﴾.

ومناسبة التتميم هنا بيان رافة الله ﷻ بعباده المؤمنين، وغفرانه لذنوبهم، فجاءت صفة ﴿الْغَفُورُ﴾ مناسبة لما سبق ذكره من غفران الذنوب، فضلاً عن أنَّ صيغة المبالغة تقوي أفعال

(١) التفسير المظهر ٨ / ١٩٠.

(٢) لسان العرب ٥ / ٢٥ (غفر).

الغفران.

مما تقدّم يتضح أنّ معنى التّتميم في القرآن الكريم أكثر اتّساعاً مما هو في الشعر أو النثر، فقد تأتي آية متممة لما سبقها من آيات، مع الفصل بينها، وقد نجد التّتميم بين عدة آيات بحسب ما يتطلبه التعبير القرآني، ويتّضح بأنّ التّتميم لا يسقط معناه، وحسن بيانه لمجرد إسقاط كلمة^(١).

ثالثاً: تناسب الإجمال، والتّفصيل:

من التّناسب الجميل في الآيات القرآنية أن تجد الإجمال في مواضع، والتّفصيل في مواضع أخرى، ما يدل على التّربط في سياق الخطاب القرآني ((ليتناسب بذلك مقتضى الحال، فتتشكل تعبيراته بين الإطناب والإيجاز، فكل منهما مقامات تقتضيه، ومواضع تلائمه))^(٢).

فالإجمال لغة: قال ابن دريد: ((أَجْمَلْتُ الشَّيْءَ إِجْمَالًا)، إذا جمعته عن تفرّقه، وأكثر ما يستعمل ذلك في الكلام الموجز))^(٣).

والتّفصيل في اللغة: ((التّبيين))^(٤).

وفي الاصطلاح:

الإجمال هو: ((إيراد الكلام على وجهٍ يحتمل أمورًا متعدّدة، والتّفصيل: تعيين تلك المحتملات))^(٥).

ويُلاحظ على الإجمال، والتّفصيل في القرآن الكريم، تعلّقه ببيان الجوانب المتعلقة بالقصص القرآني، وبالآيات التي تتضمّن أحكاماً شرعية، أو بعض ما يتعلّق بها^(٦).

(١) ينظر: البديع في نقد الشعر ٥٣.

(٢) دلالات التّرتيب والتركيب في سورة البقرة ٢٠٠.

(٣) جمهرة اللغة ١ / ٤٩١ (جلم).

(٤) شمس العلوم ٨ / ٥١٩٩.

(٥) الكليات ٤٢، والتعريفات ٢٥، وينظر: معجم لغة الفقهاء ٤٤، ودستور العلماء (جامع العلوم في

اصطلاحات الفنون) ١ / ٣٣، والتعريفات الفقهية ١٧.

(٦) ينظر: دلالات التّرتيب والتركيب في سورة البقرة ٢٠٤.

أو الوعد، والوعيد، وقد يأتي التفصيل بعد الإجمال مباشرةً في الآيات، وقد يكون هناك فاصلٌ بينهما، وذلك بحسب ما تتناوله الآيات؛ ليكون وقعه كبيراً في النفس، وذا معنىً أجل، وأتم. ومن أمثلة تناسب الإجمال، والتفصيل في سورة (ص):

أ- قوله ﷺ: ﴿... لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۖ﴾ (٨)، ففي هذه الآية تهديد للمشركين، ((أي: سيدوقون عذابي))^(١)، فأجملت الآية العذاب، ولم تفصل فيه، وجاء تفصيل صنوفه في مواضع أخرى من السورة، كقوله ﷺ: ﴿... فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۖ﴾ (٢٧)، وقوله: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَسْأَلُهَا ۖ﴾ (٥٦) هَذَا فَيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ۖ﴾، ونلاحظ أن الآيتين الأخيرتين هما تفصيل كذلك للآية في قوله ﷺ: ﴿... وَإِنَّكَ لِلطَّاغِيْنَ لَشَرٌّ مَّآبٍ ۖ﴾ (٥٥).

أما مناسبة التفصيل في عذاب المشركين فهي لعدة أمور، منها:

- كف المشركين عن أذى النبي ﷺ، فقد أمعنوا في إيذائه بالقول، والفعل.
- ردعهم عن تحريض الناس على التمسك بعبادة الأوثان.
- ترهيبهم من العذاب الذي سيلاقونه يوم القيامة إن لم يتوبوا إلى الله، ويتركوا عبادة الأوثان، فذكر التفصيل في العذاب من شأنه أن يعيدهم لصوابهم، ويؤمنوا بعقيدة التوحيد.
- ب- قوله ﷺ: ﴿... وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّآبٍ ۖ﴾ (٤٩)؛ إذ أشارت الآية إلى ((حسن مرجع))^(٢) وثواب المتقين، ولم تفصل في ذاك الثواب، وجاء تفصيله في قوله ﷺ: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمُ ۖ الْأَبْوَابُ ۖ﴾ (٥٠) مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۖ﴾ (٥١) وَعِنْدَهُمْ قَصْرِاتٌ أُطْرَفُ أَنْزَابٌ ۖ﴾.

ومناسبة التفصيل هنا هو حث المؤمنين على التمسك بدينهم، والصبر على أذى المشركين؛ من أجل نيل الثواب الحسن يوم القيامة.

ت- قال ﷺ في بداية قصة داود عليه السلام: ﴿... وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۖ﴾ (١٧)، فوصفته

(١) بحر العلوم ٣ / ١٥٢، وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ١٠ / ٦٢٠٦، وتفسير أبي السعود (إرشاد

العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ٧ / ٢١٦.

(٢) فتح القدير ٣ / ٩٨، وينظر محاسن التأويل ٨ / ٢٦١، والتفسير الواضح ٣ / ٢٤٢.

بأنه: ﴿أَوَابٌ﴾؛ إذ أجملت الآية هذه الصفة، ولم تفصل سبب وصفه بذلك، فأنت الآيات اللاحقة تفصل القصة التي حدثت مع داود عليه السلام، والخطأ الذي وقع فيه، فقال ﷺ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَارُوا بِالْحَرَابِ﴾ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَى نَجْمِهِ وَإِنْ كَثِيرٌ مِنَ الْخَالِطَاءِ يُبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ...﴾، وبعدها ذكر ﷺ في قوله: ﴿... وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٢٤)، استغفار نبي الله داود عليه السلام ربه وعودته إليه، وهذا ما فسر وصفه بالـ ﴿أَوَابٌ﴾ في بداية القصة.

أما مناسبة التفصيل في سبب استغفار نبي الله داود عليه السلام، فهي لحث النبي محمد ﷺ على مداومة الاستغفار لله ﷻ، وهو استغفار شكر لا عن ذنب فعله؛ إذ روي أن النبي ﷺ صَلَّى حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتُكَلِّفُ هَذَا؟ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا (١).

وما يلحظ في بعض القصص الواردة في سورة (ص) أنها تبدأ التمهيد للقصة بالإجمال، ثم يأتي التفصيل، ففي قصة أيوب عليه السلام يقول ﷺ في بدايتها: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ...﴾ (٤١)، ثم يفصل فيها فيقول: ﴿... إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ يَنْصُبْ وَعَذَابٍ (٤١) أَزْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ (٤٣) وَخَذَ بِيَدِكَ ضِغْتًا قَاصِرِبَ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَابٌ﴾.

ويبدأ الله ﷻ قصة إبراهيم عليه السلام وذريته بقوله: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٤٥)، ثم يفصل فيها بقوله: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾.

أما مناسبة بدأ القصة بالإجمال، ثم التفصيل فهي:

- لفت انتباه النبي ﷺ على أَنَّ هناك أمراً مهماً سيأتي بعد الكلام المجمل يستدعي الاهتمام به.

- جاء التفصيل في القصتين تسليةً للنبي ﷺ للصبر على ما يلاقيه من الأذى.

رابعاً: تناسب الاستئناف البياني:

يعد الاستئناف البياني أحد أساليب التناسب القرآني، الذي يزيده جمالاً بلاغياً، ويأتي مثل هذا النوع من التناسب بين الآيات، أو في الآية الواحدة من حيث تعدد جملها، وتتوَّع تراكيبها (١).

الاستئناف في اللغة:

من (أَنَفَ)، قال ابن فارس: ((الهمزة، والنون، والفاء أصلان منهما يتفرع مسائل الباب كلها: أحدهما أخذ الشيء من أوله، والثاني أَنَفَ كُلَّ ذِي أَنَفٍ، وقياسه التحديد)) (٢).

فالأصل الأول:

مثل قولهم: (اسْتَأْنَفْتُ الشَّيْءَ)، إذا ابتدأته، و(اسْتَأْنَفَ الشَّيْءَ، وَاسْتَنْفَهُ اسْتِنَافًا)، أخذ أوله وابتدأه، و(مُؤْتَنَفُ الْأَمْرِ): مَا يُبْتَدَأُ فِيهِ، و(فَعَلْتُ الشَّيْءَ أَنْفًا)، أي: سابقاً (٣)، ومن ذلك قوله ﷺ في سورة محمد: ﴿... قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنْفًا...﴾ (١٦).

أمّا الأصل الثاني فهو:

(الْأَنْفُ)، ويجمع على: (أَنْفٌ)، و(أُنُوفٌ) (٤).

ويربط الكفوي بين جانبيين يدلان على معنى الاستئناف، هما: الجانب الحسي، والجانب المعنوي في قوله: ((الاستئناف): هو من الأنف، لأنَّ الجواب ذو شرفٍ وارتفاعٍ، أو هو من (أَنْفٍ كُلِّ شَيْءٍ)، وهو: أوله، أو من (أَنْفِ الْبَابِ)، وهو: طرفه؛ لأنَّ الجواب كلام مبتدأ

(١) ينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١٣٧ - ١٤٠، وسورة القصص

دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ٢٥٩.

(٢) مقاييس اللغة ١ / ١٤٦ (أنف).

(٣) ينظر: المصدر نفسه ١ / ١٤٦ (أنف)، والمحكم والمحيط الأعظم ١٠ / ٤٨٣ (أنف).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة ١ / ١٤٦ (أنف).

مستقل، وطرف سؤال^(١)؛ إذ رُبط الاستئناف بالأصلين اللذين ذكرهما ابن فارس.

أما في الاصطلاح فالاستئناف البياني هو:

((ما وقع جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ معنًى، كما قال المتكلم: (جاءني القوم)، فكأنّ قائلاً قال: (ما فعلت بهم؟)، فقال المتكلم مجيباً عنه: (أما زيدٌ فأكرّمته، وأما بشرٌ فأهنته، وأما بكرٌ فقد أعرضت عنه))^(٢).

فالاستئناف البياني مبني على اتصال المعنى بين الجملة، والجملة السابقة لها؛ إذ لا توجد صلة إعرابية بينهما^(٣)، وهذا ميزة في الاستئناف البياني لا تجدها في الاستئناف الابتدائي.

وتكمن أهمية الاستئناف البياني في تنبيه السامع على المعاني المختلفة في الجملة، فلا يحدث عنده الخطأ في الفهم، وبالمقابل يغنيه ذلك عن السؤال^(٤).

أقسام الاستئناف البياني:

ينقسم الاستئناف البياني على قسمين رئيسين، هما:

أ- ما يكون فيه إعادة اسم من استؤنف الحديث عنه، كقولك: (أحسنْتُ إلى مُحَمَّدٍ؛ مُحَمَّدٌ حَقِيقٌ بِالْإِحْسَانِ)، فالجملتان غير مرتبطتين نحويّاً، فكلّ جملةٍ موقعها الخاص، وإعرابها اللازم فيها، أمّا معنوياً فالجملتان متّصلتان اتصالاً شبه كامل، وهذا ما يقوم عليه الاستئناف البياني.

ب- ما يُبنى على صفة من استؤنف الحديث عنه بتلك الصفة الصّالحة لبناء الحديث عليه، كما في قولك: (أُثْنِيتُ عَلَى الطُّلَّابِ، الْمُتَمَيِّزِينَ جَدِيرُونَ بِالثَّنَاءِ)، وهذا النوع من الاستئناف أبلغ عند البلاغيين من نظيره المبني على ذكر الاسم؛ لاشتماله على السبب الموجب للحكم الذي تُقصح به جملة الجواب إفصاحاً فنياً خالياً من المباشرة والتقرير^(٥).

(١) الكليات ١٠٦.

(٢) التعريفات ١٨، وينظر: مفتاح العلوم ٢٥٩، والكليات ١٠٦.

(٣) ينظر: الاستئناف البياني في القرآن الكريم ١٥.

(٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ١ / ٥٩، والاستئناف البياني في القرآن الكريم ١٦.

(٥) ينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١٣٩ - ١٤٠.

قد يرد الاستئناف البياني في آية واحدة، أو في عدة آيات^(١)، ومن أمثلة وروده في آية واحدة في سورة (ص):

- قوله ﷻ: ﴿مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَنِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾^(٥١)، فجملة: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَنِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾، هي استئناف بياني لجملة ﴿مُتَكِينِينَ فِيهَا﴾، وجاء ذلك لمناسبة بيان حال المتقين في الجنة^(٢)، حتى يتمسك المسلم بعقيدته، ودينه رغبة في مثل هذا الحال، والثواب.

- قوله ﷻ: ﴿... فَأَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾^(٣٢)، فجملة ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ استئناف بياني لجملة ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾، ومعنى الشُّطْطُ هو: ((مجاوزة الحد وتخطي الحق))^(٣)، فالجملة المستأنف عليها تحمل في طياتها الأمر والنهي، فهي تأمر بالحكم بالحق، والعدل، وتنتهي عن المبالغة فيه حتى لا يتجاوز حده ما يؤدي إلى الظلم، أما جملة الاستئناف فتطلب من داود ﷺ أن يهدي الأخوين إلى ﴿سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾، أي: ((وسط طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وإرشاده إلى منهاج العدل))^(٤)، وفي هذا استئناف لبيان أن الخصم هو أخ في الدين أو الصحبة^(٥)، ومناسبة ذلك هو الاستعطاف؛ لأنَّ الخصمين أخوان، وهذا ما أكدّه قوله ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي...﴾^(٣٣).

وقد يرد الاستئناف البياني، كما أسلفت، في أكثر من آية، ومن أمثلة ذلك في سورة (ص):

- قوله ﷻ: ﴿كَرَّ أَهْلُكُمَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَادَّوْاْ وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ﴾^(٢)، جاءت هذه الآية استئنافاً بيانياً لقوله ﷻ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾^(٢)؛ لأن العزة عن قبول الحق، وشقاق الله ورسوله ﷺ يثير في خاطر السامع السؤال عن جزاء من وقع في ذلك، فجاءت الآية [٣] بياناً لذلك الجزاء، وكان هذا البيان مرفقاً بحجة القياس، والتَّمثِيل؛ لأن قوله ﷻ: ﴿مِّنْ قَبْلِهِمْ﴾ يدل على

(١) ينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١٤٠.

(٢) ينظر: التفسير المظهر ٨ / ١٨٦.

(٣) روح البيان ٨ / ١٦.

(٤) المصدر نفسه ٨ / ١٦.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٨ / ١٦.

أَنَّ السَّابِقِينَ كَانُوا مِثْلَهُمْ فِي الْعِزَّةِ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ، وَشَقَاقِ اللَّهِ، وَرَسُولِهِ (١).

ومناسبة هذا الاستئناف هو تحذير مشركي قريش من نزول العذاب عليهم كما نزل على القرون الماضية، وأنهم سيجازون على عزَّتْهم، وشقاقهم بالهلاك كما أهلكَتْ أُمم كثيرة من قبلهم، فعليهم الحذر من أن يحق عليهم عذاب الله ﷻ، وعليهم الرجوع لصوابهم، والإيمان بما جاء به محمد ﷺ (٢).

- جاءت الآيات في قوله ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣)﴾ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ ﷻ استئنافاً بيانياً لقوله ﷻ: ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (١١)﴾؛ إذ جاء هذا الاستئناف لغرض التعريض بوعيد المكذِّبين من قريش، وتهديدهم بأن مصيرهم سيكون كمصير أقوام نوح، وعاد، وثمود، ولوط، وغيرهم ممن حلَّ بهم عذاب الله ﷻ، فأتى هذا الاستئناف للتعريض على طريقة قياس المساواة، و((جاء به تهديداً لما يعقبه، أي: ما كل حزب، وجماعة من أولئك الأحزاب إلا كذبَ رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع)) (٣)، ومناسبته تسليية النبي محمد ﷺ، ومواساته على ما أصابه من أذى المشركين، ووعد له بالنصر عليهم (٤).

- من أمثلة الاستئناف البياني أيضاً قوله ﷻ: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)﴾، وهو استئناف لقوله ﷻ: ﴿... وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١)﴾، فبعد أن أمعن ﷻ في تهديد المشركين؛ نتيجة إعراضهم عن دعوة التوحيد، وبعد أن قدَّم إليهم الأدلة على صدق ما يدعوهم إليه الرسول محمد ﷺ، أعرض الله ﷻ عن خطابهم، ووجه خطابه لرسوله ﷺ من خلال التناء على الكتاب المنزل عليه، وكان هذا القرآن قد أقام عليهم الحجة ببطلان اعتقادهم، وأنه إن حرم المشركون أنفسهم من الانتفاع بما جاء به فقد انتفع به المؤمنون، وهذا الاستئناف مناسبته إعادة التتويه بشأن القرآن الكريم؛ حتى يُتمسك بتعاليمه.

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٠٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢٣ / ٢٠٦.

(٣) روح البيان ٨ / ٩.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٢٠.

المبحث الرابع تناسب المفردة اللغوية

للمفردة القرآنية وضعها الخاص الذي يتناسب مع ما قبلها، وبعدها من المفردات؛ إذ لا يمكن أن نضع مفردة مكان أخرى، حتى لو قاربته في المعنى؛ لأنَّ ((القرآن شديد الدقة فيما يختار من لفظٍ يؤدي به المعنى))^(١)، فكلُّ مفردة قرآنية تدلُّ على خصوصية الانسجام، والإيحاء في التركيب^(٢)، وذلك يشكِّل عمود البلاغة، ولا سيَّما البلاغة القرآنية التي تتضمَّن ((وضع كل نوعٍ من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص .. الذي إذا أُبدل مكانه غيره جاء منه: إمَّا تبدُّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمَّا ذهاب الرُّونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أنَّ في الكلام ألفاظًا متقاربةً في المعنى يحسب أكثر النَّاس أنَّها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبُخل والشُّح))^(٣)، وهذا ما يميِّز لغة النصِّ القرآني من غيرها؛ ((لأنَّها في القرآن تظهر في تركيب ممتنع فترفَّ به، ولهذا ترتفع إلى أنواع أسمى من الدلالة اللغوية أو البيانية التي هي طبيعِيَّة فيها، فتخرج من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم، وتكوِّن بتركيبها المعجز طبقة عقلية في اللغة))^(٤).

وتميزت مفردات القرآن بعدة ميزات جعلتها في إطار الإعجاز البياني، وأهم هذه الميزات هي:

- جمال وقع الكلمة في السَّمع.
 - انساقها النَّام مع المعنى.
 - اتِّساع الدَّلالة، بما لا يتَّسع لدلالات المفردات الأخرى^(٥).
- ويلحظ في مفردات النظم القرآني ((أنَّك ترى لفظتين تدلَّان على معنى واحدٍ، وكلاهما

(١) من بلاغة القرآن ٥٢.

(٢) ينظر: فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ١٣٤.

(٣) بيان إعجاز القرآن ٢٩.

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ١٥٦.

(٥) ينظر: من وحي القرآن ٩٧ - ٩٨.

حسن في الاستعمال، وهما على وزنٍ واحدٍ وعدةٍ واحدةٍ، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كلِّ موضعٍ تستعمل فيه هذه، بل يفرِّق بينهما في مواضع السِّبْكِ، وهذا لا يدركه إلا من دقَّ فهمه، وجلَّ نظره))^(١)، وهذا ما لمستَه في سورة (ص) من دقَّةٍ في اختيار المفردات والتراكيب، وسأوضح ذلك من خلال بعض الأمثلة على النحو الآتي^(٢):

١- ﴿عَزَّ﴾:

قال ﷺ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقٍ﴾^(٣).

جاء التعبير القرآني باستعمال مفردة ﴿عَزَّ﴾ مناسبة للسياق الواردة فيه؛ إذ لو استبدلت بكلمة أخرى لما تحقق المعنى المراد، ولم تبرز حينئذٍ المناسبة اللغوية المنشودة، فأصل العِزَّة هو: ((عَزَّ): العين، والزاء أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على شِدَّةٍ وقوَّةٍ))^(٤)، قال ابن دريد: إنها تعني ((الصَّلابة والشِدَّة))^(٥)، ويستعار أحيانا للتعبير عن الحميَّة، والأنفة المذمومة بقول: أخذته العزة بالإثم^(٦).

تناسب هذه المعاني مع حال المشركين، إذ أوضحت الآيات اللاحقة مدى صلابتهم، وقوتهم في الوقوف ضد الحق، واستماتوا في الدِّفاع عن عقيدتهم الباطلة، واتهموا الرسول ﷺ بأبشع التهم، ﴿... وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾^(٧)، وسخروا من دعوته لتوحيد الله ﷻ، ﴿أَجْعَلِ لِلْأَلْهَةِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجَابٌ﴾^(٨)، وقالوا أيضًا: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا...﴾^(٩)، وحرَّضوا غيرهم على التمسك بدين الجاهلية، ﴿وَأَنْطَلِقُ لَمَّا مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ إِلَهِتِكُمْ...﴾^(١٠)، كل هذه الأفعال تناسبت مع استعمال مفردة ﴿عَزَّ﴾ في سياق الآية.

٢- ﴿فَفَزَعَ﴾:

(١) المثل السائر ١ / ١٦٤.

(٢) وردت مجموعة من المفردات القرآنية التي تتصل بالمناسبة، وسأذكر قسمًا منها في هذا المبحث على أن أتكلّم عن المفردات الأخرى في تناسب المتشابه اللفظي.

(٣) مقاييس اللغة ٤ / ٣٨ (عز).

(٤) الاشتقاق ٤٧.

(٥) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف ٢٤١.

قال ﷺ: ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَحَفَّ خَصَمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝٢٢﴾.

فالفرع أصله: ((فَزِعَ يَفْزِعُ فَرَعًا، إِذَا دُعِرَ، وَأَفْزَعْتُهُ أَنَا))^(١)، قال الأزهري: ((فَزَعَتِ الرَّجُلَ، وَأَفْزَعْتُهُ إِذَا رَوَّعْتُهُ))^(٢)، ويقال: إنه انقباض في النفس، والقلب ((يعتري الإنسان من الشيء المخيف))^(٣).

من ذلك نجد أنَّ مجيء مفردة ﴿فَفَزِعَ﴾ مناسبة في موضعها الخاص بها، فللفزع الذي أصاب داود عليه السلام عدة أسباب، منها:

- أنَّ الملكين دخلا عليه من دون إذن، ولو كان يعلم بمجيئهما لما فزع منهم.
 - أنهما لم يدخلوا عليه من الباب، قال ﷺ: ﴿... إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۝٣١﴾.
 - كان وقت دخولهم هو الليل^(٤)، والليل بظلمته يُخيف الإنسان.
 - أنَّ داود عليه السلام كان مشغولاً بعبادة الله ﷻ وتسبيحه وقت دخولهم عليه^(٥).
- لذلك نجد أنَّ كل هذه الظروف أدَّت إلى خوف داود عليه السلام من الملكين اللذين دخلا عليه، فناسب استعمال لفظ ﴿فَفَزِعَ﴾ الموقع الخاص به في السياق.
- وقد يأتي شخص فيقول بأنه نبي وهو معصوم من الفزع، والخوف، فرد على ذلك ابن عاشور بقوله: ((الله لم يضمن له العصمة، ولا الأمن من القتل، وكان يخاف منهما، وقد قال الله لموسى: لا تخف، وقبله قيل للوط))^(٦).

٣- ﴿الْوَهَابِ﴾:

قال ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝٣٥﴾.

-
- (١) مقاييس اللغة ٤ / ٥٠١ (فزع).
- (٢) تهذيب اللغة ٢ / ٨٧ (باب العين والزاي مع الباء).
- (٣) تاج العروس ٢١ / ٤٩٧ (فزع).
- (٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ٢٠٥.
- (٥) ينظر: صفوة التفاسير ٣ / ٤٩.
- (٦) التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٣٢.

ذكر ابن منظور أنَّ ﴿الْوَهَابِ﴾ ((من صفاتِ الله المُنْعِمِ على العباد، والله ﷻ الوَهَّابُ الوَاهِبُ، وكلُّ ما وَهَبَ لك من وَلَدٍ وغيره فهو مَوْهُوبٌ))^(١)، وهو المعطي لخلقهِ ما يشاء^(٢)، وهو الذي ((يفيُض على جهة التَّفَضُّل ما يشاء على من يريد، وله صفة الإفاضة متكررة الآثار على الدوام، فلا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى))^(٣).

من ذلك نلحظ أنَّ مفردة ﴿الْوَهَابِ﴾ في الآية جاءت متناسبة مع ما تحمله قصَّة داود، وابنه سليمان عليهما السلام من ذكر الهبات التي أنعمها الله ﷻ عليهما، مثل:

- تسخير الجبال، والطير لداود ﷺ حتى تسبَّح معه، والإِنعام عليه بالملك، والحكمة، وفصل الخطاب فقال ﷺ: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۝١٩ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ۝.

- استخلاف داود ﷺ في الأرض حتى يقيم العدل بين الناس، قال ﷺ: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... ۝٦١﴾.

- إِنعام الله ﷻ على نبيه داود ﷺ بالولد الصالح في قوله ﷺ: ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝٣٠﴾.

- تسخير الخيل لنبي الله سليمان ﷺ، قال ﷺ: ﴿إِذْ عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْإِحْيَادُ ۝٣١﴾، وسُخِّرَتْ لَهُ الرِّيحُ، والشَّيَاطِينُ؛ ليقوموا بأعماله، قال ﷺ: ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ۝٣٧ ۖ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝.

وجاءت مفردة ﴿الْوَهَابِ﴾ متناسبة مع النعم التي أنعم الله ﷻ بها على نبيه أيوب ﷺ، ومن بينها:

- ابتلاه الله ﷻ بالمرض؛ حتى يناله الأجر والثواب؛ لصبره عليه.

- استجاب الله ﷻ لدعائه، وشفاه من مرضه، و((ردَّ عليه أهله، وأولاده الذين أهلَهم

(١) لسان العرب ١ / ٨٠٣ (وهب).

(٢) ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني ٤ / ٤٢٧.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦ / ٣٦٤.

بأعيانهم))^(١)، قال ﷺ: ﴿وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ (٤٣).

هذه النعم الكثيرة التي أنعم بها الله ﷻ على أنبيائه داود وسليمان وأيوب عليهم السلام لا بد أن يكون مصدرها ﴿الْوَهَابِ﴾ الذي يهب لخلقه ما يشاء، لذا جاء استعمال مفردة ﴿الْوَهَابِ﴾ مناسبة للسياق الواردة فيه.

٤ - ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾:

قال ﷺ: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ (٥٧).

ذكر الخليل أن أصل (الذُّوق) هو: ((ذَاقَ يَذُوقُ ذَوْقًا، وَمَذَاقَةً وَمَذَاقًا وَذَوَاقًا، وَذَوَاقَهُ وَمَذَاقَهُ طَيِّبٌ أَيْ: طَعْمُهُ))^(٢)، قال السمين الحلبي: ((الذُّوقُ): وجود الطعم بالفم، ويعبر به عن الأكل، وقيل: (الذُّوقُ): مس الشيء باللسان، أو بالفم))^(٣).

من ذلك نلاحظ أن (التذُّوق) عادةً يكون للشيء الطيب، قال ﷺ في سورة يونس: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ...﴾ (٢١)، وفي سورة هود: ﴿وَلَمَّا أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدِ ضَرَائِهِ مَسَّتْهُ...﴾ (١٠)، وقوله في سورة الشورى: ﴿...وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبْنَا...﴾ (٤٨).

وقد يستعمل هذا اللفظ على سبيل التهكم، والسخرية، وأمثلة ذلك عديدة في القرآن الكريم، كقوله ﷺ في سورة الحج: ﴿...وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَامٍ يُظْلَمِ نُذُقُهُ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ﴾ (٢٥)، وقوله في سورة الفرقان: ﴿...وَمَنْ يُظْلَمِ مِنْكُمْ نُذُقُهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ (١٩)، وفي سورة سبأ: ﴿...وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذُقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (١٢)، وقوله في سورة فصلت: ﴿...وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٥٠).

وفي سورة (ص) جاءت مفردة ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ مناسبة للسياق الواردة فيه؛ لسببين، هما:

- قالها الله ﷻ للمشركين على سبيل التهكم عليهم، والاستهزاء بهم، وفي ذلك ردٌّ على

(١) تفسير القرآن، للسمعاني ٤ / ٤٤٦.

(٢) العين ٥ / ٢٠١ (ذوق)، وينظر: البارع في اللغة ٤٩٦.

(٣) الدر المصون ٥ / ٢٨٢، وينظر: اللباب في علوم الكتاب ٩ / ٦١.

سخرتهم، واستهزأهم بهذا اليوم حين قالوا: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (١٦).
 - جاءت المفردة تأكيداً لوعيد الله ﷻ للمشركين بإذاقتهم العذاب الأليم يوم القيامة حين قال ﷻ: ﴿... بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ (٨).

٥- (الْقَهَّارُ):

قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٦٥).

فـ (الْقَهَّارُ): ((الغالب، والشديد الغضب، له جَلْبَةٌ من شِدَّةِ غَضَبِهِ)) (١)، قال ابن فارس: ((القَافُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى غَلْبَةٍ، وَعُلُوٍّ، يُقَالُ: قَهَرَهُ يَقْهَرُهُ قَهْرًا، وَالْقَاهِرُ: الْغَالِبُ، وَأَقْهَرَ الرَّجُلُ، إِذَا صَيَّرَ فِي حَالٍ يَذُلُّ فِيهَا ... وَقَهَرَ إِذَا غَلِبَ)) (٢)، فالله ﷻ بيده أن ((يَقْهَرَ خَلْقَهُ بِسُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَيُصَرِّفَهُمْ عَلَى مَا أَرَادَ طَوْعًا وَكَرْهًا، وَالْقَهَّارُ لِلْمُبَالِغَةِ)) (٣)، قال الأصفهاني: ((الْقَهْرُ: الْغَلْبَةُ، وَالتَّذْلِيلُ مَعًا، وَيَسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، قَالَ ﷻ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨، ٦١]) (٤).

من ذلك نلاحظ أن بعض الآيات في سورة (ص) ورد فيها المعاني الدالة على قدرة الله ﷻ على القهر، ولذلك جاء استعمال لفظ ﴿الْقَهَّارُ﴾ مناسباً للسياق الوارد فيه، ففي الآية [٢] بَيَّنَّ اللهُ ﷻ قُدْرَتَهُ عَلَى الْبَطْشِ، وَالْقَهْرِ مِنْ خِلَالِ إِهْلَاكِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ الْمَكْدُوبَةِ لِرَسُولِهِ فَقَالَ: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتْ حِينَ مَنَاصٍ﴾، وَتَوَعَّدَ ﷻ الْمَشْرِكِينَ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَذَلِكَ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعٍ مِنَ السُّورَةِ فَقَالَ ﷻ: ﴿... بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ (٨)، وَقَالَ: ﴿... فَحَقَّ عِقَابِ﴾ (١٤)، وَقَالَ: ﴿... لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٣٦)، وَقَالَ: ﴿... فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ﴾ (٢٧)، وَقَالَ: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسَوْنَ الْمَهَادُ﴾ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ، وَجَمَعَ بَيْنَهُمْ، وَبَيَّنَّ إِبْلِيسَ فِي دُخُولِ نَارِ جَهَنَّمَ فَقَالَ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٥).

(١) (القاموس المحيط ٦٦٦ (فصل الخاء).

(٢) (مقاييس اللغة ٥ / ٣٥ (قهر).

(٣) (لسان العرب ٥ / ١٢٠ (قهر).

(٤) (المفردات في غريب القرآن ٦٨٧.

وهكذا من خلال ما سبق نجد مناسبة استعمال مفردة ﴿الْقَهَّارُ﴾ للسياق الواردة فيه.

٦- ﴿رَجِيمٌ﴾:

قال ﷺ: ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (٧٧).

الرَّجْمُ هو: ((اسم لما يُرجمُ به الشيء، والجميع (الرُّجُوم)، وهي: الحجارة، و(الرُّجُوم): التي تُرمى بها الشياطين، والشَّيْطَانُ رَجِيمٌ مَرْجُومٌ ملْعُونٌ)) (١)، ووُصف الشيطان بـ﴿رَجِيمٍ﴾؛ لأنه مطرود من رحمة الله ﷻ (٢)، قال الزحيلي: ((الرَّجِيم): أي: المبعد من الخير، المُهان، المرمي باللعن والسب)) (٣).

من ذلك نجد أنَّ بعض الآيات في السُّورة جاءت لِتُبَيِّنَ أن مفردة ﴿رَجِيمٌ﴾ تناسبت مع السياق الواردة فيه، فأفعال إبليس جعلته مستحقاً لهذا الوصف، فمن أفعاله:

- وسوسته لنبي الله أيوب عليه السلام، و((تذكيره بما كان فيه من نعمة، وما صار إليه من محنة)) (٤)؛ حتى يضيق ذرعاً بما أصابه، ويكفر بربه، قال ﷻ: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (٤١).

- استكباره، ورفضه الامتثال لأمر الله ﷻ حين أمره بالسجود لنبیه آدم عليه السلام، قال ﷻ: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٧٤)، وقال: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقَهُ مِن طِينٍ﴾ (٧٦).

- توعده بالانتقام من بني آدم وغوايتهم، قال ﷻ: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٧٨)، وقال: ﴿قَالَ فِعْزَتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢).

وبَيَّنَّ ﷻ طرد إبليس من رحمته في الآيتين [٧٨، ٨٥] من السُّورة في تأكيدٍ واضحٍ؛ لتتناسب المفردة اللغوية ﴿رَجِيمٌ﴾ مع السياق الواردة فيه.

(١) العين ٦ / ١١٩ (رجم).

(٢) ينظر: شمس العلوم ٤ / ٢٤٢٨، وإعراب القرآن وبيانه ١ / ٧.

(٣) التفسير المنير ١ / ٤٤.

(٤) تفسير الماوردي (النكت والعيون) ٥ / ١٠١.

المبحث الخامس تناسب المتشابه اللفظي

المتشابه في اللغة:

يعني: المتماثل، وهو مأخوذ من (الشَّبه)، قال ابن فارس: ((الشين، والباء، والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء، وتشاكله لونًا، ووصفًا، يقال: (شَبَّهَ وَشَبَّهَ وَشَبَّيْهِ)، وَالشَّبَّهُ مِنَ الْجَوَاهِرِ: الذي يشبه الذهب، وَالْمُشَبَّهَاتُ مِنَ الْأُمُورِ: الْمُشْكِلَاتُ، وَاشْتَبَّهَ الْأُمْرَانِ، إِذَا أَشْكَلَا))^(١)، وقال ابن منظور: ((الشَّبَّهُ، والشَّبَّهُ، والشَّيْبَةُ: المِثْلُ، والجمع: أَشْبَاهٌ، وَأَشْبَهَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ: مَاتَلَّهُ، وفي المَثَلِ: مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ، وَأَشْبَهَ الرَّجُلُ أُمَّه: وذلك إذا عَجَزَ، وَضَعُفُ))^(٢)، وقال الجوهري: ((وَالْمُشْتَبِّهَاتُ مِنَ الْأُمُورِ): المشكلات، و(الْمُتَشَابِهَاتُ): المتماثلات))^(٣).

وقال ابن قتيبة: ((وأصل التشابه أن يُشَبَّه اللفظُ اللفظَ في الظاهر، والمعنيان مختلفان، قال الله ﷻ في وصف ثمر الجنة: ﴿... وَأَتَوُا بِهِمْ مُتَشَبِّهًا...﴾ [البقرة: ٢٥]، أي: متَّفِق المناظر، مختلف الطُّعُوم ...، ومنه يقال: (اشْتَبَّهَ عَلَيَّ الْأَمْرُ)، إذا أشبه غيره؛ فلم تكد تُفَرِّق بينهما))^(٤).

المتشابه في الاصطلاح:

وينقسم هذا النوع على قسمين، هما:

الأول: المقابل للمحكم، وهو: ((ما أُمِرْتُ أَنْ تَوْثِقَ بِهِ، وتكل علمه إلى عالمه...، وقيل: ما لا يُدْرَى إِلَّا بِالتَّأْوِيلِ، ولا بد من صرفه إليه...، وقيل: ما يحتمل وجوهاً...، وقيل: ما لا يستقلُّ بنفسه إلا برده إلى غيره))^(٥).

(١) مقاييس اللغة ٣ / ٢٤٣ (شبه).

(٢) لسان العرب ١٣ / ٥٠٣ (شبه).

(٣) مختار الصحاح ١٦١ (شبه).

(٤) تأويل مشكل القرآن ٧٨.

(٥) البرهان في علوم القرآن ٢ / ٦٩ - ٧٠، وينظر: الإتيان في علوم القرآن ٣ / ٣ - ٤.

والثاني: المتشابه اللفظي: وهو: ((إيراد القصّة الواحدة في صور شتى، وفواصل مختلفة))^(١)، وعُرفَ أيضًا بأنه: ((تشابه آيات القرآن الكريم في الألفاظ، والمعاني، بحيث يكون ثمّ تغاير طفيف بين آية، وآية، وفق ما يقتضيه السياق، والتعبير))^(٢)، أو: ((ما تكرّر من القرآن لفظًا، أو مع اختلاف في العبارة والتركيب بأي صورة من الصور، كالنقّديم، والتأخير، والزيادة، والنقصان، وإبدال حرفٍ بآخر، أو كلمةٍ بأخرى، وغير ذلك))^(٣)، وما يهتمنا في دراستنا هو هذا النوع من المتشابه.

أهمية المتشابه اللفظي:

يعد البحث في المتشابه اللفظي من البحوث المهمة التي تكشف إعجاز القرآن الكريم، فالمتشابه اللفظي مرتبط ارتباطًا وثيقًا بعلم المناسبة؛ إذ للسياق الأثر البارز في توجيهه وبيان مناسبته مع مقام الآيات^(٤)، وبما أنّه يبرز إعجاز القرآن الكريم، فتمّة أسباب، ودواعٍ للاهتمام بهذا البحث الدقيق، أبرزها:

١- الرّد على الطّاعنين في كتاب الله ﷻ، فهناك العديد من آيات الله الحكيم المتشابهة في اللفظ، ما أعطى الفرصة لأولئك الذين يتربّصون بكتاب الله للقدح، والتشكيك فيه، قال ابن الزبير الغرناطي: ((وإنما كلامنا معتمد فيه القطع بذوي الزبغ، والارتباب ممن يتعلق بما تشابه منه طعنًا في الدين، واتباعًا لسبيل الملحدين، وشأن هؤلاء التعلّق بأدنى احتمال من غير تسليم لما وراء ذلك))^(٥).

٢- على الرغم من أنّ هدف البحث في المتشابه اللفظي هو إثبات إعجاز القرآن الكريم، إلّا أنّ الأمر تعدى إلى دراسة اللغة دراسةً دقيقة في مستوياتها المختلفة: الصّوتية، والصّرفية، والنحوية، والدلالية، فضلًا عن تتبع معاني النحو الدّقيقة، وبيان اختلافها في سياق الكلام، ما

(١) البرهان في علوم القرآن ١ / ١١٢، وينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٣٩٠.

(٢) معجم علوم القرآن ٢٤١.

(٣) الموسوعة القرآنية المتخصصة ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٤) ينظر: سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة ١٤٧.

(٥) ملاك التأويل ١ / ٥٤.

يستدعي أن يكون الباحث فيه فطنًا، يستطيع إخراج خفاياه^(١).

٣- تبرز أهمية المتشابه اللفظي في أنه معين لحفظ كتاب الله الحكيم بصورة دقيقة دون التباس في المتشابه من الآيات، فحينما يحفظ القارئ آية فيها متشابه لفظي يشد تركيزه على المواطن المتشابهة بصورة مضبوطة، ودقيقة دونما اختلاف.

بين المتشابه اللفظي، والمشارك اللفظي:

يلحظ القارئ في البداية أن هناك تشابهًا بين المصطلحين، ولا سيما تقارب المفردتين رسمًا، إلا أن الأمر ليس كذلك، فهما يختلفان في الدلالة اللغوية والاصطلاحية، وفي وظيفتهما الكلامية، وثمة فروق جوهرية بين المصطلحين من الضروري تمييزها، أبرزها:

١- اختلاف مدلولهما اللغوي، فالمتشابه يعني: ((النَّمَاثِل والإشكال))^(٢)، والمشارك يعني: ((المقارنة، وخلاف المنفرد، وبمعنى: الممتد، والمستقيم))^(٣)، وكذلك اختلاف مدلولهما الاصطلاحي، فالمتشابه سبق تعريفه بأنه: ((إيراد القصّة الواحدة في صورٍ شتّى، وفواصل مختلفة))^(٤)، أمّا المشارك اللفظي فهو: ((اللفظ الواحد الدالّ على معنيين فأكثر دلالةً على السواء عند أهل تلك اللغة))^(٥).

٢- يُعنى المتشابه اللفظي بدراسة علاقة بعض الألفاظ ببعض، بينما المشارك اللفظي يدرس علاقة الألفاظ بالمعاني، قال ابن فارس: ((يسمى الشيئان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام، كـ(رجل وفرس)، وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: (عين الماء)، و(عين المال)، و(عين السحاب)، ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة، نحو: (السيف، والمُهَنّد، والحُسام))^(٦).

(١) ينظر: دلالات التراكيب ٣٤٧ - ٣٤٨، والمتشابه اللفظي في القرآن الكريم ٣٢.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة ٣ / ٢٤٣، (شبه).

(٣) المصدر نفسه ٣ / ٢٦٥، (شرك).

(٤) البرهان في علوم القرآن ١ / ١١٢، وينظر: الإتقان في علوم القرآن ٣ / ٣٩٠.

(٥) المزهري في علوم اللغة وأنواعها ١ / ٣٦٩، وينظر: إفسار الفصيح ١ / ١٧٩، والصاحبي في فقه اللغة ٤٧٠.

(٦) الصاحبي في فقه اللغة ١١٩، وينظر: الكتاب ١ / ٢٤.

٣- لا يُشترط في المتشابه اختلاف اللفظين المتشابهين، نحو قولك: (جاء، وأتى) خلافاً للمشترك، فلا بُدَّ أن يكون دالاً على معنيين فأكثر، وإلا لا تصح تسميته مشتركاً^(١).

٤- من شروط المتشابه اللفظي أن يكون بين لفظين، أو أكثر، سواء أكان هذا اللفظ مفرداً أم غير مفرد، ويكون بين التراكيب، ولا يُسمّى متشابهاً لفظياً إلا إذا كان مشابهاً للفظ، أو تركيباً آخرين، أما المشترك اللفظي فلا يكون إلا لفظاً مفرداً واحداً من دون التراكيب^(٢).

هذا ما يتعلق بجانب الفروقات بين المتشابه اللفظي، والمشارك اللفظي، أما منهجية دراسة المتشابه فقد اختلفت طرائقها قديماً وحديثاً بحسب طريقة كل مؤلف، ولكن في الغالب يعتمد المؤلفون القدامى على طريقة تناول كل سورة على حده وموازنتها، مع مقارنتها بمثيلاتها في السور الأخرى، أما الدراسات الحديثة فتعتمد على تقسيم المتشابه اللفظي بحسب الموضوعات، كالنقد والتأخير، والحذف، والزيادة، وإبدال كلمة بأخرى، وغيرها، وسأتناول تناسب المتشابه اللفظي في سورة (ص) على النحو الآتي:

المتشابه المختلف في التركيب:

ورد هذا النوع من المتشابه في عدة مواضع من سورة (ص)، والسور الأخرى في القرآن الكريم، فنجد الجملة تحمل المعنى نفسه وبتركيب مختلف، ومن أمثلة ذلك:

أ- قوله ﷺ في سورة (ص): ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ۝١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ۝١٣﴾، وقوله في سورة (ق): ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ ثَجِّ كُلُّ كَذِبٍ أَلَسْتَ بِرَسُولٍ فَتَقَوَّى ۝١٤﴾.

فنجد أن التركيب المتشابه في السورتين هو: ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ۝١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ ۝١٣﴾، و﴿قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ ثَجِّ ۝١٤﴾.

فنلاحظ في آيات السورتين الاختلاف في ترتيب ذكر الرسل، وأقوامهم، ومناسبة ذلك أن هذه القصص وردت لتسليّة الرسول ﷺ عما كان يكابده من عتاة قريش، وكفار العرب،

(١) ينظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ١ / ٦٩.

(٢) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١ / ٣٦٩ - ٣٧٠، والصاحبي في فقه اللغة ٤٧٠.

وبالمقابل جُرد في السورتين ذكر هؤلاء العتاة، ولا حاجة إلى ترتيبهم، فلو كان القصد من ذكر قصص الرسل مع قومهم تثبيت فؤاد النبي ﷺ لوجب الترتيب كما ورد في سور الأعراف، وهود، والشعراء، إذ ذكرت أنباؤهم على الترتيب بحسب زمان إرسال الرسل^(١).

ب- قال ﷺ في سورة (ص): ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٧٤﴾، وفي موضع آخر من القرآن الكريم قال ﷺ: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣١].

نلاحظ أنه ﷺ ذكر السجود في آية سورة الحجر، ولم يذكرها في آية سورة (ص)، ومناسبة ذلك أن موضوع السجود في سورة الحجر شائع أكثر من سورة (ص)، ففي قصة الحجر ورد السجود ست مرات فقال ﷺ:

- ﴿... فَفَعُّوا لَهُ سَاجِدِينَ ٢٩﴾.
 - ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ٢٠﴾.
 - ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ٣١﴾.
 - ﴿... مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ٣٢﴾.
 - ﴿.. لَمْ أَكُنْ لِسَجْدَ لِشَرٍ ... ٣٣﴾.
 - ﴿... وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ٩٨﴾.
- في حين ورد ذكر السجود في ثلاثة مواضع فقط من سورة (ص)، فقال ﷺ:

- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ٧٢﴾.
- ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ٧٢﴾.
- ﴿قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ... ٧٥﴾.

وحتى إنه عند التعرُّض لذكر خبر توبة نبي الله داود عليه السلام لربه لم يذكر في السورة لفظ السجود، بل ذكر الركوع، فقال ﷺ: ﴿... وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ٢٤﴾، كل ذلك يفسر مناسبة ذكر السجود في آية سورة الحجر، وعدم ذكره في آية سورة (ص).

ت- قال ﷺ في سورة (ص): ﴿... مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ... ٧٥﴾، وفي موضعين آخرين قال ﷺ:

(١) ينظر: ملاك التأويل ٢ / ٤١٥.

﴿.. مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ ...﴾ [الأعراف: ١٢]، وقال: ﴿... مَا لَكَ إِلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢].

نلاحظ أن هذه الآيات متفقة في المعنى، ومختلفة في التركيب، مع أنها تقع في قصة واحدة، وهي قصة إبليس مع ربه حينما تكبر على أمره، وأبى أن يسجد لآدم عليه السلام، وهذا الاختلاف في التركيب يجوز؛ لأن ((اقتصاص ما مضى إذا لم يقصد به أداء الألفاظ بأعيانها، وإنما المقصود ذكر المعنى، فإن الألفاظ إذا اختلفت، وأدت المعنى المقصود كان اختلافها، واتفاقها سواء))^(١).

المتشابه المختلف في الإبدال:

نجد الإبدال في هذا النوع من المتشابه في الاسم، أو الفعل، أو الحرف، أو شبه الجملة وسأتناول دراسة ذلك على النحو الآتي:

١ - الإبدال بين اسمين مختلفين:

ومن صور التناصب اللغوي إبدال اسم مكان اسم، من ذلك:

أ- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنِّ هَذَا شَيْءٌ عَجَابٌ﴾ ﷻ، وفي مواضع أخرى قبلها قال ﷻ: ﴿قَالَتْ يَوَئِلَيَّ إِلَهُ وَاَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنِّ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢]، وقال: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: ٢].

نلاحظ أنه ﷻ ذكر في سورة (ق): ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، وفي سورة هود قال ﷻ: ﴿إِنِّ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، وفي سورة (ص) قال: ﴿إِنِّ هَذَا شَيْءٌ عَجَابٌ﴾، فعدل من ﴿عَجِيبٌ﴾ إلى ﴿عَجَابٌ﴾، فتدرج في العجب بحسب قوته، ففي سورة (ق) تعجب المشركون من أن يأتيهم رسول منهم فقالوا: ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، وفي سورة هود كان العجب أكبر؛ إذ من غير المعتاد أن تلد العجوز، وزاد من العجب أنها عقيم، وزد على ذلك أن زوجها شيخ كبير، فاجتماع كل هذه الظروف تجعل الحمل والولادة أمراً بعيداً جداً، لذا أكد العجب بـ(إِنَّ واللام)، فقال ﷻ: ﴿إِنِّ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، بخلاف آية (ق) التي لم تؤكد العجب.

(١) (درة التنزيل وغرة التأويل ٢ / ٥٧٢، وينظر: أسرار التكرار في القرآن ١١٨).

وأما في سورة (ص) فكان العجب أكبر؛ إذ اعتاد المشركون عبادة الأصنام من زمن آبائهم، وأجدادهم، وهذه العبادة جزء من عاداتهم، وتقاليدهم التي من غير الممكن التفریط فيها، وحين جاء الإسلام وأمرهم بتوحيد الله ﷻ، وترك عبادة الأوثان كان عجبهم كبيراً، فقالوا: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾، فأكد العجب بـ(إِنَّ، واللام)، وعُدِلَ من ﴿عَجِيبٌ﴾ إلى ﴿عُجَابٌ﴾؛ لَأَنَّ (فُعَالاً) أبلغ من (فَعِيل) عند العرب، فإذا قلت: (هو رَجُلٌ طَوِيلٌ) فهو الطول يكون مثله، فإذا زاد الطول عن المعتاد قلت: (رَجُلٌ طَوَالٌ)، ومثله (كَرِيمٌ وَكَرَامٌ) ^(١).

ب- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۖ﴾، وقال في موضع آخر: ﴿... كُلُّ كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٤]، فالآيتان اختلفتا في خاتمتها، ففي سورة (ص) ورد: ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾، وفي سورة (ق): ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾.

ومناسبة هذا الاختلاف أن سورة (ص) مبنية على ختام فواصلها بالباء، فناسب ذلك اللفظ الذي انتهت به وهو ﴿عِقَابِ﴾، والآية [١٤] تقع ضمن الآيات الأولى التي وصفت فرعون بـ﴿ذِي الْأَوْنَادِ﴾ ^(٢)، قال الكرمانى: ((بنيت فواصلها على ردف أواخرها بالباء، والواو، فقال في هذه السورة: ﴿الْأَوْنَادِ﴾، ﴿الْأَحْزَابِ﴾، ﴿عِقَابِ﴾)) ^(٣).

ومناسبة مجيء لفظ ﴿وَعِيدِ﴾ في سورة (ق) هو مراعاة فواصل السورة، فقال ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۖ﴾، ثم قال ﷻ: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۖ﴾، وورد في فواصل الآيات التي أتت بعدها قوله ﷻ: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۖ﴾ إلى عدة آيات جرت في مقاطعها على ما ذكر، فناسب ذلك قوله ﷻ: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلُّ كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۖ﴾، وجاء كل على ما يناسب

(١) أسرار البيان في التعبير القرآني، سلسلة محاضرات لفاضل السامرائي،

<http://shamela.ws/index.php/book/1445>

(٢) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ١ / ١١٠٢.

(٣) أسرار التكرار في القرآن ٢١٧.

السياق^(١).

ت- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِ رُحَاءٍ... ﴾ (٣٦) ، وقال ﷻ في سورة الأنبياء: ﴿ وَلَسْلِمْنَا الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحها شَهْرٌ... ﴾ (٨١) ، فوصفت الريح في آية سورة (ص) بـ(الزُّخاء)، وتعني: الرخاوة، أي: ((إنها كانت رخوة طيبة في نفسها، عاصفة في مرورها كما قال ﷻ: ﴿ وَلَسْلِمْنَا الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحها شَهْرٌ... ﴾ [سبأ: ١٢]، أو إن ذلك كان باعتبار حالين على حسب ما يأمرها سليمان ﷺ))^(٢)، وفي آية سورة الأنبياء وُصفت الريح بأنها عبارة عن عاصفة شديدة، وذلك يعني أنها وُصفت في الآيتين بالوصف نفسه، وبلفظين مختلفين.

ث- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ اطَّرِفُ عَيْنٌ ﴾ (٥٢) ، وفي سورة الصافات قال ﷻ: ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ اطَّرِفُ عَيْنٌ ﴾ (٤٨).

فاختتمت الآية في سورة (ص) بلفظ ﴿ أَزْرَابٌ ﴾، لتتناسب مع فواصل آيات المقطع الذي توجد فيه؛ إذ قال ﷻ قبلها: ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ (٤٩) جَنَّتِ عَدْنٍ مُفَنَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَكِبِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَكَهْمٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾، وقال ﷻ بعدها: ﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (٥٣) ، وقال: ﴿ هَذَا وَابٌّ لِّلطَّغِينَ لَشَرِّ مَآبٍ ﴾ (٥٥) ، فتتناسب استعمال اللفظ في الآيات مع سياق مختتم الآيات السابقة لها، واللاحقة.

وجاء لفظ ﴿ عَيْنٌ ﴾ في سورة الصافات؛ ((لأن فواصل الآيات التي في السورة مردفة أواخرها بالياء، أو بالواو، والقصد التوفقة بين الألفاظ مع صحّة المعاني))^(٣).

ج- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ (٧١) ، وفي موضع آخر قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً... ﴾ [البقرة: ٣٠].

ففي آية سورة (ص) ورد لفظ ﴿ خَلِقُ ﴾؛ لأنَّ الخلق واحد لا يتجدّد عبر الزمان، فحين يخلق الله ﷻ هذا الإنسان يبقى يحمل مكوناته الجسدية من رأس، وبطن، وأطراف، وغيره، لا

(١) ينظر: ملاك التأويل ٢ / ٤١٩.

(٢) كشف المعاني في المتشابه من المثاني ٢٧٥.

(٣) درة التنزيل وغرة التأويل ١ / ١١٠٣ - ١١٠٤.

تتبدل عبر الزمان، فناسب ذلك استعمال لفظ ﴿خَلِيقٌ﴾ في هذا السياق.

أما في آية سورة البقرة فاستعمل لفظ ﴿جَاعِلٌ﴾؛ ليتناسب مع لفظ ﴿خَلِيفَةً﴾؛ لأنَّ الخلفاء يتغيرون، ويتجددون، ويخلف بعضهم بعضًا عبر الزمن^(١).

٢- الإبدال بين فعلين مختلفين:

ومن صور التناسب اللغوي إبدال فعل مكان فعل، من ذلك:

أ- قال ﷺ في سورة (ص): ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ...﴾ ، وقال ﷺ في موضع آخر: ﴿أُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا ...﴾ [القمر: ٢٥].

نلاحظ أن آية سورة (ص) استعملت لفظ ﴿أُنْزِلَ﴾؛ لأنها تقصُّ علينا حكاية كفار قريش، فحين قرأ عليهم الرسول محمد ﷺ قوله ﷺ: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ...﴾ [النحل: ٤٤]، ومثله قوله ﷺ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ...﴾ [الفرقان: ١]، أجابوا بالوارد في قوله ﷺ: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ...﴾^(٢).

بينما في سورة القمر هو ((حكاية عن قوم صالح، وكان يأتي الأنبياء يومئذ صحف مكتوبة، وألواح مسطورة، كما جاء إبراهيم، وموسى، فلماذا قالوا ﴿أُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ ...﴾، مع أن لفظ الإلقاء يستعمل لما يستعمل له الإنزال))^(٣).

ب- قال ﷺ في سورة (ص): ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ، وقال في موضع آخر: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، فاختصت الآية في سورة (ص) بلفظ ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ بناءً التفعيل، بينما اختصت الآية في سورة إبراهيم بلفظ ﴿وَلِيَذَكَّرَ﴾، ومناسبة ذلك أنه في آية سورة (ص) في قوله ﷺ: ﴿لِيَدَّبَّرُوا﴾ يوجد حرفان من الحروف الشديدة، وهما: الباء، والdal، وثانيهما

(١) ينظر: أسرار التكرار في القرآن ١٥٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢١٦.

(٣) المصدر نفسه ٢١٦.

مضعّف، وجاء قوله ﷺ: ﴿وَلْيَذْكُرْ﴾ على النسق نفسه، فيه حرفان من حروف الشدة، وهما: الكاف والتاء، وثانيهما مضعّف (١).

أما الآية في سورة إبراهيم، فقد ورد بها قوله ﷺ: ﴿وَلْيُنْذِرُوا بِهِ، وَلْيَعْلَمُوا﴾؛ إذ تكونت الكلمتان من أحرف جميعها رخوة، وهي ضد الشديدة، وناسب ذلك ورود لفظ ﴿وَلْيَذْكُرْ﴾ في الآية نفسها؛ إذ تكوّن من الحروف الرخوة، وليس به من الحروف الشديدة غير الكاف (٢).

ت- قال ﷺ في سورة (ص): ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٧٤)، وقال في موضع آخر: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣١]، فورد في آية سورة (ص) لفظ (الاستكبار)، وفي آية سورة الحجر لفظ (الإباء)، وهما لفظان مختلفان في المعنى، ف(الإباء) يعني: الرفض والامتناع، بينما (الاستكبار) يعني: أن يرى الشخص نفسه خيراً من الآخرين (٣).

وتناسب لفظ (الاستكبار) في آية سورة (ص) مع سياق بقية الآيات، فقال ﷺ في سؤال إبليس: ﴿... اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ (٧٥)، ثم قال ﷺ في بيان جواب إبليس عن السؤال: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (٧٦)، ويحمل هذا الجواب تكبر إبليس واستعلاءه على أمر ربه، بدليل أنّ ربّ العزة ردّ عليه في سورة الأعراف فقال: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا...﴾ (١٣).

فضلاً عن أنّ موضوع السورة يدل على الاستكبار، والعلو، فقد ذكر ﷺ في أولها أن حال الكافرين في عزة، وشقاق دائمين فقال: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ (٢)، فهم في استكبار دائم عن اتباع الحق.

(١) ينظر: ملاك التأويل ٢ / ٢٨٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢ / ٢٨٨.

(٣) أسرار البيان في التعبير القرآني، سلسلة محاضرات لفاضل السامرائي،

ثم ذكر ﷺ قصّة الخصمين اللذين بغى أحدهما على صاحبه، واستكبر عليه، والباغي ظالم، مستعلٍ، متكبر، وذكر ﷺ الطّاعين، وعذابهم يوم القيامة فقال: ﴿ هَذَا وَابِكُ لِلطّٰغِيْنَ لَشَرِّ مَتَابٍ ٥٥ ﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِرُ الْمُهَادُ ﴿٥٥﴾، والطّاعى مستكبر، ظالم، لا يبالى بعاقبته، وذكرت السّورة موقف المشركين حينما كانوا يسخرون من الناس ويستحقرونهم، فقال ﷺ: ﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ ٦٢ ﴾ أَخَذْنَهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٢﴾، ولا يسخر من الناس إلا المتكبر، ومن ذلك نجد أنّ استعمال الفعل ﴿ اسْتَكْبَرَتْ ﴾ في الآية جاء مناسباً لسياقها، والموضوع العام للسورة.

واستعمل في آية سورة الحجر الفعل ﴿ أَبَى ﴾، ولم يُستعمل الفعل ﴿ اسْتَكْبَرَتْ ﴾، وهذا يتناسب مع سياق السّورة، فحينما سأل الحق ﷻ إبليس عن السبب في امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام، رد عليه: ﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاسِلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ٣٣ ﴾، وهذا مناسب للفعل ﴿ أَبَى ﴾؛ لأنه يدل على الامتناع، والرّفص، لكنه لا يدل على الاستكبار، فحينما يقول القائل: (لم أكن لأفعل كذا)، لم يُفد قوله الاستكبار عن فعله، بل أفاد امتناعه عنه.

وموضوع السّورة بشكل عام يدل على الامتناع، والرّفص، والأمثلة على ذلك عديدة، فقد ذكرت السّورة أنّ قسماً من الكفار يرفضون الهداية، ولو جئت بالأسباب جميعاً، فقال ﷺ: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ١٤ ﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٤﴾، وذكرت أنّ نبي الله لوطاً عليه السلام طلب من قومه عدم التعرّض لضيّفه، فقال ﷺ: ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ٦٨ ﴾ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٨﴾، فامتنعوا عن إجابة طلبه، وقالوا: ﴿ ... أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ٧٠ ﴾، وورد فيها أنّ أصحاب الحجر رفضوا الآيات التي جاء بها نبيهم، وأعرضوا عنها، فقال ﷺ: ﴿ وَءَايَتْنَاهُمْ ءَايَتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ٨١ ﴾.

من ذلك نجد أنّ الفعل ﴿ أَبَى ﴾ تناسب مع الموضوع العام للسورة.

ث- قال ﷺ في سورة (ص): ﴿ قَالَ فَخَرِّجْ مِنْهَا... ﴾ ﴿٧٧﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿ قَالَ فَاهْطِ مِنْهَا... ﴾ ﴿١٣﴾، فتضمّنت الآيتان تعبيرين مختلفين، هما: الخروج، والهبوط، ففي سورة الأعراف

أمر ﷺ آدم ﷺ بالهبوط من الجنة، ولم يقصد تعنيفه، بينما أمر إبليس بالخروج منها أمراً يوحى بالتعنيف، فبعد أن تكبر إبليس على ربه، ورفض ما أمر به، غضب الله ﷻ عليه غضباً شديداً، وطرده من الجنة، وأمره بالخروج، فقال ﷻ: ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا﴾، فناسب تعبير الخروج غضب الله ﷻ على إبليس، بينما ناسب تعبير الهبوط رضا الله ﷻ عن نبيه آدم ﷻ (١).

ج- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٥)، وفي سورة الحجر: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٤٢)، فذكر ﷻ لفظ الاتباع مخففاً في سورة (ص) (تبع)، ولكن التحذير من اتباع إبليس شديد للغاية ﴿مِنْكَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، وجاء لفظ الاتباع مشدداً في سورة الحجر (اتبع)، ولكن بصورة أقل حدة من وروده في سورة (ص) ﴿إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾، ومناسبة ذلك أنه لما قال ﷻ بعد القصة في سورة الحجر: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤١)، ناسب ذلك أن يخفف على عباده، ويرحمهم بأن لا يدخل النار إلا من بالغ في اتباع إبليس، وطاعته، فلم يرد ذلك في سورة (ص) كان التحذير شديداً.

فضلاً عن أن جو سورة الحجر يوحى بالتخفيف، ومثال ذلك: مجيء قصة آدم ﷻ في سورة الحجر بعد ذكر الله ﷻ نعمه على عباده في قوله: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ (١١) وجعلنا لكم فيها معيش ومن لستم له بربزقين (٢٠) وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم (٢١) وأرسلنا الريح لوفع فأنزلنا من السماء ماءً فأسقينكموه وما أنتم له بخزيين﴾، فناسب ذلك ورود فعل الاتباع مخففاً.

بينما الجو العام في سورة (ص) يوحى بالتشديد؛ إذ وردت قصة آدم ﷻ بعد ذكر عقوبات الكافرين في الآيات [٥٥ - ٦٤]، فناسب ذلك مجيء التعبير عن الاتباع بالتشديد، فكل تعبير ناسب السياق الوارد فيه.

٣- إبدال حرف من حرف:

ومن صور التنااسب اللغوي في المتشابه اللفظي إبدال حرف مكان حرف، ومثال ذلك:

(١) ينظر: ملاك التأويل ١ / ١٧٨.

قوله ﷺ في سورة (ص): ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ۝٤﴾.

وقوله في سورة (ق): ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢﴾.

فالتَّرْكِيْب المتشابه في السورتين هو قوله ﷺ في سورة (ص): ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾، وقوله في سورة (ق): ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾، فنلاحظ أنَّ الفعل الماضي: (قال) ارتبط بواو النسق في سورة (ص)، بينما ارتبط بـ(فاء) التعقيب في سورة (ق)، ومناسبة ذلك أنَّ آية (ص) تخبرنا عن بعض ما ارتكبه كفار قريش من أفعال وأقوال ضد الرسول ﷺ، وأنَّهم في عِزَّة، وشقاق، وأنَّهم عجبوا أن بعث منهم رسولاً، وأنَّهم اتهموه بالسَّحر والكذب، وتَعَجَّبوا من جعله الآلهة إلهاً واحداً، إلى آخر ما ذكرته السُّورة من أخبارهم، فلما قُصد هنا الإخبار عن جملة مرتكباتهم من الأفعال، والأقوال جاءت بعضها منسوقاً على بعض بالواو التي لا تقضي ترتيباً، ولا تعقيباً^(١)، قال الكرمانى: ((لأنَّ اتصاله بما قبله في هذه السُّورة معنوي، وهو أنَّهم عجبوا من مجيء المنذر، وقالوا: هذا المنذر ساحر كذاب))^(٢)، قال أبو عبدالله الكنانى: ((ما قبل سورة (ص) لا يصلح أن يكون سبباً لقولهم: ﴿سِحْرٌ كَذَابٌ﴾، فجاء بالواو العاطفة))^(٣).

وقُصد في آية (ق) التَّعْرِيف بتعجب الكافرين من البعث، واستبعادهم له، فالسورة أقامت الدلالة عليهم باعتبار خلق السماوات، وما فيها من نجوم، وإحكام صنعها، وخلق الأرض، وتثبيتها بالجبال، وإخراج أصناف النبات، وإنزال الماء من السماء، وضروب الحبوب، والنَّخل الباسقات ذات الطلع النضيد، ثم قال ﷺ: ﴿... كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝١١﴾، فلما كان قولهم: ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ مبنياً على ما جاءهم به ﷺ، معلماً لهم البعث بعد الموت جعل مجيئه مخبراً بذلك، سبباً في تعجيزهم، فربط فيه بالفاء، وكأنَّ القول هو: عجبوا من البعث بعد الموت فقالوا كذا^(٤)، قال الكرمانى في بيان سبب اتصال الفعل بالفاء في آية (ق): ((واتَّصاله في (ق)

(١) ينظر: ملاك التَّأْوِيل ٢ / ٤١٤.

(٢) أسرار التَّكْرَار في القرآن ٢١٦.

(٣) كشف المعاني في المتشابه من المثنى ٣١٠.

(٤) ينظر: ملاك التَّأْوِيل ٢ / ٤١٤ - ٤١٥.

معنوي، ولفظي، وهو أنهم عجبوا فقالوا: ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، فراعى المطابقة، والعجز، والصدر، وختم بما بدأ به، وهو النهاية في البلاغة))^(١)، و((ما قبل سورة (ق) يصلح سبباً لما قالوا بعده، فجاء بالفاء))^(٢).

وتخبرنا الآية في سورة (ق) عن تعجب الكافرين في أنفسهم، واتصال قولهم به، فقال ﷺ: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾^(٣)، فجاء آخر الكلام مرتبطاً بأوله، وراجعاً إليه؛ فهو يخبر عن حصول العجب في ضميرهم حينما قالوا بعد ذلك: ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، فكان لزماً استعمال الفاء في مقام الآية^(٣).

٤ - إبدال شبه الجملة:

ومن صور التناصب اللغوي الإبدال بين شبه الجملة، من ذلك:

أ- قال ﷺ في سورة (ص): ﴿وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا...﴾^(٤٣).

وفي سورة الأنبياء يقول ﷺ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا...﴾^(٨٤).

نلاحظ أنه في آية سورة (ص) ورد قوله ﷺ: ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾، وفي آية سورة الأنبياء ورد: ﴿رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا﴾، ومناسبة ذلك أنه لما أخبر ﷺ في سورة (ص) عن النبي أيوب عليه السلام في قوله: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾^(٤١)؛ إذ شكاً إلى ربه أذى الشيطان، ووسوسته حتى يضيق صدره، وينقص حمده، فصبر، وهان عليه المرض حتى لا يخل بالطاعات كرمه الله ﷻ بأن أغاثه برحمة منه، مضافة إليه، مختصة بإرادته، فقال ﷺ: ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾؛ إذ إن هناك بعض الأفعال التي يختصها ﷻ لنفسه، ويضيفها إليه، كما في قوله: ﴿... أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدَّتِي ...﴾ [ص: ٧٥]، وبعضها يأمر بها ملائكته مع أنها من فعله جلّ شأنه، كقوله: ﴿... فَتَفْخَنَ فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ...﴾ [الأنبياء: ٩١].

(١) أسرار التكرار في القرآن ٢١٦.

(٢) كشف المعاني في المتشابه من المثاني ٣١٠.

(٣) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ١ / ١١٠٠.

ولأنَّ المصيبة التي أُصيب بها أيوب عليه السلام عظيمة فقد رحمه الله تعالى رحمة من عنده، وأنعم عليه نعمة لا مثيل لها، فاخصَّه بفعله، ولم يولِّه أحدًا من ملائكته، وبه غاية الرحمة لنبيه أيوب عليه السلام ^(١)، ولهذا تناسب قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾ مع سياق الآية.

وفي سورة الأنبياء قال تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾، ولم يقل: ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾ كما في سورة (ص)، ففيها أخبر الله تعالى عن أيوب عليه السلام أنه نادى ربه، واشتكى له من سوء حاله بعد أن بلغ فيه المرض مبلغه فقال: ﴿...مَسَّنِيَ الضُّرُّ...﴾ (٨٢) فقد طالت أيام المرض حتى تساقط لحمه، وتآكل جسمه، وأصيب بالفقر، فكأنه بهذا النداء يقول لربه: مسني من عندك يا رب ما تعلم، وأنت أرحم الراحمين، فاستجاب الله تعالى لدعائه فقال: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾، ومعنى ﴿مِّنْ عِندِنَا﴾ أي: من حيث لا يقدر عليه العباد، فكل شيء يختصُّ بقدرة الله وحده يطلق عليه: (عند الله)، فكما كان الضر من عند الله، كان كشفه من عنده تعالى ^(٢).

ب- قال تعالى في سورة (ص): ﴿...وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ (٤٣)، وقال في موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿...وَذَكَرَى لِلْعَبِيدِ﴾ [الأنبياء: ٨٤]، فتناسب ذكر العابدين في سورة الأنبياء ما قبلها من ذكر عبادة أيوب عليه السلام لربه، بينما أبدلت الكلمة في آية سورة (ص) بلفظ (أولي الألباب) مع أنَّ ما قبل الآية يُحدث فيه عن صبر أيوب عليه السلام وعبادته لربه بهذا الصبر، ومناسبة ذلك هو أنَّ ((أولي الألباب يورثهم مقام العابدين، وهو أسنى مقام، وكل ذلك بعد مقامات عليَّة، وأوال جليَّة، وقد جرى مع كل مقام ما يناسبه، ووضح أن كلا من هذه الميِّنات على ما قبلها لا يناسبه غير ما بني عليه)) ^(٣).

المتشابه المختلف في أحوال الاسم:

ترد في القرآن الكريم آيات متشابهات في المعنى، ولكنها تختلف في حال الاسم من حيث:

أ- المفرد، والجمع:

قال تعالى في سورة (ص): ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَلا تَحِثْ مِنَّا﴾ (٣)، وفي سورة

(١) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ١ / ٩٠٩ - ٩١١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ١ / ٩٠٧ - ٩١١.

(٣) ملاك التأويل ٢ / ٣٥١.

(طه) يقول ﷺ: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأُنْهَى﴾ (١٢٨).

فلنحظ في شبه الجملة ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾ الواردة في سورة (ص) مجيء الاسم بصيغة المفرد، ومناسبة ذلك أنَّ القرن معروف، وهو الذي يسبق القوم المتحدث عنهم ووضحتهم السورة في قوله ﷺ ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ﴾ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ ... (١٣)، بينما في سورة (طه) جاء الاسم في شبه الجملة ﴿مِنْ الْقُرُونِ﴾ بصيغة الجمع؛ لأنَّ الأقسام المذكورين غير معروفين بأعيانهم^(١).

ب- التعريف بالإضافة، وب(أل):

جاء في سورة (ص) قوله ﷺ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٧٨)، وفي سورة الحجر قال ﷺ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٣٥).

فاللعن يعني شيئاً واحداً، ولكنه أتى بتعريفين مختلفين، فجاء في سورة (ص) معرّفاً بالإضافة، وفي سورة الحجر معرّفاً ب(أل)، ومناسبة ذلك أنَّ القصة في سورة الحجر ابتدأت بذكر خلق الله ﷻ الإنسان، والجان، وهما معرّفان ب(أل)، فقال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (٣٦) وَلَجَّانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُورِ، ثم قال ﷺ: ﴿قَالَ يَبْنَطُ مَا لَكَ إِلَّا تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (٣٢)، فاستحق إبليس من الجزاء بترك السجود اللفظ الذي ابتدأت به القصة، وهو اسم الجنس المعرّف بالألف واللام.

بينما الأمر في سورة (ص) مختلف؛ لأنَّ القصة ابتدأت بقوله ﷺ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَالِقُ بَشَرٍ مِنْ طِينٍ﴾ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَبْنَطُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ، فهي لم تفتتح بذكر الصنفين من الإنس، والجن باللفظ المعرف بالألف واللام كما في سورة الحجر، وجاء لفظ ﴿أَنْ تَسْجُدَ﴾ بدلاً عن ﴿السَّاجِدِينَ﴾ الوارد في سورة

(١) ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني ٢٦٧.

الحجر (١)، ثم قال ﷺ: ((لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ) فخصَّصه بالإضافة إليه دون واسطة يأمره بقلعه، أجري لفظ ما استحقه من العقاب على لفظ الإضافة، كما قال: ﴿يَدَيَّ﴾، فقال: ﴿وَلِإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾، فكان الاختيار في التوفقة بين الألفاظ التي افتتحت بها الآية، واستمرت إلى آخرها هذا)) (٢).

المتشابه المختلف في الذكر، والحذف:

قد يأتي تركيبان أو أكثر متشابهين في المعنى، ولكنهما مختلفان في ذكر بعض الألفاظ وحذفها، ومن أمثلة ذلك:

أ- الذكر، والحذف في الاسم:

قال ﷺ في سورة (ص): ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي...﴾ (٧٩)، وفي سورة الأعراف قال ﷺ: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي...﴾ (١٤).

نلاحظ في آية سورة (ص) ذكر الاسم: ﴿رَبِّ﴾؛ لأنَّ ذلك يتناسب مع السؤال الذي سُئِلَ به إبليس وتضمَّن ذكر الاسم في قوله ﷺ: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَدْنَى...﴾ (٧٥)، بينما حُذِفَ الاسم من آية سورة الأعراف؛ لأنَّ السؤال كذلك حذف الاسم منه في قوله ﷺ: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ...﴾ (١٢)، فتناسب الذكر، والحذف في السؤال مع الذكر، والحذف في الجواب (٣).

ب- الذكر، والحذف في الفعل:

قال ﷺ في سورة (ص): ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُعَوِّبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢)، وقال في سورة الحجر: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُعَوِّبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩).

نلاحظ أن لفظ التزيين ﴿لأُزَيِّنَنَّ﴾ ذُكِرَ في آية سورة الحجر، ولم يذكر في آية سورة (ص)، ومناسبة ذلك أنَّ الزينة ورد ذكرها في سورة الحجر في الآيات السابقة، فقال ﷺ:

(١) ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل ٢ / ٨١٦ - ٨١٧.

(٢) المصدر نفسه ٢ / ٨١٧.

(٣) ينظر: أسرار التكرار في القرآن ١١٧.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ (١٦)، وقال ﷺ في موضع آخر من السورة: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨)، وهذا من التزيين في الأرض، بينما لم يذكر ذلك في سورة (ص)، ولهذا ناسب ذكر فعل التزيين في آية سورة الحجر دون آية سورة (ص) (١).

ت - الذكر، والحذف في الحرف:

١ - قال ﷺ في سورة (ص): ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتْ حِينَ مَنَاصٍ﴾ (٣)، وقال في سورة مريم: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْثَاوَرِيًّا﴾ (٧٤)، وفي سورة (طه): ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ (١٢٨).
فالتركيب المتشابه في الذكر، والحذف في السور الثلاث هو قوله ﷺ في سورة (ص): ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾، وقوله في سورة مريم: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾، وقوله في سورة (طه): ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾.

من ذلك نلاحظ أنه يوجد فرق في التراكيب الثلاثة، فنجد في سورة (ص) لفظ ﴿قَبْلِهِمْ﴾ مجرورة بـ ﴿مِنْ﴾ الزائدة، بينما لا نجد هذه الزيادة في الآيتين الأخريين من سورتي مريم، و(طه)، ومناسبة ذلك أن ﴿مِنْ﴾ تُزاد من أجل التعليل في الوعيد، والتهديد، وشدة التخويف (٢)، وهذا مناسب لمقتضى وجودها في آية سورة (ص)؛ إذ إنَّ من مقاصد سورة (ص) بيان جزاء المُكذِّبين وعاقبتهم، وإثبات وحدانية الله ﷻ، فلاقى ذلك صدًا من المشركين، وأمعنوا في إيذاء النبي محمد ﷺ، وحذرتهم السورة من أن يحل عليهم الهلاك، والعذاب كما أهلك الأُمم السابقة المكذبة لرسولها، وآية سورة (ص) جاءت نالية لآيتين تحملان الشدة، والغلظة على الكافرين في قوله ﷺ: ﴿صَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ (١) بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ، وارتفعت حدتها في هذه الآية ما ناسب استعمال لفظ ﴿مِنْ﴾ تماشيًا مع توالي ذلك الوعيد،

(١) أسرار البيان في التعبير القرآني، سلسلة محاضرات لفاضل السامرائي،

<http://shamela.ws/index.php/book/1445>

(٢) ينظر: ملاك التأويل ١ / ١٤٣.

والتهديد.

أما آية سورة مريم، فلا يوجد فيها، أو فيما سبقها من الآيات القريبة منها ما يحمل التهديد، والوعيد، وبالمقابل لم تذكر ﴿ مِنْ ﴾؛ لأن وجودها لا يتناسب مع توازن الآية بما سبقها من آيات.

ولم تذكر ﴿ مِنْ ﴾ في آية سورة (طه)؛ لأن الآية توحى بالرجاء، وعظيم الحلم، والرفق وليس الوعيد، والتهديد، فابتدأت بقوله ﷻ: ﴿ أَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾، وانتهت بقوله ﷻ: ﴿ لِأُولَى الْأُنْثَى ﴾، وهذا يدل على انتظام المعاني في الآية (١).

فضلاً عن أن ((القائل إذا قال: (كم أهلكنا قبلهم) فكأنه قال: في الزمن المتقدم على زمانهم، وإذا قال: (من قبلهم) فكأنه قال: من مبتدأ الزمان الذي قبل زمانهم، والزمان من أوله إلى آخره ظرف للإهلاك، لا يختص به بعضه دون بعض)) (٢).

٢- قال ﷻ في سورة (ص): ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٧٨) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾، وتكرر هذا التركيب في الآيتين [٣٦ - ٣٧] من سورة الحجر، وفي سورة الأعراف قال ﷻ: ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾.

نلاحظ في هذه التراكيب زيادة حرف الفاء في الألفاظ: ﴿ فَأَنْظِرْنِي ﴾، و﴿ فَإِنَّكَ ﴾ من آيتي (ص)، والحجر وكذلك زيادة النداء بـ ﴿ رَبِّ ﴾، ولم يرد ذلك في آية الأعراف، وسبب ذلك هو مناسبة الإسهاب، والإيجاز، والتأكيد، فنجد في سورة الأعراف مجموع الكلام منذ ابتداء قصة خلق آدم ﷺ، ورفض إبليس السجود له في قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (١١) إلى قوله ﷻ: ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (١٤) [٤٣] كلمة، والوارد في سورة الحجر من قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ (٣٦) إلى قوله ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٣٦) [٧٤] كلمة، وفي سورة (ص) من قوله ﷻ: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴾ (٧١) إلى قوله ﷻ:

(١) ينظر: ملاك التأويل ١ / ١٤٣.

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل ١ / ٨٩٨.

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾ [٦٦] كلمة، من ذلك يتَّضح ما قُصد في سورة الأعراف من إيجاز في الإخبار عن القصَّة، وما في سورتي الحجر و(ص) من الإطناب، والإسهاب، وزاد ذلك ما ورد فيهما من التأكيد بـ(كل، وأجمع) في الآية [٣٠] من سورة الحجر، والآية [٧٣] من سورة (ص)، فقال ﷺ: ﴿...كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾، ولم يرد مثل ذلك في سورة الأعراف، فتناسب ذلك مع الإطناب، والتأكيد، وناسب ما ورد من الزيادة^(١).

(١) ينظر: ملاك التأويل ١ / ١٧٨ - ١٧٩.

الخاتمة

الخاتمة

يكشف البحث في ميدان الدراسات القرآنية بديع نظم القرآن الكريم، ودقته في اختيار صيغ مفرداته، وروعة أسلوبه، فضلاً عن الوقع الموسيقي الذي يتركه في نفس القارئ، إذ يعبر عن الصيغة أحياناً باسم الفاعل، وتارة بالصيغة المشبهة، أو صيغة المبالغة، ومن خلال ذلك يظهر أثر علم المناسبة في إبراز أسرار الآيات، ومكنوناتها، وعلاقة الآية بما قبلها ضمن مقطع من الآيات، وعلاقة هذا المقطع مع المقاطع الأخرى في السورة، وينتهي الأمر بإثبات تناسب السورة مع ما قبلها وما بعدها ضمن ترتيب النزول، والترتيب المصحفي، وتناسبها من خلال العلاقات الداخلية المتنوعة في السورة نفسها، وعلاقاتها ببعض الآيات في السور الأخرى من القرآن الكريم.

وكان البحث في سورة (ص) تطبيقاً لما تقدم، وخرج بمجموعة من النتائج، هي:

١- نلاحظ تناسب سور (القمر، و(ص)، والأعراف) ضمن ترتيب النزول، وظهر هذا التناسب من خلال الوحدة الموضوعية في فواتحها، وموضوعاتها، إذ افتتحت السور الثلاث بالمعجزات، فقال ﷺ في سورة القمر: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١﴾، وقال في سورة ص: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝١﴾، وفي سورة الأعراف قال ﷺ: ﴿الْمَص ۝١﴾. ومن حيث الموضوعات تناسبت السور الثلاث في عدة جوانب، منها:

أ- بيان ثواب المتقين، كقوله سبحانه في سورة القمر: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤﴾ في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مُّقْدِرٍ ۝٥٥﴾، وقوله في سورة (ص): ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَكَابٍ ۝٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مِّنْفَحَةٍ هُمْ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرِاتٌ الْمُطَرِّفَاتُ ۝٥٢﴾، وفي سورة الأعراف يقول ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٤٤﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٧﴾

ب- بيان جزاء المشركين، كقوله ﷺ في سورة القمر: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ

فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ ﴿٥٥﴾، وفي سورة (ص): ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّغِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفُ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ﴿٥٦﴾، وفي سورة الأعراف: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْنَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاحِظَ فِي سَمِّ الْحَيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾. فضلاً عن التناسب في أحوال الأمم مع أنبيائهم، وقصص الأنبياء.

٢- نلاحظ تناسب سور (الصافات، و(ص)، والزمر) ضمن الترتيب المصحفي، وذلك من خلال تناسب الوحدة الموضوعية في فواتحها، وموضوعاتها، إذ افتتحت السور الثلاث بالحديث عن عقيدة التوحيد، فقال ﷺ في سورة الصافات: ﴿ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴾، وقال في سورة (ص): ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥٥﴾، وفي سورة الزمر: ﴿ ... فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصَالَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ... ﴾. وتناسبت السور الثلاث في الموضوعات من عدة جوانب، أبرزها:

أ- الحديث عن أحوال الأمم مع أنبيائهم، فقال ﷺ في سورة الصافات: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾، وفي سورة ص قال ﷺ: ﴿ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥٥﴾، وأشارت سورة الزمر إلى سخرية المشركين، واستهزائهم بأنبيائهم من خلال بيان حالهم يوم القيامة، فقال ﷺ: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾.

ب- إثبات البعث يوم القيامة، فقال ﷺ في سورة الصافات: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا بُولَيْنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذِيبُكَ ﴾، وقال في سورة (ص): ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهُمْ مِنْ فَوْاقِ ﴿١٥﴾، وفي سورة الزمر: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ ﴿٣١﴾.

ت- وصف الجنة، ففي سورة الصافات يقول ﷺ: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾، وفي سورة (ص) يقول ﷺ: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ مُتَفَحَّةً لَهُمْ الْأَنْبُوبُ ﴿٥٠﴾ مُتَكَبِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ

أَنْزَابُ ﴿١﴾، وفي سورة الزمر قال ﷺ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

٣- مناسبة سورة (ص) لمقاصدها، فمن مقاصدها التأكيد على وحدانية الله، فقال ﷺ: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾﴾، والتأكيد على نبوة سيدنا محمد ﷺ، فقال ﷺ: ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾، والتأكيد على جانب البعث، وبيان ثواب المتقين، وجزاء المشركين، فقال ﷺ: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيَّحَةٌ وَاحِدَةٌ مَّا لَهُا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَطَنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾، وقال: ﴿وَأَنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَكَابٍ ﴿٤٩﴾﴾، وقال: ﴿وَأَنَّ لِلطَّغْيِينَ لَشَرَّ مَكَابٍ ﴿٥٥﴾﴾.

٤- تناسب تسلسل قصص (داود، وسليمان، وأيوب، وإبراهيم وذريته، وآدم وتكبر إبليس) الواردة في سورة (ص) مع الحال الذي كان عليه الرسول ﷺ.

٥- استعمال التشكيل الصوتي الدقيق الذي أظهر علاقة الفاصلة بمضمون الآيات، ومناسبة استعمال الحرف في موضعه، من ذلك: صوت الشين في (شفاق)، في قوله ﷺ: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾، إذ دلَّ على التفشي، أي: تفشي الخلاف، والعداوة، والشقاق بين المشركين، وكذلك مناسبة استعمال الصوت المركب.

٦- لحظت تناسب التكرير والمبالغة في السورة مع المعاني والدلالات التي تحملها، فمثلاً صيغة ﴿كَذَابٍ﴾ ناسبت إمعان المشركين في إيذاء النبي ﷺ وتسفيه ما جاء به.

٧- لحظت تنوعاً في استعمال أسلوب التوكيد، مثل (التوكيد بـ(إن))، والتوكيد بـ(إن)) واللام، والتوكيد باللام الواقعة في جواب القسم، والتوكيد بالحال، والتوكيد اللفظي، والتوكيد المعنوي) ناسب مقام سورة (ص) التي كان مقصودها يتسم بالتأكيد على وحدانية الله ﷻ، ونبوة محمد ﷺ، ووقوع البعث، أي إنَّ جو السورة يتصف بذلك.

٨- يُعَدُّ المتشابه اللفظي فناً دقيقاً، وهو من ركائز علم المناسبة، فلا يكون اختلاف الصيغ فيه جُزَافاً، وإنما له مناسبات معينة، فمثلاً ذُكِرَ السجود في آية سورة الحجر في قوله ﷺ: ﴿إِلَّا

إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾، وعدم ذكره في آية سورة (ص) في قوله ﷺ : ﴿إِلَّا
إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٧٤﴾؛ لأنَّ موضوع السجود في سورة الحجر شائع أكثر، إذ ورد
في ستة مواضع، بينما في سورة (ص) ورد ذكره في ثلاثة مواضع.
٩- لم يكن الحذف في السورة جُزَافًا، وإنما حمل مناسباتٍ معيَّنة، فمثلًا حذف مفعول صيغة
المبالغة ﴿الْوَهَّابِ﴾ في قوله ﷺ ﴿أَمْرُهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ ﴿١﴾ جاء لرعاية
الفاصلة؛ إذ إنّ معظم فواصل السُورة منتهية بالالف والباء.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب المطبوعة.

١. القرآن الكريم.

{ أ }

١. أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية، الدكتورة نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.
٢. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.
٣. أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتّاب والإذاعيين، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.
٤. أساليب القسم في اللغة العربية، الدكتور كاظم فتحي الراوي، منشورات الجامعة المستنصرية، بغداد، ط١، ١٩٧٧م.
٥. أسرار ترتيب القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ومزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٦. أسرار التكرار في القرآن المسمى (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)، أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر برهان الدين الكرمانى (ت: نحو ٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة.
٧. إسفار الفصيح، أبو سهل محمد بن علي بن محمد الهروي (ت: ٤٣٣هـ)، تحقيق: أحمد ابن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٠هـ.
٨. الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٥٨م.
٩. الأصوات اللغوية، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الإنجلو المصرية، مصر، ط٤، ١٩٧١م.
١٠. الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج البغدادي (ت: ٣١٦هـ)، تحقيق:

- الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٨م.
١١. الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، الدكتور عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
١٢. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط ٥، ١٩٩٧م.
١٣. إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق، الدكتور حنفي محمد شرف، منشورات اللجنة العامة للقرآن والسنة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٩٧٠م.
١٤. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٨، ٢٠٠٥م.
١٥. الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، محمود السيد حسن مصطفى، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، ط ١، ١٩٨١م.
١٦. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت: ٣٧٠هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤١م.
١٧. إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النَّحَّاس (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٥م.
١٨. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، ط ٤، ١٤١٥هـ.
١٩. الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط ١، ٢٠٠٣م.
٢٠. الانتصار للقرآن، أبو بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عصام القضاة، دار الفتح، عمّان، ط ١، ٢٠٠١م.
٢١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
٢٢. أوزان الفعل ومعانيها، الدكتور هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١م.

٢٣. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

٢٤. إيجاز البيان عن معاني القرآن، أبو القاسم نجم الدين محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري (ت: نحو ٥٥٠هـ)، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

٢٥. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٥، ٢٠٠٣م.

٢٦. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط ٣.

{ ب }

٢٧. البارع في اللغة، أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن سلمان القالي (ت: ٣٥٦هـ)، تحقيق: هشام الطعان، مكتبة النهضة، بغداد، دار الحضارة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٧٥م.

٢٨. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.

٢٩. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٣٠. البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي الإدريسي (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٢م.

٣١. البديع في نقد الشعر، أبو المظفر أسامة بن منقذ الكلبي الشيزري (ت: ٥٨٤هـ)، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، منشورات الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.

٣٢. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي

- الحلبي وشركائه، بيروت، ط ١، ١٩٥٧م.
٣٣. البنى والدلالات في لغة القصص القرآني دراسة فنية، عماد عبد يحيى، دار دجلة، عمان، ط ١، ٢٠٠٩م.
٣٤. بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان حمد بن محمد البستي الخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، الدكتور محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط ٣، ١٩٧٦م.
٣٥. البيان في الإعجاز والتناسب في القرآن الكريم، الأستاذ الدكتور عقيد خالد حمودي العزاوي، دار العصماء، دمشق، ط ١، ٢٠١٥م.
٣٦. البيان في روائع القرآن، الدكتور تَمَّام حَسَّان، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٠م.
٣٧. البيان في سياق بلاغة النسق القرآني، الأستاذ الدكتور عقيد خالد حمودي العزاوي، دار العصماء، دمشق، ط ١، ٢٠١٦م.

{ ت }

٣٨. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن مرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الكويت، ط ٢.
٣٩. تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٣م.
٤٠. التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ط ١، ١٩٨٤م.
٤١. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ.
٤٢. التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة (ت: ٢٠٠هـ)، تحقيق: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط ١، ١٩٧٩م.
٤٣. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، القاهرة، ط ١٧.
٤٤. التعبير القرآني، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، ط ١، ٢٠١٥م.

٤٥. التعريفات، الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
٤٦. التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي (ت: ١٣٩٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
٤٧. تفسير ابن فورك، أبو بكر محمد بن الحسن ابن فورك (ت: ٤٠٦هـ)، تحقيق: عاطف ابن كامل بن صالح بخاري، جامعة أم القرى، السعودية، ط١، ٢٠٠٩م (من أول سورة الأحزاب - آخر سورة غافر).
٤٨. تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٩. تفسير آيات الأحكام، محمد علي السائيس، تحقيق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
٥٠. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الهرري، مراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٥١. التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
٥٢. تفسير الشعراوي (الخواطر)، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٧م.
٥٣. تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام اليماني (ت: ٢١١هـ)، تحقيق: الدكتور محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
٥٤. تفسير القرآن، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٥٥. تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٩٩٧م.
٥٦. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة

- المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.
٥٧. تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإلبيري (ت: ٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
٥٨. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م.
٥٩. تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ط٣، ١٤١٩هـ.
٦٠. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٧٠م.
٦١. تفسير الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
٦٢. تفسير الماوردي (النكت والعيون)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٣. تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديث، مصر، ط١، ١٩٨٩م.
٦٤. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٤٦م.
٦٥. التفسير المظهري، مولوي محمد ثناء الله الفاني النقشبندي المظهري (ت: ١٢٢٥هـ)، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، باكستان، ط١، ١٤١٢هـ.
٦٦. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٦٧. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.
٦٨. التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ.
٦٩. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مصر، ط١، ١٩٩٣م.
٧٠. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
٧١. التفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.
٧٢. التناسب البياني في القرآن، أحمد أبو زيد، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ١٩٩٢م.
٧٣. التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ.
٧٤. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
٧٥. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٧٦. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي (ت: ١٠٣١هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
٧٧. التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
٧٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٧٩. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.

{ ج }

٨٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٨١. جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢٨، ١٩٩٣م.
٨٢. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ط٢، ٢٠٠٣م.
٨٣. الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٦٤هـ)، دار الرشيد، دمشق، ط٤، ١٤١٨هـ.
٨٤. جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، ط٢، ١٩٩٩م.
٨٥. جمهرة اللغة، أبو بكر ابن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٨٦. جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل، سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، مكتبة الاستقامة، مسقط، ط١، ١٩٨٨م.

{ ح }

٨٧. حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان (ت: ١٢٠٦هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوقيفية، مصر.
٨٨. الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.

{ خ }

٨٩. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.
٩٠. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
٩١. خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب،

{ د }

٩٢. دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٦٠م.
٩٣. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.
٩٤. دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، الدكتور محمد فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ٢٠١٦م.
٩٥. درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني الخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠هـ)، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي، السعودية، ط١، ٢٠٠١م.
٩٦. درج الدرر في تفسير الآي والسور، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: طلعت صلاح الفرحان، ومحمد أديب شكور أمير، دار الفكر، عمان، ط١، ٢٠٠٩م.
٩٧. دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت: ق ١٢هـ)، تحقيق: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٩٨. دقائق التصريف، القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب (ت: ٢٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد ناجي القيسي، وحاتم الضامن، وحسين تورال، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م.
٩٩. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط٣، ١٩٩٢م.
١٠٠. دلالات التراكيب دراسة بلاغية، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م.
١٠١. دلالات الترتيب والتركيب في سورة البقرة دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة، زهراء خالد سعد الله العبيدي، مؤسسة الواحة، الموصل، ط٢، ٢٠١٢م.

١٠٢. دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، خالد قاسم بن دومي، عالم الكتب الحديث، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.

١٠٣. دلالة الألفاظ، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الإنجلو المصرية، مصر، ط٣، ١٩٧٦م.

١٠٤. الدلالة الصوتية في اللغة العربية، الدكتور صالح سليم عبد القادر الفاخري، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٧م.

{ ر }

١٠٥. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي (ت: ١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٠٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الثناء شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٠٧. الروضة الندية شرح متن الجزرية، محمود بن محمد عبد المنعم بن عبد السلام بن محمد العبد، صحّحه: السادات السيد منصور أحمد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

{ ز }

١٠٨. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٠٩. الزهد والرقائق، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي (ت: ١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م.

١١٠. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١م.

{ س }

١١١. سر صناعة الإعراب، أبو الفتح ابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: الدكتور حسن

هنداوي، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٩٩٣ م.

١١٢. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق:

شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٩ م.

١١٣. السياق والمعنى، عرفات فيصل المنّاع، مؤسسة السياب، لندن، ط ١، ٢٠١٣ م.

{ ش }

١١٤. شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي (ت: ١٣٥١هـ)، تحقيق: نصر

الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ٢٠١٣ م.

١١٥. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل

العقيلي (ت: ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، مصر

للطباعة، ط ٢٠، ١٩٨٠ م.

١١٦. شرح أبيات سيبويه، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي

(ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق: الدكتور محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية،

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٤ م.

١١٧. شرح تسهيل الفوائد، أبو عبدالله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي

(ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر

والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط ١، ١٩٩٠ م.

١١٨. شرح التصريح على التوضيح والتصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد

الله بن أبي بكر بن محمد الأزهرى (ت: ٩٠٥هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود،

دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م.

١١٩. شرح الحدود النحوية، عبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي (ت: ٩٧٢هـ)، تحقيق: زكي

فهيمى آلوسى، منشورات بيت الحكمة، جامعة بغداد، ١٩٨٨ م.

١٢٠. شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي (ت: ٦٨٦هـ)،

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف،

دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥ م.

١٢١. شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين الإستراباذي (ت: ٦٨٦هـ)، تحقيق: يوسف حسن

- عمر، منشورات جامعة قاز يونس، بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م.
١٢٢. شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
١٢٣. شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (ت: ٧٤١هـ)، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، اعتنى بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.
١٢٤. شعر محمد مهدي الجواهري، دراسة نحوية نصية، صالح الشاعر، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٠م.
١٢٥. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت: ٥٧٣هـ)، تحقيق: الدكتور حسين بن عبد الله العمري، ومطهر بن علي الإرياني، ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

{ ص }

١٢٦. الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
١٢٧. صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٢٨. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
١٢٩. كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.
١٣٠. الصوت اللغوي في القرآن، محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
١٣١. الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم، محمد فريد عبدالله، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

{ ط }

١٣٢. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي الحسيني (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

{ ع }

١٣٣. علل النحو، ابن الوراق محمد بن عبد الله بن العباس (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٩٩٩م.
١٣٤. علم الأصوات، الدكتور كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
١٣٥. علم المناسبات وأهميته في تفسير القرآن الكريم وكشف إعجازه، نور الدين عتر، مطبعة الغوثاني، دمشق، ط٢، ٢٠١٦م.
١٣٦. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

{ غ }

١٣٧. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ، وقيل: ٨٢٨هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

{ ف }

١٣٨. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤١٤هـ.
١٣٩. فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، الدكتور فتحي أحمد عامر، منشورات لجنة القرآن والسنة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٩٧٥م.
١٤٠. الفوز الكبير في أصول التفسير، أحمد بن عبد الرحيم (ت: ١١٧٦هـ)، عَرَبَهُ من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدَوِي، دار الصحوة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م.
١٤١. في ظلال القرآن، سيد قطب (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.

{ ق }

١٤٢. القاموس المحيط، أبو طاهر مجد الدين الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.
١٤٣. القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، أبو بكر محمد بن عبد الله المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
١٤٤. القبس في علم التجويد، عبد الله بن سعيد القنوبي، مكتبة وتسجيلات البدر، سلطنة عمان، ط٩، ٢٠١٣م.
١٤٥. قصص القرآن الكريم، الدكتور فضل حسن عباس، دار النفائس، عمان، ط٣، ٢٠١٠م.
١٤٦. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٥م.

{ ك }

١٤٧. الكافية في علم النحو، جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر ابن الحاجب المالكي (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
١٤٨. الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، يوسف بن علي بن عقيل المغربي (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، مصر، ط١، ٢٠٠٧م.
١٤٩. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
١٥٠. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، ضبط وتصحيح: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

١٥١. كشف المعاني في المتنشابه من المثاني، محمد بن إبراهيم بن سعد الله الحموي (ت: ٧٣٣هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٩٩٠م.
١٥٢. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.

{ ل }

١٥٣. اللامات، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت: ٣٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٥م.
١٥٤. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشحي (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٥٥. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
١٥٦. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
١٥٧. لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣، ٢٠٠٠م.
١٥٨. اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، ١٩٩٤م.
١٥٩. اللمع في العربية، أبو الفتح ابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، ١٩٧٢م.

{ م }

١٦٠. مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٥م.
١٦١. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط٤، ٢٠٠٥م.

١٦٢. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢٤، ٢٠٠٠م.
١٦٣. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ٢٠٠٠م.
١٦٤. المبدع في التصريف، أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: عبد الحميد السيد طلب، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٩٨٣م.
١٦٥. المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، محمد محمود القاضي، الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.
١٦٦. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير (ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١.
١٦٧. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
١٦٨. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح ابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٩٩٤م.
١٦٩. المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، ط٢، ٢٠٠٨م.
١٧٠. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هندائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
١٧١. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٩٩٩م.
١٧٢. المخصّص، أبو الحسن ابن سيده المرسى (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
١٧٣. المدخل إلى علوم القرآن الكريم، محمد فاروق النبهان، دار عالم القرآن، حلب، ط١،

٢٠٠٥م.

١٧٤. المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد بن سويلم، مكتبة السنة، القاهرة، ط٢،

٢٠٠٣م.

١٧٥. مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)،

تحقيق: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع،

الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٧٦. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد

أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث،

القاهرة، ط٣.

١٧٧. المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري

(ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،

١٩٩٠م.

١٧٨. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)،

مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد

الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٥٥م.

١٧٩. مصادد النظر للإشراف على مقاصد السور (المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل

سورة للمسمى)، إبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد

السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٨٧م.

١٨٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي

(ت: نحو ٧٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، مصر، ط٢.

١٨١. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي

(ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم

الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٤، ١٩٩٧م.

١٨٢. معاني الأبنية في العربية، الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، ط٢،

٢٠٠٧م.

١٨٣. معاني الحروف، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت: ٣٨٤هـ)، تحقيق: أعرافان ابن سليم الدمشقي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
١٨٤. معاني القراءات، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: عيد مصطفى درويش، وعوض القوزي، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٩١م.
١٨٥. معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاسعي المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ)، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.
١٨٦. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١.
١٨٧. معاني القرآن الكريم، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.
١٨٨. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
١٨٩. معاني النحو، الدكتور فاضل السامرائي، دار الفكر، عمّان، ط٢، ٢٠٠٣م.
١٩٠. معترك الأقران في إعجاز القرآن (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
١٩١. المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، أحمد عمر أبو شوفة، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ٢٠٠٣م.
١٩٢. معجم الأوزان الصرفية، الدكتور إميل بديع يعقوب، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
١٩٣. معجم الصوتيات، الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السني، العراق، ط١، ٢٠٠٧م.
١٩٤. معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم، دمشق، ط١، ٢٠٠١م.
١٩٥. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلنجي، وحامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة

والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.

١٩٦. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق:

الدكتور مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.

١٩٧. مفاتيح الغيب التفسير الكبير (تفسير الرازي)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن

ابن الحسين التيمي الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣،

١٤٢٠هـ.

١٩٨. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي الخوارزمي (ت: ٦٢٦هـ)،

تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

١٩٩. المفتاح في الصرف، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: علي توفيق

الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٢٠٠. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني

(ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٠١. المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق:

الدكتور علي بو ملح، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٢٠٢. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر،

بيروت، ١٩٧٩م.

٢٠٣. المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق:

محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٢٠٤. المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر

الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٢٠٥. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل،

أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني

محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.

٢٠٦. الممتع الكبير في التصريف، علي بن مؤمن بن محمد الحَضْرَمي الإشبيلي المعروف

بابن عصفور (ت: ٦٦٩هـ)، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت،

- ط ١، ١٩٩٦م.
٢٠٧. من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: ١٣٨٤هـ)، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٢٠٨. من روائع القرآن، تأملات علمية وأدبية في كتاب الله ﷻ، محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩م.
٢٠٩. من وحي القرآن، الدكتور إبراهيم السامرائي، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، الجمهورية العراقية، ط ١، ١٩٨١م.
٢١٠. المناسبات القرآنية، دراسة لغوية بيانية، عقيد خالد العزاوي، دار العصماء، دمشق، ط ١، ٢٠١٦م.
٢١١. المناسبة في القرآن، الدكتور مصطفى شعبان عبد الحميد، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط ١، ٢٠٠٧م.
٢١٢. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط ٣.
٢١٣. المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، أبو الفتح ابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، دار إحياء التراث القديم، القاهرة، ط ١، ١٩٥٤م.
٢١٤. المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف، عبد الله بن يوسف العنزري، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٧م.
٢١٥. الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الإبياري، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥هـ.
٢١٦. الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ٢٠٠٢م.
٢١٧. موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي بن القاضي محمد حامد التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

٢١٨. الناسخ والمنسوخ، أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقرئ (ت: ٤١٠هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، محمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٢١٩. النحو الوافي، عباس حسن (ت: ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، مصر، ط١٥.
٢٢٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٢٢١. نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد محمد معبد، دار السلام، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م.
٢٢٢. نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (ت: ٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط١، ١٣٠٢هـ.

٢٢٣. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

{ ه }

٢٢٤. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٢٥. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٧٩م.

{ و }

٢٢٦. الوجوه والنظائر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
٢٢٧. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ.

ثانيًا: الرسائل والأطروحات الجامعية.

٢٢٨. أثر النظم في تناسب المعاني في سورة العنكبوت، مقبولة علي مسلم الحصيني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الحافظ بن إبراهيم البقري، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٢٢٩. الاستئناف البياني في القرآن الكريم (دراسة في تفسير ابن عاشور)، يونس فرج سبهان الجبوري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، بإشراف: الأستاذ الدكتور عبد الوهاب محمد علي العدوان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٢٣٠. أسماء سور القرآن الكريم دراسة لغوية تحليلية، باسل خلف محمود، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، بإشراف الدكتور عبد يحيى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٣١. الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية، دراسة في سور الطواسين، عدنان مهدي سلطان الدليمي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور عبد الستار فاضل خضر النعيمي، ٢٠٠٨م.

٢٣٢. سورة القصص دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة، ماجد بن عبدالله بن سليمان الجهضمي، رسالة ماجستير، جامعة نزوى، بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد هاشم السامرائي، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٢٣٣. سورة النمل دراسة لغوية في ضوء علم المناسبة، هشام ستار مهدي السامرائي، رسالة ماجستير، جامعة سامراء، بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد هاشم السامرائي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٢٣٤. الصيغ الفعلية في القرآن الكريم أصواتًا وأبنيةً ودلالةً، ثريا عبد الله عثمان إدريس، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، بإشراف: الأستاذ الدكتور أحمد علم الدين الجندي، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٢٣٥. المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية على سورة (لقمان، السجدة، يس)، الصّافات، ((ص))، فاطمة محمد شلدان، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، بإشراف الدكتور محمود هاشم عنبر، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

ثالثًا: الدوريات، والمجلات.

٢٣٦. أثر المناسبة في كشف إعجاز القرآن، الدكتور نور الدين عتر، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإمارات العربية المتحدة، العدد (١٣)، السنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢٣٧. أضواء على ظهور علم المناسبة، الدكتور عبد الحكيم الأنيس، مجلة الأحمديّة، دبي، العدد (١١)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٣٨. ظاهرة المد في الأداء القرآني دراسة صوتية للمدة الزمنية للمد العارض للسكون، يحيى ابن علي المبارك، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٢٠، ٢٠٠٣م.

٢٣٩. علم المناسبات في القرآن، محمد بن عبد العزيز الخضري، مجلة البيان، الأردن، العدد (١٤٦)، ٢٠٠٠م.

٢٤٠. مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسُّور، عادل بن محمد أبو العلاء، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٢٩، ١٤٢٥هـ.

٢٤١. مناسبات السُّور والآيات، الدكتور أحمد حسن فرحات، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد (٩).

٢٤٢. وحدة النسق في السور القرآنية، رشيد الحمداوي، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات الإسلامية، جدّة، العدد الثالث، ١٤٢٨هـ.

رابعًا: المواقع الإلكترونية.

٢٤٣. <http://shamela.ws/index.php/book/1445>.